لا يجوز لك أبدًا أن تظل هنا أكثر مما ينبغي؛ كن من البعد بحيث لا يكون بمستطاعهم أن يجدوك، أن يمسكوا بك ليشكِّلوك، ليُقَوْلبوك. كن بعيدًا جدًّا، كالجبال، كالهواء غير الملوث؛ كن من البعد بحيث لا يكون لك أهل، ولا علاقات، ولا أسرة، ولا وطن؛ كن من البعد بحيث لا تعرف حتى أين أنت. إياك أن تدعهم يعثرون عليك؛ إياك أن تحتك بهم احتكاكًا ألصق مما ينبغي. ابْقَ بعيدًا جدًّا حيث حتى أنت لا تقدر أن تجد نفسك...

Articles

جدّو كريشنامورتي

Krishnamurti

ابْقَ بعيدًا

لا يجوز لك أبدًا أن تظل هنا أكثر مما ينبغي؛ كن من البعد بحيث لا يكون بمستطاعهم أن يجدوك، أن يمسكوا بك ليشكِّلوك، ليُقَوْلبوك. كن بعيدًا جدًّا، كالجبال، كالهواء غير الملوث؛ كن من البعد بحيث لا يكون لك أهل، ولا علاقات، ولا أسرة، ولا وطن؛ كن من البعد بحيث لا تعرف حتى أين أنت. إياك أن تدعهم يعثرون عليك؛ إياك أن تحتك بهم احتكاكًا ألصق مما ينبغي. ابْقَ بعيدًا جدًّا حيث حتى أنت لا تقدر أن تجد نفسك؛ حافظْ على مسافة لا يُستطاع اجتيازُها أبدًا؛ حافظْ على ممر مفتوح دومًا لا يستطيع أحد أن يأتي عبره. إياك أن تغلق الباب؛ إذ لا باب أصلاً، بل ممرٌّ مفتوح وحسب، لا نهاية له؛ إذا أغلقت أي باب، سيكونون قريبين جدًّا منك، وإذ ذاك فأنت ضائع. ابْقَ بعيدًا جدًّا حيث لا تبلُغك أنفاسُهم – وأنفاسهم تسافر بعيدًا جدًّا وعميقًا جدًّا؛ إياك أن تدع عدواهم تصيبك، عدوى كلامهم، إيماءاتهم، معرفتهم العظيمة؛ عندهم معرفة عظيمة، لكنْ كن بعيدًا جدًّا عنهم حيث حتى أنت لا تقدر أن تجد نفسك. إذ إنهم ينتظرونك، عند كل زاوية، في كل بيت، ليشكِّلوك، ليُقَوْلبوك، ليقطِّعوك إربًا، ثم يعيدوا تجميعك على صورتهم. آلهتهم، الصغيرة والكبيرة، هي صور عن أنفسهم، نحتَها ذهنُهم أو نحتتْها أيديهم. إنهما بانتظارك، رجل الدين والشيوعي، المؤمن والملحد، وكلاهما سيان: إنهما يظنان أنهما مختلفان، لكنهما ليسا كذلك؛ فكلاهما يغسل دماغك، حتى تصير منهم، حتى تكرر كلماتهم، حتى تتعبد لقديسيهم، القدماء منهم والمُحدَثين؛ عندهم جيوش تذود عن آلهتهم وعن أوطانهم، وهم خبراء في القتل .ابْقَ بعيدًا جدًّا؛ لكنهما بانتظارك، المربي ورجل الأعمال: أحدهما يروِّضك من أجل الآخر لتنصاع لمتطلبات مجتمعهما، وهو شيء مميت؛ – عندهما شيء اسمه المجتمع والأسرة: هذان هما إلهاهما الحقيقيان، الشبكة التي ستعلق فيها؛ – سيجعلان منك عالِمًا، مهندسًا، خبيرًا في كلِّ شيء تقريبًا، من الطبخ إلى العَمار إلى الفلسفة. ابْقَ بعيدًا، بعيدًا جدًّا؛ إنهما بانتظارك، السياسي والمصلح: الأول يجرُّك إلى القاع حتى البالوعة، وعندئذ يصلحك الثاني؛ إنهما يتلاعبان بالكلمات، ولسوف تتوه في قَفْرهما. ابْقَ بعيدًا جدًّا؛ إنهما بانتظارك، الخبير في الله ورامي القنابل: أحدهما سيَهديك والآخر [يدلُّك] كيف تقتل – وما أكثر الطرق للاهتداء إلى الله، وما أكثر طرق القتل، ما أكثرها! ولكن إلى جانب هؤلاء جميعًا، هناك جحافل من الآخرين لتلقينك ما تفعل وما لا تفعل؛ ابْقَ بعيدًا عنهم جميعًا، بعيدًا إلى حدٍّ أنْ لا تقدر أن تجد نفسك ولا أحدًا سواك. أنت أيضًا تود أن تلعب مع جميع هؤلاء الذين ينتظرونك، لكن اللعبة تغدو عندئذٍ من التعقيد والتسلية بحيث تضيِّعك. لا يجوز لك أبدًا أن تظل هنا أكثر مما ينبغي؛ كن من البعد بحيث حتى أنت لا تقدر أن تجد نفسك.

ابدأ حيث أنت!

كنا نتحدث عن النزاع، وعما إذا كان جميع البشر الذين عاشوا على هذه الأرض، بكل كنوزها الشاسعة، في نزاع مستمر. ليس خارجيًّا مع البيئة، مع الطبيعة فحسب، لكنْ مع بعضنا بعضًا، وداخليًّا، "روحيًّا" على حدِّ زعمنا، مابرحنا في نزاع دائم. من اللحظة التي نولد فيها حتى نموت، نحن في نزاع. ونحن نصبر عليه؛ صرنا نتعوده، نحتمله. ترانا نجد أسبابًا كثيرة لتسويغ لماذا يجب أن نعيش في نزاع. نحسَب أن الصراع والكفاح المستمر يعنيان التقدم – التقدم الخارجي – أو الإنجاز الداخلي باتجاه الهدف الأسمى.

هذه البلاد الجميلة – الهند – هي التلال البديعة، الجبال الرائعة، الأنهار الهائلة التدفق. ولكنْ بعد ألوف السنين من الشقاء والصراع والطاعة والقبول وتدمير بعضنا بعضًا، هذا ما اختزلناها إليه: قفر موحش من البشر المتوحشين الطائشين، لا يبالون بالأرض، ولا بأشياء الأرض البديعة، بجمال بحيرة، بالنهر الجاري سريعًا. لا أحد منا يبدو عليه الاكتراث. كل ما نهتم به هي ذواتنا الصغيرة نحن، مشكلاتنا الصغيرة نحن. يود المرء أن يبكي على ما نفعله بهذه البلاد، وعلى ما تفعله البلدان الأخرى!

لقد صارت الحياة خارقة الخطورة، عديمة الأمان، بلا معنى إطلاقًا. تراك قد تخترع الكثير من المغزى، لكن الحياة اليومية الفعلية فقدت كل معنى، ماخلا جمع المال، بلوغ المناصب والنفوذ، إلى ما هنالك.

وما من سياسي، سواء كان من اليسار أو من اليمين أو من الوسط، سوف يحل أيًّا من مشكلاتنا. فرجال السياسة ليسوا مبالين بحلِّ المشكلات؛ إنهم مبالون بأنفسهم فقط وبالحفاظ على مناصبهم. و*الگورو*]المعلمون الروحيون] والأديان هي الأخرى خانت الإنسان. لقد اتبعتم الأوپنشاد والبرهماسوترا والبهگڤدگيتا، وإنها لَلُعبة الگورو أن يقرأها بصوت مرتفع على مسامع جمهور يُفترض فيه أن يكون مستنيرًا، ذا فطنة. ومنه، ليس بإمكانكم مطلقًا أن تتكلوا على السياسيين، أي الحكومة، ولا على الكتب الشريفة، ولا على أي گورو إطلاقًا، لأنهم هم الذين جعلوا هذه البلاد على ما هي عليه الآن. إذا كان أحدكم يسعى في المزيد من الزعامة، فذلك سيقودكم أيضًا إلى الدرب الخاطئ. وبما أنه ما من أحد بمقدوره أن يساعدنا، علينا أن نكون مسؤولين مسؤولية كلية، تامة، عن مسلكنا، عن سلوكنا، وعن أفعالنا.

*

مابرحت هذه البلاد تتكلم على اللاعنف. مازال يبشِّر به مرارًا وتكرارًا، سياسيًّا ودينيًّا، مختلف الزعماء؛ لكن اللاعنف ليس واقعًا، بل هو مجرد فكرة، نظرية، جملة من الكلمات. الواقع الفعلي هو أنك عنيف. ذاك *ما هو*. ونحن لسنا قادرين على فهم *الماهو*، ولذلك ترانا نخترع هذا الهراء الذي نسميه "اللاعنف". بذا يؤول الأمر إلى نزاع بين *ما هو* وبين *ما يجب أن يكون*. بينما أنت تسعى في اللاعنف، تراك تزرع بذور العنف طوال الوقت. وذاك أيضًا واضح للغاية. فهل ترانا نستطيع، معًا، أن ننظر إلى *الماهو* بلا أي مهرب، بلا أي مُثُل، دون كبته أو تفاديه؟ نحن عنيفون بالوراثة عن الحيوان، عن القرد وغيره. والعنف يتخذ أشكالاً عديدة، لا الفعل الوحشي فحسب؛ إنها قضية معقدة للغاية. العنف هو المحاكاة، الامتثال، الطاعة؛ العنف هو ادعاؤك أنك غير ما أنت – فذاك شكل من أشكال العنف. انظر، رجاءً، إلى منطقية هذا كله. فالأمر ليس مجرد إدلائنا بتصريحات لكي تقبلها أو تنفيها .نحن نسير قُدُمًا على درب، في غابة، بين الحراج البديعة، معًا، ونتقصى العنف، مثل صديقين يتحادثان في أمور الحياة سوية، من غير أي إقناع، من غير أي استباق لحلِّ المشكلة. نحن نتحادث معًا، نرصد معًا. نحن نسير على الدرب نفسه، لا على دربك أو على دربي، بل على درب تقصي هذه المشكلات.

*

علينا، إذن، أن نتعلم، معًا، كيفية الرصد. أنتم لستم أتباع المتكلم، وهو ليس معلمكم الروحي] *گورو*[، حمدًا لله! ليس هناك من أعلى أو أدنى في هذا التقصي، ليس هناك من مرجعية .حين يكون ذهنك كسيحًا من جراء المرجعية، فمن الصعب للغاية أن تنظر إلى العنف. لذا فمن الأهمية بمكان فهم كيفية رصد ما يحدث في العالم: البؤس، البلبلة، النفاق، انعدام الذمة، الأعمال الوحشية التي ما انفكت مستمرة، الإرهابيين، الناس الذين يحتجزون رهائن، والمعلمين الروحيين] *گورو* [من أصحاب معسكرات الاعتقال الخصوصية! هذا كله عنف. كيف يجوز لأحدهم أن يقول: "أنا أعرف، فاتبعوني"؟! ذلك تصريح مخز! وإذن، فنحن نرصد معًا ما هو العنف، ونسأل: "ما هو الرصد؟" ما معنى أن ترصد البيئة من حولك: الأشجار، بركة الماء عند الزاوية، النجوم، القمر الوليد، الزُّهرة المتوحدة، نجمة المساء، مجد شروق الشمس؟ كيف تراقب ذلك؟ تراك لا تستطيع أن تراقب، أن ترصد، إذا كنت منشغلاً بنفسك، بمشكلاتك أنت، بأفكارك، بتفكيرك المعقد. صحيح؟ لا تستطيع أن تراقب إذا كانت عندك أحكام مسبقة، أو إذا كان هناك أي نوع من النتيجة أو الخبرة الخاصة التي تتشبث بها. فكيف ترصد هذا الشيء البديع المسمى "شجرة"؟ كيف تنظر إليه الآن، وأنت جالس هناك محاطًا بهذه الأشجار؟ هل رأيت أوراقها، مرفرفةً في الريح، جمال الضياء على الورقة؟ هل سبق لك أن شاهدته؟ وإذن، هل تستطيع أن تراقب شجرة، أو القمر الوليد، أو نجمة وحدها في السماوات، من غير الكلمة؟ إذ إن الكلمة ليست النجمة الفعلية أو القمر الفعلي. هل بوسعك أن تنحّي الكلمة وتنظر؟

هل بوسعك أن تنظر إلى زوجتك من غير الكلمة؟ من غير ذكريات علاقتكما برمتها، مهما تكن حميمة، من دون الذاكرة المبتناة؟ هل بوسعك أن تنظر إلى زوجتك، أو أن تنظري إلى زوجك، من دون ذاكرة الماضي؟ هل سبق لك أن فعلت ذلك يومًا؟ رجاءً، هلمُّوا نتعلم معًا كيف نرصد زهرة. إذا عرفت كيف تنظر إلى زهرة، فذاك يحوي الأبدية. لا تنجرفوا بكلماتي! إذا عرفت كيف تنظر إلى نجم، إلى غابة كثيفة، ففي ذلك الرصد حينذاك فضاء، فيه الأبدية. علينا أن نكتشف، معًا، كيف ترصد زوجتك أو ترصدي زوجك من دون الصورة التي شكلتَها عنها أو شكلتِها عنه. عليك أن تبدأ قريبًا جدًّا لكي تمضي بعيدًا جدًّا. إذا لم تبدأ قريبًا، تراك لا تستطيع أبدًا أن تمضي بعيدًا. إذا أردت أن تتسلق الجبل أو تذهب إلى القرية المجاورة، فإن الخطوات الأولى مهمة للغاية: كيف تسير، بأي رشاقة، بأي يُسْر، بأي غبطة. وإذن، فنحن نقول بأنك لكي تمضي بعيدًا جدًّا جدًّا، حتى الأبدية، يجب عليك أن تبدأ قريبًا جدًّا، وهو علاقتك مع شريكك. هل تستطيع أن ترصد أسرتك بعينين صافيتين من دون كلمات "زوجتي" أو "زوجي"، "ابن أخي" أو "ابني"؟ – من دون الكلمة، من دون الجروح المتراكمة وتذكُّر الأشياء الماضية. افعلْ ذلك الآن .ارصدْ. وعندما يكون بمقدورك أن ترصد من دون الماضي، أي من دون الصور التي بنيتها عن نفسك وعنهم، إذ ذاك توجد العلاقة الصحيحة.

*

عندما تحيا يوميًّا مع *الماهو* وترصد *الماهو*، ليس في الخارج هناك وحسب، بل داخليًّا، إذ ذاك ستخلق مجتمعًا يكون بلا نزاع.

مدراس، 27 كانون الأول 1981

رائعة هذه الأرض! من كريشنامورتي لنفسه

26 نيسان [1983]

رأى المرء طائرًا يموت، وقد أطلق رجل عليه النار. كان يطير طيرانًا جميلاً، يضرب بجناحيه ضربات موقَّعة، بكل حرية وعدم خوف، حتى اخترقه رصاص البندقية، فسقط على الأرض وقد فارقته الحياة. ثم جلبه كلب، وراح الرجل يجمع طيورًا ميتة أخرى. كان يهذر مع صديقه، وبدا أنه عديم الاكتراث تمامًا؛ كل ما يشغل باله كان إسقاط أكبر عدد ممكن من الطيور، والأمر فيما يخصه ينتهي عند هذا الحد. إنهم يقتلون في أنحاء العالم كلها :تلك الحيوانات البحرية العظيمة الرائعة – الحيتان – تُقتل بالملايين، والنمر وغيره كثير من الحيوانات باتت الآن أنواعًا مهددة بالانقراض. وحده الإنسان هو الحيوان الذي لا يؤمَن له جانب!

منذ مدة، حين كان نازلاً في ضيافة صديق في موضع مرتفع على التلال، جاء رجل وأخبر المضيف أن نمرًا قتل بقرة في الليلة الفائتة وسأل إنْ كنا نود رؤية النمر ذلك المساء. كان بمقدوره ترتيب الأمر ببناء منصة على شجرة وربط معزاة؛ وبذا يمكن لثغاء المعزاة – الحيوان الصغير – أن يجتذب النمر فنستطيع أن نراه. رفض كلانا إشباع فضوله بهذه القسوة. لكنْ في وقت لاحق من ذلك اليوم، اقترح المضيف أن نأخذ السيارة وندخل الغابة لرؤية النمر إنْ أمكن. وهكذا، بحلول المساء، ركبنا سيارة مكشوفة يقودها سائق وتوغلنا عدة أميال في الغابة. بالطبع لم نبصر شيئًا. كانت الظلمة قد حلت دامسةً، ومصابيح السيارة الأمامية مضاءة؛ وبينما نحن ندور عائدين، أبصرناه جاثمًا عند وسط الطريق منتظرًا لاستقبالنا. كان حيوانًا ضخمًا جدًّا، بديع الخطوط، عيناه، ومصابيح السيارة مسلطة عليهما، تلمعان متلألئتين. ثم أقبل هادرًا صوب السيارة، وبينما كان يمر على بعد بضعة أصابع فقط من اليد الممدودة خارجًا، قال المضيف: "إياك أن تلمسه، فهو شديد الخطورة؛ حذار لأنه أسرع من يدك!" لكنك كنت تستطيع أن تشعر بطاقة ذلك الحيوان، بحيويته؛ كان دينامو ضخمًا للطاقة! وبينما هو يمر عن كثب، شعر المرء بانجذاب هائل نحوه .ثم ما لبث أن توارى في الأدغال.

كان الصديق، على ما يبدو، قد رأى العديد من النمور وساعد في شبابه، منذ أمد بعيد، على قتل أحدها، وظل منذ ذاك نادمًا على الفعلة النكراء. القسوة بكل أشكالها تتفشى في العالم الآن، ولعل الإنسان لم يكن يومًا على هذا القدر من القسوة، من العنف، كما هو الآن. كنائس العالم وكهنته ما برحوا يتكلمون على السلام على الأرض؛ من أعلى درجات الهرمية المسيحية نزولاً حتى كاهن أفقر القرى، ما برح الحديث يدور حول عيش حياة طيبة، من غير أذية شيء أو قتله. البوذيون والهندوس بالأخص قالوا من قديم الزمان: "لا تقتل الذبابة، لا تقتل أي شيء، لأنك في الحياة المقبلة سوف تدفع ثمن فعلتك." لقد صيغت تلك العبارة صياغة فجة بعض الشيء، لكن بعضهم حافظ على هذه الروح، على هذه النية بعدم القتل وبعدم أذية إنسان آخر. لكن القتل في الحروب ما زال متواصلاً. الكلب سرعان ما يقتل الأرنب؛ أو الإنسان يطلق النار على سواه بآلاته المرعبة، وربما هو الآخر يرديه سواه قتيلاً .وهذا القتل ما برح متواصلاً آلافًا على آلاف من السنين. بعضهم يتخذه رياضة، بينما يقتل بعضهم الآخر عن نقمة أو غضب أو غيرة، ناهيك عن استمرار الجرائم المنظمة التي تقترفها مختلف الأمم بأسلحتها. يتساءل المرء إنْ كان الإنسان سوف يعيش يومًا على هذه الأرض الجميلة حياة مسالمة، فلا يقتل أبدًا شيئًا حيًّا، أو يُقتل، أو يقتل سواه، بل يحيا في سلام وفي قلبه شيء من الألوهية والمحبة.

في هذا الجزء من العالم، الذي ندعوه الغرب، ربما قتل المسيحيون أكثر من سواهم قاطبة. إنهم ما برحوا يتكلمون على السلام على هذه الأرض! لكن إحلال السلام يقتضي أن يحيا المرء مسالمًا، وذاك يبدو من المحال إطلاقًا. هناك حجج مؤيدة للحرب وأخرى معارضة لها، حجج من قبيل أن الإنسان ما انفك يقتل وسيظل كذلك دومًا، وحجج القائلين بأنه يستطيع

أن يُحدث تغييرًا في نفسه فلا يقتل. هذه حكاية قديمة للغاية. لكن الجَزْر المتواصل أضحى عادة، معادلة مقبولة، على الرغم من الأديان جميعًا.

منذ بضعة أيام، كان المرء يراقب صقرًا أحمر الذيل، يحلق عاليًا في السماوات، يرسم دوائر من غير جهد، من غير ضربة من جناح، من أجل متعة الطيران فحسب، فقط من أجل أن تحمله تيارات الهواء. ثم ما لبث صقر آخر أن انضم إليه، وراحا يطيران معًا مدة طويلة. كانا مخلوقين بديعين في تلك السماء الزرقاء، وأذيتهما بأي شكل جريمة بحق السماء. بالطبع ما من "سماء "ثمة؛ فقد اخترع الإنسان السماء بدافع الأمل؛ إذ إن حياته صارت جحيمًا، نزاعًا لا ينتهي من الولادة إلى الموت – جيئة وذهابًا، جنيًا للمال، عملاً من دون توقف. هذه الحياة صارت دوامة، عذاب كدح لا ينتهي. يتساءل المرء إنْ كان إنسان – كائن بشري – سوف يحيا على هذه الأرض يومًا في سلام. ما برح النزاع أسلوبه في الحياة – داخل الجلد وخارج الجلد، في منطقة النفس وفي المجتمع الذي أوجدتْه تلك النفس.

أغلب الظن أن المحبة قد اختفت كليًّا من هذا العالم .المحبة تتضمن الكرم والرعاية، عدم جرح الآخر، عدم إشعار الآخر أنه آثم، بل الكرم والدماثة والسلوك بحيث تولد كلماتك وأفكارك من الرحمة. بالطبع لا تقدر أن تكون رحيمًا إذا انتميت إلى مؤسسات دينية منظمة – ضخمة، قديرة، تقليدية، عقائدية – تصر على الإيمان. فالحب يقتضي الحرية. وذاك الحب ليس لذة أو رغبة، ليس استذكارًا للأشياء الماضية. الحب ليس نقيض الغيرة والكراهية والغضب.

قد يبدو هذا كله، نوعًا ما، من قبيل اليوطوبيا والمثالية، شيئًا لا يستطيع الإنسان إلا أن يتوق إليه وحسب. لكنك إذا كنت تصدِّق ذلك، تراك عندئذ سوف تستمر في القتل. الحب واقعي وقوي واقعيةَ الموت وقوته. إنه لا يمت بصلة إلى الخيال أو العاطفة أو الرومانسية، وبطبيعة الحال، لا يمت بصلة إلى السلطان والمنصب والنفوذ. إنه ساكن سكون مياه البحر، قوي قوة البحر؛ إنه مثل المياه الجارية لنهر غني يتدفق تدفقًا متواصلاً، من غير بداية ولا نهاية. لكن الرجل الذي يقتل صغار الفقمة، أو الحيتان العظيمة، لا يشغل باله غير أسباب عيشه. تراه يقول: "أنا أرتزق من ذلك، تلك تجارتي." إنه لا يشغل باله مطلقًا بذاك الشيء الذي ندعوه "محبة ."لعله يحب أسرته – أو يظن أنه يحب أسرته – ولا تشغل باله كثيرًا وسيلة ارتزاقه. ولعل هذا واحد من الأسباب التي تجعل الإنسان يعيش حياة مجزأة؛ لا يبدو عليه أبدًا أنه يحب عمله – وإنْ تكن ثلة من الناس ربما تفعل. لو كان المرء يرتزق من عمل يحبه لاختلف الأمر اختلافًا كبيرًا – لكان المرء تفهَّم كلِّية الحياة. لقد قسَّمنا الحياة إلى أجزاء: عالم الأعمال، عالم الفن، عالم العلم، عالم السياسة، عالم الدين. لكأننا نظن أنها جميعًا منفصلة بعضها عن بعض ويجب أن تبقى منفصلة. وبذا نصير منافقين: نفعل في عالم الأعمال شيئًا بشعًا، فاسدًا، ثم نعود إلى البيت لنعيش في سلام مع أسرتنا – وهذا يولِّد النفاق، حياة نكيل فيها بمكيالين.

إنها لأرض رائعة حقًّا! دأب ذلك الطائر الجاثم على أعلى شجرة أن يجثم هناك كل صباح، راصدًا العالم، مرتقبًا ظهور طائر أكبر، طائر قد يقتله، مراقبًا الغيوم، والظل العابر، والمدى العظيم لهذه الأرض الغنية، لهذه الأنهار والغابات، وجميع الرجال الكادحين من الصباح حتى هبوط الليل .إذا اتفق للمرء أن يتفكر أصلاً في العالم النفساني، لوجده مليئًا بالأسى . ويتساءل المرء أيضًا إنْ كان الإنسان سوف يتغير يومًا، أم أن ذاك يقتصر على القلة، على القلة القليلة وحدها. إذ ذاك ما هي علاقة القلة بالكثرة؟ أو ما هي علاقة الكثرة بالقلة؟ الكثرة لا علاقة لها بالقلة؛ أما القلة فلها علاقة قطعًا.

وأنت جالس على تلك الصخرة، ناظرًا إلى الوادي تحت، وإلى جانبك ضبٌّ، تراك لا تجرؤ على تحريك ساكن لئلا ينزعج الضبُّ أو يفزع . والضبُّ أيضًا يراقب. وهكذا يستمر العالم: مخترعًا الآلهة، تابعًا لهرمية مندوبي الآلهة. وزيف الأوهام وعارها كله سوف يستمر على الأغلب، فتصير آلاف المشكلات أكثر فأكثر تعقيدًا وتشابكًا. وحدها فطنة المحبة والرحمة

بمقدورها أن تحل مشكلات الحياة جميعًا. فتلك الفطنة هي الأداة الوحيدة التي لا يمكن لها أبدًا أن تصير بليدة، عديمة الجدوى.

أساس العلاقة

يمكن للعلاقة أن توجد فقط حين يكون هناك نزول كلِّي عن الذات، عن الـ"أنا". فحين تنعدم الأنا، إذ ذاك تكون على علاقة؛ وفي ذاك لا يوجد فصل من أي نوع. أغلب الظن أن المرء لم يشعر بذاك قط: النفي التام – لا عقليًّا، بل فعليًّا –، الزوال التام للأنا. ولعل ذلك ما يسعى إليه أغلبنا، جنسيًّا أو عبر التماهي مع شيء ما أعظم. لكن ذلك – أكرر –، أي سيرورة التماهي تلك مع شيء أعظم، هو نتاج الفكر؛ والفكر قديم: إنه، مثل الأنا، الأنية، الإنِّي، نتيجة الأمس؛ إنه دومًا قديم. ومن ثَم يبرز السؤال: كيف يمكن التخلي تخليًا تامًّا عن هذه السيرورة العازلة، هذه السيرورة المتمركزة على الأنا؟ كيف يمكن لهذا أن يتم؟ أتفهم السؤال؟ كيف يمكن لي – أنا الذي ينبع كل نشاط من نشاطات حياتي اليومية من الخوف والكرب واليأس والأسى والبلبلة والأمل –، كيف يمكن للأنا التي تفصل نفسها عن الآخر –عبر التماهي مع الإله، مع إشراطها، مع مجتمعها، مع نشاطها الاجتماعي والخُلُقي، مع الدولة، إلى ما هنالك –، كيف يمكن لذلك أن يموت، أن يتلاشى، بحيث يستطيع الكائن الإنساني أن يكون على علاقة؟ إذ إننا، إذا لم نكن على علاقة، سنعيش عندئذ متحاربين بعضنا مع بعض. قد لا يقع قتلٌ لبعضنا بعضًا، لأن ذلك بات أخطر من أن نجرؤ عليه، إلا في البلدان النائية! فكيف يمكن لنا أن نحيا بحيث لا يكون هناك فصل، بحيث يمكن لنا حقًّا أن نتعاون؟

ما أكثر ما يجب القيام به في العالم: القضاء على الفقر؛ الحياة في سعادة؛ الحياة في بهجة بدلاً من العيش في عذاب وخوف؛ بناء نوع مختلف كليًّا من المجتمع، أخلاق تعلو على كل أخلاق. لكن هذا ليس بالمستطاع أن يكون إلا حين تُنكَر أخلاقُ المجتمع الراهن برمتها إنكارًا كليًّا. ما أكثر ما يجب القيام به؛ وليس بالمستطاع القيام به مادامت هذه السيرورة العازلة مستمرة. ترانا نتكلم على الـ"أنا" والـ"لي" والـ"آخر": الآخر موجود فيما وراء الجدار، الأنا واللي في هذه الناحية من الجدار. وإذن، كيف يمكن لأساس المقاومة ذاك – وهو الأنا –، كيف يمكن لذاك أن يُتخلى عنه تمامًا؟ لأن تلك المسألة هي الأساس الحق من كل علاقة؛ إذ يرى المرء أن العلاقة بين صور ليست علاقة على الإطلاق، وأنه حينما يوجد ذلك النوع من العلاقة هناك نزاع حتمًا، ونكون لا محالة ممسكين بخناق بعضنا بعضًا!

عندما تطرح على نفسك ذلك السؤال، تراك ستقول حتمًا" :أيجب علي أن أعيش في خواء، في حال من الفراغ؟" أتساءل إنْ كنت اختبرت يومًا ماهية أن يكون لك ذهن فارغ تمامًا. لقد عشت في حيز أوجدتْه الـ"أنا"، وهو حيز صغير جدًّا. والحيز الذي بناه الـ"إنِّي" – السيرورة العازلة للذات – بين شخص وآخر هو كل ما نعرف من حيز – الحيز الواقع بينه وبين المحيط، الحد الفاصل الذي بناه الذهن. في هذا الحيز نعيش، وفي هذا الحيز هناك انقسام. تراك تقول: "إذا تخليت عن ذاتي، أو إذا نزلت عن مركز أناي، سأعيش في خواء." ولكن هل تراك يومًا تخليت حقًّا عن الأنا، فعليًّا، بحيث لا تكون هناك أنا بتاتًا؟ هل تراك عشت يومًا في هذا العالم، ذهبت إلى المكتب بتلك الروح، عشت مع زوجتك أو مع زوجك؟ إذا كنت قد عشت على هذا النحو، ستعرف أن هناك حالاً من العلاقة تنعدم فيها الأنا؛ وهي ليست يوطوبيا، ليست شيئًا يُحلَم به أو خبرة صوفية تافهة، بل شيء يمكن القيام به فعليًّا: الحياة على بُعد توجد فيه علاقة مع البشر كافة.

لكن ذاك يمكن له أن يوجد فقط حين نفهم ماهية المحبة .ولكي يكون المرء في تلك الحال، لكي يحيا فيها، عليه أن يتفهم لذة الفكر وآليته برمتها. إذ ذاك فإن كل آلية معقدة ابتناها المرء لنفسه، حول نفسه، يمكن لها أن تُرى بلمح البصر.

ليس المرء مضطرًّا أن يخوض هذه السيرورة التحليلية كلها نقطة بعد نقطة. كل تحليل فهو مجزأ، وبالتالي ليس هناك من جواب يأتي عبر ذلك الباب.

هناك مشكلة الوجود المعقدة الهائلة هذه، بكل مخاوفها وأتراحها وآمالها وسعادتها الزائلة وأفراحها، لكن التحليل لن يحلها. ما سيحلها هو الإحاطة بها إحاطة خاطفة، ككل. تراك تعرف أنك تفهم أمرًا ما فقط حين *تنظر* –لا بنظرة مطولة مدربة، النظرة المدربة للفنان أو العالم أو المرء الذي تمرس بـ"كيفية النظر". تراه إنْ نظرت إليه بانتباه تام؛ ترى الأمر ككل في لمحة واحدة. وسترى عند ذاك أنك خارجه. وعند ذاك، تكون خارج الزمن؛ الزمن يتوقف والأسى، بالتالي، ينتهي. امرؤ يعاني أسى أو خوفًا امرؤ ليس على علاقة. كيف يمكن لرجل يطلب النفوذ أن يكون على علاقة؟! قد يكون صاحب أسرة، قد ينام مع زوجته، لكنه ليس على علاقة. رجل يتنافس مع غيره رجل لا علاقة له البتة. وبنيان مجتمعنا كله، بلاأخلاقيته، يقوم على هذا .العلاقة الأساسية، الجوهرية، إنما تعني إنهاء الأنا التي تولِّد الفصل والأسى.

باريس، 25 نيسان 1968

24 تشرين الأول [1961]

كان القمر موشكًا على الصعود فوق التلال، عالقًا في غيمة متلوية طويلة تضفي عليه هيئة خرافية. كان ضخمًا، يقزِّم التلال والأرض والمراعي الخضراء؛ الفضاء حيث يصعد كان أصفى، مع عدد أقل من الغيمات، لكنه سرعان ما توارى بين السحائب القاتمة المحملة بالمطر. ثم بدأت السماء تمطر رذاذًا وكانت الأرض مسرورة؛ إذ قلما يهطل المطر هنا وكل قطرة يُحسَب لها حساب. بوسع [شجرات] البَنْيان الكبيرة والتمر الهندي والمنگة أن تناضل للبقاء، أما صغار النباتات ومحصول الرز فكانت مبتهجة حتى بمطر شحيح. لسوء الحظ، حتى القطرات القليلة توقفت، والقمر الآن كان يسطع في سماء صافية. كان المطر يهطل غزيرًا على الساحل، لكنْ هنا، حيث الحاجة إليه ماسة، ترى السحائب المحملة بالمطر قد ولَّت. كان مساءً جميلاً، وكانت ثمة ظلالٌ داكنةُ القتامة ذات أشكال عديدة. كان القمر شديد البريق والظلال ساكنة للغاية، وأوراق الشجر، وقد اغتسلت، تتلألأ.

في أثناء السير والكلام، كان التأمل متواصلاً تحت الكلمات وجمال الليل. كان يتواصل على عمق عظيم، يفيض على الخارج والداخل، يتفجر ويتسع. كان المرء واعيًا به؛ كان يحدث؛ لم يكن يُختبَر، فالاختبار يحدُّ منه؛ كان يحصل. لم تكن ثمة مشاركة فيه؛ إذ ما كان بوسع الفكر أن يساهم فيه، لأن الفكر شيء أتفه وأكثر آلية في كل الأحوال من أن يفعل، ولا العاطفة كان بوسعها أن تتورط فيه؛ إذ كانت قوته تفوق إقلاقًا طاقة كليهما .كان يحدث في غور مجهول أعمق من أن يحيط به قياس. لكنْ كانت ثمة سكينة عظيمة. كان مفاجئًا تمامًا وليس عاديًّا بتاتًا.

الأوراق الداكنة تلمع، والقمر قد تسلق إلى علوٍّ كبير؛ كان على مساره الغربي غامرًا الغرفة. الفجر لا يزال على بُعد ساعات عديدة، وما من نأمة؛ فحتى كلاب القرية، بنباحها الصاخب، كانت هادئة. عند الاستيقاظ كانت حاضرة، في وضوح ودقة؛ *الآخرية* كانت حاضرة، فكانت اليقظة ضرورية، لا النوم. كانت [اليقظة] مقصودة، وذلك لوعي ما كان يحدث، لوعي ما كان يحصل وعيًا تامًّا.

لو أن المرء نائم لكان من الجائز أن يكون الأمر حلمًا، تلميحًا من اللاوعي، حيلة من حيل المخ؛ أما وأن المرء كان يقظًا تمامًا، فإن هذه *الآخرية* الغريبة وغير القابلة للمعرفة كانت حقيقة ملموسة، كانت واقعة وليست وهمًا أو حلمًا. كانت تتصف بخاصية – إذا جاز لهذه الكلمة أن تنطبق عليها – انعدام وزن وقوة لا نفاذ إليها. هذه الكلمات أيضًا ذات مدلول محدد، معرَّف وقابل للتوصيل، لكن هذه الكلمات تفقد معناها كله عندما يتعين إيصال *الآخرية* في كلمات؛ فالكلمات رموز، لكنْ ما من رمز يقدر يومًا على إيصال الحقيقة. كانت حاضرة بقوة هي من عدم الفساد بحيث إن لا شيء يقوى على تدميرها؛ إذ كان الاقتراب منها متعذرًا. بوسعك أن تقترب من شيء سبق أن ألِفْتَه، ولا بدَّ لكما للتواصل من الاشتراك في اللغة نفسها، في نوع ما من السيرورة الفكرية، اللفظية أو غير اللفظية؛ وفوق ذلك كله، لا بدَّ من وجود تعارف متبادل. لا شيء من ذلك بتاتًا. من جانبك، يجوز أن تقول إنها هذا أو ذاك، إنها تتصف بهذه الخاصية أو تلك؛ لكنْ في لحظة الحدث لم تكن هناك أي صياغة لفظية، حيث إن المخ كان ساكنًا تمامًا، من دون أي حركة فكر على الإطلاق. لكن *الآخرية* غير ذات علاقة مع أي شيء، بينما كل فكر ووجود هو سيرورة سبب–نتيجة؛ ومنه، لم يكن هناك أي فهم لها ولا أي علاقة معها. كانت شعلة يتعذر الاقتراب منها، فلم يكن بوسعك إلا أن تحدِّق إليها وتلزم حدَّك. وعند الاستيقاظ، فجأة، كانت هناك. ومعها جاء وَجْد غير متوقَّع، فرح غير معقول؛ لم يكن ثمة سبب له لأنه لم يُطلَب ولم يُسعَ إليه أبدًا. كان هذا الوجد حاضرًا عند الاستيقاظ من جديد عند الساعة المعتادة؛ كان حاضرًا واستمر فترة مطوَّلة من الوقت.

25 تشرين الأول

هناك حشائش طويلة الساق، نوع من الأعشاب، تنمو في الحديقة نموًّا بريًّا، وهي ذات أزاهير مريشة، بلون ذهبي محروق، تومض مع النسيم، وتترنح حتى تكاد أن تتكسر، لكنْ من غير أن تتكسر أبدًا، إلا عند اشتداد هبوب الريح. هناك أجمة من هذه الحشائش ذات لون بيج ذهبي، وعندما يهب النسيم فإنه يراقصها؛ لكل ساق إيقاعها الخاص، بهاؤها الخاص، وهي أشبه بالموجة عندما تتحرك جميعًا معًا. واللون إذ ذاك، في ضوء المساء، لا يوصف؛ إنه لون الغروب، لون الأرض، لون التلال والغيوم الذهبية. الزهور بجانبها كانت شديدة البروز، شديدة القُحَّة، تسألك أن تنظر إليها. كانت لتلك الحشائش رهافة غريبة، تفوح منها طفيفةً رائحةُ القمح والأزمنة القديمة؛ كانت أبية وطاهرة، مترعة بفيض من الحياة. غيمة مسائية تعبُر، مليئة بالضياء، فيما الشمس تغرب خلف التل الداكن. كان المطر قد منح الأرض رائحة طيبة والهواء لطيف الإنعاش. كانت الأمطار قادمة وفي الأرض أمل.

وفجأة حدثتْ، عائدةً إلى الغرفة؛ كانت حاضرةً، معانِقةَ الترحيب، من حيث لم يكن المرء يتوقعها؛ فلم يكد يدخل حتى اضطر إلى الخروج من جديد. كنا نتحدث في أمور متنوعة، لا شيء جديًّا للغاية. كان صدمةً ومفاجأةً وجودُ هذه *الآخرية* المرحِّبة في الغرفة؛ كانت تنتظر هناك في ترحيب مفتوح بحيث إن الاعتذار بدا نافلاً. عدة مرات، في الحديقة العامة[1]، بعيدًا من هنا تحت بعض الأشجار، على طول درب يطرقه كثيرون، كنت تراها منتظرة عند انعطاف الدرب بالضبط؛ فكان المرء يقف هناك مذهولاً، على مقربة من تلك الأشجار، منفتحًا، مكشوفًا تمامًا، عاجزًا عن الكلام، من غير حراك .لم يكن الأمر من بنات المخيلة، وهمًا ذاتي الإسقاط؛ فالآخر، الذي اتفق له أن يكون موجودًا، شعر هو كذلك بها. في عدة مناسبات كانت حاضرة، في ترحاب محبة يعانق كل شيء، فكان الأمر لا يصدَّق على الإطلاق. كل مرة، كانت تتصف بخاصية جديدة، بجمال جديد، بصرامة جديدة. فكانت هكذا في هذه الغرفة: شيئًا جديدًا كليًّا وغير متوقَّع مطلقًا. كانت جمالاً جعل الذهن برمته ساكنًا والجسم لا يبدي حراكًا؛ لقد جعلت الذهن والمخ والجسم شديدي التيقظ والحساسية، [حتى إنها] جعلت الجسم يرتعش. وفي غضون بضع دقائق، كانت تلك *الآخرية* المرحِّبة قد ذهبت في خفة لا تقل عن خفتها حين أتت.

ما من خاطر ولا من انفعال متوهِّم يمكن له أبدًا أن يستحضر حدثًا كهذا. فالفكر، مهما فعل، هزيل، والشعور شديد الهشاشة والمخادعة؛ ما من واحد منهما يستطيع، في أبعد شطحاته، أن يختلق هذه الأحداث. فعظمتها أعظم بما لا يقاس، وهول قوتها ونقائها أكبر من طاقة الفكر أو الشعور؛ فهذان ذوا جذور، بينما هي لا جذور لها البتة. ليس بالوسع استدعاؤها أو التشبث بها؛ بمقدور الفكر–الشعور أن يلعبا كل نوع من أنواع الحيل الذكية والتخيلية، لكنهما لا يستطيعان أن يخترعا *الآخرية* أو يحتوياها. إنها موجودة بحدِّ ذاتها ولا شيء يقوى على لمسها.

28 تشرين الأول

ثمة زهرة حمراء بين الأوراق الخضراء الداكنة، ومن الشرفة لا ترى إلاها. هناك التلال، الرمل الأحمر على مجاري النهر، شجرة البَنْيان الكبيرة العالية، وأشجار التمر الهندي العديدة، لكنك لا ترى إلا تلك الزهرة؛ فما أشد بهجتها وامتلاءها باللون! ما من لون آخر؛ رقع السماء الزرقاء، غيمات الضياء النارية، التلال البنفسجية، خضرة حقل الرز الغنية – هذه كلها تبهت، ولا يبقى سوى لون تلك الزهرة المدهش هذا. تراها تملأ السماء بأسرها والوادي. إنها ستذبل وتسقط؛ تراها ستتلاشى، والتلال سوف تبقى .لكنها، هذا الصباح، كانت الأبدية، أبعد من كل زمن وفكر. كانت تحمل الحب والفرح كله؛ لم يكن فيها

---

[1] هي حديقة ومبلدُن العامة. كان يتذكر لندن حيث أقام في شهر أيار [1961] في منزل في ومبلدُن.

أي مشاعر وسخافات رومانسية، ولا كانت رمزًا إلى شيء آخر. كانت ذاتها، مقيضًا لها أن تموت في المساء، لكنها تحوي الحياة بأسرها. لم تكن شيئًا تتعقَّله، ولا كانت شيئًا لا يُعقَل، تخيلاً رومانسيًّا ما؛ كانت واقعيةً واقعيةَ تلك التلال وتلك الأصوات التي ينادى بعضها بعضًا. كانت تأمُّل الحياة بأسره، والوهم يوجد فقط حين يكفُّ وَقْع الواقع. تلك الغيمة المترعة بالضياء حقيقة ليس لجمالها وَقْع صاخب على ذهن يجعله التأثير والعادة والبحث الدائم عن الأمان بليدًا وعديم الحساسية . الأمان في الشهرة، في العلاقة، في المعرفة، يخرِّب الحساسية، فيتسرب التلف .أما تلك الزهرة، تلك التلال، والبحر الأزرق الذي لا يعرف الكلل، فهي تحدي الحياة، شأنها شأن القنابل النووية، ووحده ذهن حساس قادر أن يستجيب لها استجابة كلِّية؛ وحدها استجابة كلِّية لا تترك علامات نزاع، بينما النزاع يدل على استجابة جزئية.

لقد ساهم القديسون والسنِّياسي]النساك [المزعومون في تبلُّد الذهن وفي تخريب الحساسية. كل عادة، كل تكرار، كل طقس – يقوِّيه الاعتقاد والعقيدة، تقوِّيه الاستجابة الحسية – يمكن صقله وهو يُصقَل فعلاً؛ أما الوعي المتيقظ، أما الحساسية، فقضية أخرى تمامًا .الحساسية ضرورية ضرورة مطلقة للنظر العميق في الداخل. وحركة التوغل في الداخل هذه ليست ردَّ فعل على الظاهر؛ فالظاهر والباطن هما الحركة ذاتها – إنهما ليسا منفصلين. إن تقسيم هذه الحركة إلى ظاهر وباطن يولد انعدام الحساسية. التوغل في الداخل هو التدفق الطبيعي للظاهر؛ ولحركة الباطن فعلها الخاص الذي يعبَّر عنه خارجيًّا، لكنه ليس ردَّ فعل على الظاهر. ووعي هذه الحركة ككل هو الحساسية.

31 تشرين الأول

كان مساء جميلاً؛ الهواء نظيف، التلال زرقاء وبنفسجية وأرجوانية داكنة؛ حقول الرز نالت نصيبًا وافرًا من الماء، وخضرتها الغنية تتراوح بين الأخضر الفاتح والداكن الوهاج مرورًا بالمعدني. بعض الأشجار كان قد انسحب لقضاء الليل، فكانت داكنة وصامتة، بينما بعضها الآخر لا يزال مفتوحًا ومحتفظًا بضياء النهار. كانت الغيمات فوق التلال الغربية سوداء، وشمالاً وشرقًا كانت الغيوم ممتلئة بانعكاس شمس المساء التي غربت وراء التلال الأرجوانية الجاثمة. ما من أحد على الطريق، والمارة القلائل صامتون، وما من رقعة سماء زرقاء، والغيوم تتجمع لقضاء الليل. مع ذلك، بدا كل شيء يقظًا: الصخور، مجرى النهر الجاف، الشجيرات في الضوء الخافت.

التأمل، على طول ذلك الطريق الهادئ والخالي، جاء مثل مطر لطيف على التلال؛ قدومه كان في مثل سهولة حلول الليل وطبيعيته. لم يكن هناك جهد من أي نوع ولا أي سيطرة، بأصناف تركيزها وألهياتها؛ لم يكن هناك أي نهج ومسعى، أي إنكار أو قبول، ولا أي استمرار للذاكرة في التأمل. كان المخ واعيًا بما يحيط به، لكنه هادئ من غير استجابة، عديم التأثر، لكنه يتعرف [إلى الأشياء] من غير أن يستجيب. كان هادئًا للغاية، والكلمات قد توارت مع الفكر. وكانت حاضرةً تلك الطاقة الغريبة – سمِّها أي اسم آخر تشاء، فلا أهمية لذلك إطلاقًا –، عميقةَ الفعل، من دون أي غرض أو قصد؛ كانت إبداعًا، من دون القماش والرخام، ومدمِّرة؛ لم تكن وليدة المخ البشري، تعبيرًا وتلفًا. لم يكن يجوز الاقتراب منها بغرض تصنيفها وتحليلها، والفكر والشعور ليسا أداتَي فهمها. لم تكن على علاقة مطلقًا بأي شيء وفريدة كليًّا في اتساعها وهولها. ولدى السير على طول ذلك الطريق الذي تخيم عليه الظلمة، كان هناك وَجْد المحال، لا وَجْد الإنجاز، الوصول، النجاح، وسائر تلك الطلبات الفجة واستجاباتها، بل فرادة المحال. الممكن آلي والمحال يمكن النظر فيه، تجريبه، وربما بلوغه، فيصير بدوره آليًّا. لكن ذاك الوَجْد كان بلا سبب، بلا علة. كان ببساطة حاضرًا، لا كتجربة بل كواقع، لا لكي يُقبَل أو يُنكَر، لا لكي يُشبَع نقاشًا وتشريحًا. لم يكن شيئًا يُسعى في طلبه، إذ ما من درب يؤدي إليه. على كل شيء أن يموت حتى يكون، موتًا، دمارًا، هو المحبة.

كان فلاح فقير مكدود، في ثياب متسخة، عائدًا إلى بيته مع بقرته النحيلة.

2 تشرين الثاني

صارت السماء غائمة جدًّا، والتلال كلها مثقلة بالغيوم المتكدسة في كل اتجاه. السماء تبصق مطرًا، وما من رقعة زرقاء في أي مكان؛ الشمس قد غربت في الظلمة، والأشجار أبية ونائية. هناك نخلة عريقة واقفة صامدةً أمام السماء المدلهمة، متمسكةً بكل ما تبقى من الضوء. مجاري النهر صامتة، رملها الأحمر رطيب، لكن الأغنية انعدمت؛ الطيور قد سكتت، مستجيرة بالأغصان الكثيفة. كان نسيم يهب من الشمال الشرقي، ومعه جاء المزيد من الغيوم القاتمة ورشيش المطر، لكن الهطول لم يكن قد بدأ غزيرًا بعدُ؛ فذاك سيأتي لاحقًا في ضراوة متصاعدة. الطريق أمامنا خاو؛ كان أحمر، وعرًا، رمليًّا، والتلال الداكنة تشرف عليه من عَل. كان طريقًا لطيفًا تكاد لا تقع فيه على سيارات، والقرويون مع عرباتهم التي تجرها الثيران يمضون من قرية لأخرى. كان القرويون متسخين، هزيلي الأبدان، يرتدون أسمالاً، بطونهم ضامرة، لكنهم أشداء وذوو بأس؛ لقد عاشوا على هذا النحو قرونًا، وما من حكومة ستغير هذا كله بين ليلة وضحاها. بيد أن هؤلاء القوم كانوا ذوي ابتسامة، على الرغم من عيونهم المرهقة. كان بمقدورهم أن يرقصوا بعد عمل يوم شاق؛ كانت فيهم نار، وليسوا مغلوبين على أمرهم حتى اليأس. فالأرض لم تكن قد نالت نصيبًا طيبًا من الأمطار منذ سنوات عديدة، ولعل هذه السنة واحدة من السنوات الميمونة التي قد تجلب طعامًا أكثر لهم وعلفًا أكثر لمواشيهم القليلة .ومضى الطريق وانضم عند فم الوادي إلى الطريق الأوسع الذي تسير عليه بضع حافلات وسيارات. وعلى هذا الطريق، بعيدًا، كانت تجثم المدن بقذارتها، مصانعها، منازلها الغنية، معابدها، وأذهانها البليدة. أما هنا، على هذا الطريق المفتوح، فهناك الوحدة والتلال العديدة، مليئة بالعمر وبعدم الاكتراث.

* * *

ولدى السير على ذلك الطريق، كان هناك فراغ تام للمخ، والذهن خالص من كل خبرة، من معرفة الأمس، مع أن ألف أمس انقضت عليه. الزمن، وليد الفكر، كان قد توقف؛ حرفيًّا لم تكن هناك أي حركة قبل وبعد؛ لم يكن ثمة أي ذهاب أو وصول أو وقوف ساكن. المكان كمسافة انعدم؛ كانت هناك التلال والشجيرات، لكنْ ليس بوصفها عالية أو واطئة. لم تكن ثمة علاقة مع أي شيء، ولكنْ كان هناك وعي بالجسر وبعابر السبيل. كلِّية الذهن، بما فيه المخ بخواطره ومشاعره، كانت فارغة؛ ولأنها كانت فارغة، كانت هناك طاقة، طاقة متعمقة ومتسعة من غير قياس. كل مقارنة، كل مقياس، فهو ينتمي إلى الفكر، وبالتالي إلى الزمن. *الآخرية* كانت الذهن بلا زمن؛ كانت نسمة البراءة والشساعة. الكلمات ليست الحقيقة؛ إنها مجرد وسائل للتواصل، لكنها ليست البراءة واللامقيس. وحده كان الفراغ.

الاسترفاع

السائل :هل لك أن تشرح لي كيف يتغلب الذهن على الجسم بحيث يستطيع أن يرتفع عن الأرض؟

كريشنامورتي :هل أنت مهتم بهذا حقًّا؟ لا أدري لماذا تريد أن ترتفع عن الأرض؟ تعرفون، أيها السادة، أن الذهن يطلب دومًا شيئًا سريًّا، شيئًا خفيًّا، شيئًا لن يكتشفه أحد إلاك، ويمنحك ذلك إحساسًا هائلاً بالأهمية، بالغرور، بالنفوذ – تراك تصير "الصوفي"! غير أن هناك سرًّا حقيقيًّا، شيئًا قدسيًّا حقًّا، حين تتفهم كلية هذه الحياة، هذا الوجود بأسره. وفي ذاك جمال عظيم، فرح عظيم .ثمة شيء هائل يدعى *اللامقيس* .لكن عليك أن تتفهم المقيس [أولاً]. واللامقيس ليس ضد المقيس.

هناك صور متوفرة لأناس ارتفعوا عن الأرض. لقد شهد المتكلم ذلك وغيره من الأمور عديمة الأهمية. فإذا كنتَ مهتمًّا بالاسترفاع حقًّا – ولا أدري لماذا تهتم به أصلاً، لكنك إذا كنتَ مهتمًّا – لا مناص لك من أن تكون صاحب جسم عالي الحساسية: عليك أن تقلع عن الشرب والتدخين، عن تعاطي المخدرات وعن أكل اللحم. يجب أن تكون ذا جسم طيِّع تمامًا، جسم صحيح، يتحلى بذكائه الخاص، لا بالذكاء الذي يمليه الذهن على الجسم. فإذا قمت بذلك كلِّه، لعلك واجد عند ذاك أن الاسترفاع لا قيمة له على الإطلاق!

لندن، 16 أيار 1970

البيئة والنزاع

يبدو لي هامًّا فهمُ أن النزاع، من أي نوع كان، لا يثمر تفكيرًا مبدعًا. فإلى أن نفهم النزاع وطبيعة النزاع، وما هو الشيء الذي يتنازع المرء معه، فإن مجرد التصارع مع مشكلة، أو مع خلفية أو بيئة بعينها، لا جدوى منه إطلاقًا. فكما أن جميع الحروب تسبب التدهور وتثمر حتمًا مزيدًا من الحروب، مزيدًا من البؤس، كذلك مصارعة النزاع تقود هي الأخرى إلى مزيد من البلبلة. بذا فإن النزاع ضمن النفس، مُسقَطًا على الخارج، يسبب البلبلة في العالم. لذا من الضروري – أليس كذلك؟ – فهمُ النزاع ورؤيةُ أن النزاع، من أي نوع كان، ليس مثمرًا لتفكير مبدع، لكائنات إنسانية سليمة .ومع ذلك، فإن حياتنا برمتها مهدورة في الصراع، وترانا نظن أن الصراع جزء ضروري من الوجود. هناك نزاع ضمن النفس ومع البيئة – البيئة بوصفها المجتمع، الذي بدوره هو علاقتنا مع الناس ومع الأشياء ومع الأفكار. هذا الصراع يُعتبَر حتميًّا، وترانا نظن أن الصراع لا غنى عنه لسيرورة الوجود. والآن، هل الأمر كذلك فعلاً؟ وهل ثمة طريقة حياة تستغني عن الصراع، وتوجد فيها إمكانية الفهم من دون النزاع المعتاد؟ لا أدري إنْ كنت لحظت أنك كلما أمعنت في مصارعة مشكلة نفسانية، تراك تزداد بلبلة وتَعْلَق فيها أكثر، وأن الفهم لا يأتي إلا حين يكف الصراع، حين تتوقف سيرورة الفكر برمتها. وإذن، فعلينا أن نتحرى عما إذا كان النزاع لا غنى عنه، وعما إذا كان النزاع مثمرًا.

والآن، نحن نتكلم على النزاع في أنفسنا ومع البيئة .البيئة هي ما هو المرء إياه في نفسه. أنت والبيئة لستما سيرورتين اثنتين مختلفتين؛ أنت البيئة، والبيئة أنت – وهذه واقعة واضحة. أنت مولود ضمن جماعة من الناس بعينها، سواء في الهند أو أمريكا أو روسيا أو إنكلترا، وتلك البيئة بالذات، بمؤثراتها الناجمة عن المناخ والتقاليد والأعراف الاجتماعية والدينية، هي التي تخلقك – وأنت تلك البيئة. وللتحري عن وجود شيء أكثر من مجرد نتاج البيئة، عليك أن تتحرر من البيئة، أن تتحرر من إشراطها. ذلك واضح، أليس كذلك؟ إذا نظرت في نفسك متأنيًا، سترى أن ولادتك في هذا البلد جعلت منك – مناخيًّا، اجتماعيًّا، دينيًّا، واقتصاديًّا – ثمرته أو نتاجه. أي أنك مشروط. وللتحري عن وجود شيء أكثر، شيء أعظم من مجرد نتاج شرط، عليك أن تتحرر من ذلك الشرط. أما وأنك مشروط، فإن الاستفسار عن وجود شيء أكثر، شيء أعظم من مجرد ثمرة البيئة، لا معنى له. من الواضح أننا يجب أن نتحرر من الشرط، من البيئة، وعندئذ فقط يمكن لنا أن نكتشف إذا كان هناك شيء أكثر. والجزم بوجود شيء أكثر أو بعدم وجوده هو قطعًا طريقة مغلوطة في التفكير. على المرء أن يكتشف بنفسه، وليكتشف، عليه أن يختبر.

*

إذن، ونحن نتمعن في هذه المسائل، فلنضعْ – رجاءً – نصب أعيننا أننا ننهض لرحلة معًا لاكتشاف الأشياء معًا؛ لذا، لا خطر هنا من علاقة التلميذ والمعلم. أنت لست هنا بصفتك المُشاهد لتراني أمثِّل دورًا؛ كلانا يمثِّل، وبالتالي، ما من أحد منا يستغل الآخر.

نيودلهي، 28 تشرين الثاني 1948

التربية والطبيعة من رسائل إلى المدارس

1 تشرين الثاني 1983

من المؤكد تمامًا أن المربين واعون لما يحدث فعليًّا في العالم. الناس منقسمون عرقيًّا، دينيًّا، سياسيًّا، اقتصاديًّا، وفي هذا الانقسام تفتيت؛ إنه يسبِّب فوضى هائلة في العالم: الحروب، وشتى أنواع التضليل السياسي، إلى آخر ما هنالك. هناك تفشٍّ للعنف، الإنسان ضد الإنسان – هذه هي الحال الفعلية للبلبلة في العالم، في المجتمع الذي نعيش فيه. هذا المجتمع يخلقه البشر أجمعون بثقافاتهم، بانقساماتهم اللغوية، بانفصالهم الإقليمي. وهذا كله لا يولِّد البلبلة وحسب، بل الكراهية، كمٌّ هائل من العداء، والمزيد من التباينات اللغوية. هذا ما يحدث، ومسؤولية المربي عظيمة للغاية حقًّا.

*

ماذا تفعل هذه التربية فعليًّا؟ أتراها حقًّا تساعد الإنسان أو أبناءه أن يصبحوا أكثر مبالاة، ألطف أو أكرم؟ أتراها تساعده أن لا يرتد إلى النموذج القديم، إلى بشاعة هذا العالم وخُبثه الماضيين؟ إذا كان [المربي] مباليًا حقًّا، كما يجب أن يكون، عليه عندئذ أن يساعد الطالب على اكتشاف علاقته بالعالم، لا بعالم الخيال أو العاطفة الرومانسية، بل بالعالم الواقعي الذي تجري فيه الأشياء كلها؛ وكذلك بعالم الطبيعة، بالصحراء، بالغاب، أو بالأشجار القليلة التي تحيط به، وبحيوانات العالم .الحيوانات – لحسن الحظ – ليست قومية: إنها لا تصطاد إلا للبقاء حية. فإذا فقد المربي والطالب علاقتهما بالطبيعة، بالأشجار، بالبحر المائج، فإن كلاً منهما سيفقد قطعًا علاقته مع الإنسان.

ما هي الطبيعة؟ هناك كمٌّ كبير من الكلام على الطبيعة والسعي في حمايتها، الحيوانات، الطيور، الحيتان والدلافين، في تنظيف الأنهار الملوثة، البحيرات، الحقول الخضراء، إلى ما هنالك. الطبيعة ليست من تجميع الفكر، كما هو شأن الدين، كما هو شأن المعتقَد. الطبيعة هي النمر، ذلك الحيوان الخارق بطاقته، بحسِّه العظيم بالقوة. الطبيعة هي الشجرة المتوحدة في الحقل، هي المروج والبساتين؛ إنها ذلك السنجاب المختبئ على خَفَر وراء غصن. الطبيعة هي النملة والنحلة وسائر أشياء الأرض الحية .الطبيعة هي النهر، لا نهر بعينه، سواء كان الغانج أو التامس أو الميسيسيبي . الطبيعة هي تلك الجبال كلها، المكللة بالثلج، مع الوديان الداكنة الزرقة وسلسلة التلال التي تُلاقي البحر. ... على المرء أن يعطف على هذا كله، فلا يدمِّره، ولا يقتل من أجل لذته.

*

الطبيعة جزء من حياتنا. لقد نشأنا من البذرة، من الأرض، ونحن جزء من ذلك كله؛ لكننا مابرحنا نفقد الإحساس بأننا حيوانات كسائر الحيوانات الأخرى. هل بوسعك أن تعطف على تلك الشجرة؟ انظرْ إليها، عاينْ جمالها، أصغ إلى الصوت الصادر منها؛ كن حساسًا بالنبتة الصغيرة، بالعشبة البرية الضئيلة، بتلك الدويبة التي تتسلق الجدار، بالضوء على أوراق الشجر وبالظلال الكثيفة. عليك أن تعي هذا كله وتتصف بذلك الإحساس بالوصال مع الطبيعة من حولك. قد تعيش في بلدة، لكن عندك أشجار متناثرة هنا وهناك. قد تعاني زهرة في الحديقة المجاورة سوء العناية، فتختنق وسط الأعشاب البرية، لكنْ انظرْ إليها، اشعرْ بأنك جزء من ذاك كله، جزء من الأشياء الحية كلها .إذا آذيت الطبيعة فأنت تؤذي نفسك.

هذا كله، كما تعلمون، قيل من قبلُ بأساليب مختلفة، لكنْ لا يبدو علينا أننا نولي الكثير من الانتباه. فهل إننا عالقون في شبكة مشكلاتنا نحن، رغباتنا نحن، دوافعنا نحن إلى اللذة والألم، إلى حدٍّ أننا لا ننظر حولنا أبدًا، لا نراقب القمر أبدًا؟ راقبْه. راقبْ بعينيك وأذنيك جميعًا، بحاسة الشم لديك. راقبْ. انظرْ كما لو أنك تنظر للمرة الأولى. إذا استطعت أن تفعل ذلك، فأنت ترى تلك الشجرة، ذاك الدغل، نصل العشب ذلك، للمرة الأولى. إذ ذاك تستطيع أن ترى مدرِّسك، أمك وأباك، شقيقك وشقيقتك، للمرة الأولى. هناك عند ذاك شعور خارق: العَجَب، الغرابة، معجزة صباح طازج لم يكن من قبلُ قط، ولن يكون أبدًا. كنْ حقًّا على وصال مع الطبيعة، غير عالق لفظيًّا في وصفها، بل كن جزءًا منها، كن واعيًا، اشعرْ بأنك تنتمي إلى ذاك كله، كنْ قادرًا أن تُكِنَّ محبةً لذاك كله، أن تعجب لمرأى غزال، لمرأى الضب على الجدار، لمرأى ذلك الغصن المكسور المرتمي على الأرض. انظرْ إلى نجمة المساء أو القمر الوليد، من غير الكلمة، من غير أن تكتفي بمجرد قولك" :ما أجمله!"، ثم تُدبر عنه، وقد جذبك شيءٌ آخر، بل راقبْ تلك النجمة المتوحدة والقمر الوليد الرقيق كما لو للمرة الأولى. إذا كان ثمة وصال كهذا بينك وبين الطبيعة، يمكن لك عندئذ أن تتواصل مع الإنسان، مع الصبي الجالس إلى جانبك، مع مربيك، أو مع والديك. ترانا لم نفقد فقط كل حسٍّ بالعلاقة خال من التصريح اللفظي بالمودة والمبالاة، بل وهذا الإحساس بالوصال الذي ليس لفظيًّا. إنه إحساس بأننا جميعًا معًا، بأننا جميعًا بشر، غير منقسمين، غير مفتتين، غير منتمين إلى أي جماعة بعينها أو عرق بعينه، أو إلى تصورات مثالية ما، بل بأننا جميعًا بشر، نحيا جميعًا على هذه الأرض الخارقة، البديعة.

*

على المربي أن يتكلم على هذه الأشياء كلها، ليس لفظيًّا فقط، بل يجب عليه أن يشعر به بنفسه – العالم، عالم الطبيعة وعالم الإنسان .فهما مترابطان. ليس بمستطاع الإنسان أن يتهرب من ذلك. عندما يدمر الطبيعة فهو يدمر نفسه. عندما يقتل سواه فهو يقتل نفسه. العدو ليس الآخر، بل هو *أنت* .الحياة على مثل هذا التناغم مع الطبيعة، مع العالم، يجلب، بطبيعة الحال، عالمًا مختلفًا.

15تشرين الثاني 1983

إنك لَتتعلم الكثير من المراقبة – مراقبة الأشياء من حولك، مراقبة العصافير، الأشجار، مراقبة السماوات، النجوم، كوكبة الجبار، الدب، نجمة المساء. إنك لَتتعلم من مجرد المراقبة، لا من مراقبة الأشياء من حولك وحسب، بل ومن مراقبة الناس أيضًا: كيف يمشون، كيف يومئون، أي كلمات يستعملون، ماذا يلبسون من ثياب. وأنت لا تراقب ما هو في الخارج وحسب، بل وتراقب نفسك أيضًا، لماذا تفكر في هذا أو ذاك، كيف تتصرف، كيف تسلك في حياتك اليومية، لماذا يريدك الوالدان أن تفعل هذا أو ذاك. أنت تراقب، ولا تقاوم. إذا قاومت فلن تتعلم. أو تراك إذا توصلت إلى نوع من الاستنتاج النهائي، إلى رأي ما تظنُّه صائبًا، وتشبثت به، إذ ذاك، بطبيعة الحال، لن تتعلم أبدًا. الحرية ضرورية للتعلم، وكذلك حب الاستطلاع، الإحساس بأنك تريد أن تعرف لماذا تتصرف أنت أو الآخرون على نحو بعينه، لماذا يغضب الناس، لماذا يعتريك انزعاج.

*

والداك – خصوصًا في الشرق – يأمرانك بمن يجب أن تتزوج ويرتبون لك أمر الزيجة؛ يأمرانك بما يجب أن تكون عليه سيرتك المهنية. وهكذا فإن المخ يقبل بالطريق السهل، والطريق السهل ليس الطريق الصائب دومًا .أتساءل إن كنت قد لحظت بأنه لم يعد أحد يحب عمله، ماعدا، ربما، ثلة من العلماء والفنانين والآثاريين. لكن الإنسان العادي، المتوسط، قلما يحب ما يفعل؛ إنه عبد مأمور للمجتمع، لوالديه، أو للدافع إلى كسب مزيد من المال .وإذن، تعلَّمْ أن تراقب العالم الظاهري مراقبة دقيقة للغاية، العالم خارجك، والعالم الباطني – أي عالم نفسك.

الحياة من غير أذى

السائل :كيف يمكن للواحد منا أن يعيش على هذه الأرض من غير أذى أو تدمير لجمالها، من غير جلب الشقاء والموت على الآخرين؟

كريشنامورتي :هل سبق لك أن طرحت هذا السؤال يومًا؟ فعليًّا؟ ليس نظريًّا، بل فعليًّا، هل تراك طرحت ذاك السؤال، واجهتَه؟ لا تتهرب منه، لا تفسِّره بأن الشقاء ضروري، وما إلى ذلك، بل انظرْ إليه، جابهْه. هل سبق لك أن طرحت مثل هذا السؤال يومًا؟ ليس جماهيريًّا، ليس للقيام بمظاهرة ضد سياسي بعينه يريد أن يدمر حديقة وطنية، أو هذا أو ذاك. طرحُك مثل هذا السؤال يعني أنك تحترق به، أنه شيء هائل الواقعية، لا مجرد سؤال تخيُّلي تصرف به وقت النهار] .المسألة هي] الحياة على هذه الأرض، بجمالها الخارق، وعدم تدميرها، [هي [إنهاء الأسى، وعدم قتل إنسان آخر، عدم قتل أي شيء حي. هناك طائفة معينة في الهند وسيلة النقل عندهم هي المشي؛ إنهم لا يستقلون قطارات، ولا طائرات، ولا عربات، ويضعون قناعًا لكيلا يقتلوا حشرة بالتنفس. بعض تلك الجماعة أتوا لرؤية المتكلم وساروا ثمانمائة ميل! وهم يأبون القتل.

وهناك مَن يقتلون: يقتلون على سبيل الرياضة، يقتلون على سبيل التسلية، يقتلون للانتفاع – صناعة اللحم برمتها. هناك مَن يدمرون الأرض، يبثون الغازات السامة، يلوثون الهواء والمياه، ويلوثون بعضهم بعضًا .هذا ما بتنا نفعله بالأرض وبأنفسنا.

فهل بوسعنا أن نحيا على هذه الأرض، بجمالها العظيم، ولا نجلب الشقاء أو الموت على الآخرين؟ إنه سؤال جدي للغاية. أن نحيا حياتنا من غير أن نتسبب بالشقاء أو الموت للآخرين – ذاك يعني عدم قتل إنسان، كما يعني عدم قتل أي حيوان على سبيل الرياضة، أو من أجل طعامك. فهل تفهم هذا كله؟ هذه هي المسألة.

كانت هناك طبقة معينة من الناس في الهند لم يأكلوا لحمًا قط، إذ يعتقدون أن القتل خطيئة؛ وكانوا يسمَّون آنذاك بالبراهمة. والمدنية الغربية لم تستفسر قط إنْ كان القتل صوابًا، إنْ كان قتل أي شيء حي مبررًا. لقد دمر العالم الغربي عروقًا برمتها من الناس. صحيح؟ أميركا دمرت الهنود، اكتسحتهم لأنهم يريدون أرضهم، إلى آخر القصة. فهل بوسعنا أن نحيا على هذه الأرض من دون قتل، من دون حرب؟ بوسعي أن أجيب عن هذا السؤال، ولكن ما قيمة الجواب بنظرك عندئذ إذا كنت تقتل؟ لا أقول هذا تأييدًا للمذهب النباتي. (كتب أحد الكتاب منذ مدة: "بات المذهب النباتي يسري سريان الوباء في بلادنا"!) لكنك تقتل الملفوفة؛ ومنه، أين ترسم الخط الفاصل؟ وهل تراك تجعل الأمر مشكلة؟ أتفهم سؤالي؟

إذا كنت تعارض الحرب – مثلما يعارضها بعض البشر، والمتكلم منهم، يعارضون قتل بشر سواهم مهما يكن السبب – لا يجوز لك أن ترسل رسالة بالبريد! إذ إن جزءًا من ثمن الطابع البريدي الذي تشتريه، من ثمن الطعام الذي تحصل عليه، يذهب للدفاع، للتسلح. إذا اشتريت بنزينًا ("غازًا" [كما يقال] في هذا البلد)، فإن جزءًا من ثمنه يموِّل ذلك، إلخ، إلخ. فماذا ستفعل إذن؟ إذا امتنعت عن دفع الضرائب، فمصيرك أن تغرَّم أو تودَع السجن .إذا لم تشتر طوابع أو غازًا، تراك لا تقدر أن تكتب رسائل ولا أن تسافر، وبذلك تحشر نفسك في زاوية؛ والعيش محشورًا في زاوية يبدو نوعًا ما بلا

طائل. فماذا ستفعل إذن؟ هل تراك تقول: "لن أسافر، لن أكتب رسالة"؟ فهذا كله يساعد على الإنفاق على الجيش والأسطول والتسلح – أتتابع؟ – عملية الابتزاز كلها. أم تراك تقارب المسألة مقاربة مختلفة؟

لماذا نقتل؟ قتلت الأديان، ولاسيما المسيحية، عددًا غفيرًا من الناس؛ لقد عذبوا الناس، رموهم بالزندقة، أحرقوهم. تعرفون تاريخ الأمر كله. المسلمون كذلك فعلوا ذلك. لعل الهندوس والبوذيين هم وحدهم القوم الذين لم يقتلوا – فدينهم يحرِّم القتل.

كيف يمكن للواحد منا أن يحيا على هذه الأرض من غير أن يقتل سواه ويتسبب في شقائه؟ التوغل في هذه المسألة توغلاً عميقًا حقًّا عملية جدية للغاية. فهل توجد صفة المحبة تلك التي تجيب عن هذا السؤال؟ إذا أحببتَ إنسانًا آخر، أتطاوعك نفسُك على قتل ذلك الشخص؟ أتراك عند ذاك تقتل أي شيء؟ – إلا عندما تحتاج إلى طعام بعينه، خضارًا وبقولاً إلخ، ولكن، ماعدا ذلك، أتراك تقتل أي شيء؟ توغلْ في هذه المسائل كلها، وعِش الأمر، بحق الله، ولا تكتف بمجرد الحديث عنه!

إن ما يقسِّم العالم هي المُثُل، إيديولوجيا جماعة بعينها ضد أخرى، هذا التقسيم المستمر على ما يبدو بين الرجل والمرأة، إلى آخر ما هنالك. لقد حاولوا ردم هذه الهوة عبر المنطق، عبر العقل، عبر مختلف الهيئات والمؤسسات والمنظمات، ولم يفلحوا في ذلك من أي سبيل. هذا واقع .والمعرفة هي الأخرى لم تحل هذه المشكلة – المعرفة بمعنى الخبرة المتراكمة، إلى آخر ما هنالك. والفكر قطعًا لم يحل هذه المشكلة.

هنالك إذن مخرج واحد منها: اكتشاف ماهية الحب. الحب ليس الرغبة، الحب ليس الاستئثار، الحب ليس النشاط الأناني المتمركز على الذات :أنا أولاً وأنت ثانيًا. ولكن تلك المحبة، على ما يبدو، لا معنى لها بنظر أغلب الناس؛ قد يكتبون فيها الكتب، لكن لا معنى لها [بنظرهم]. لذا يحاولون أن يخترعوا تلك الصفة، ذاك العطر، تلك النار، تلك الرحمة. وللرحمة فطنتها، أي الفطنة العليا. وحين تسود تلك الفطنة، المولودة من الرحمة، من المحبة، إذ ذاك تنحل هذه المشكلات كلها حلاً بسيطًا، هادئًا. لكننا لا نتابع السؤال حتى آخره؛ قد نتابعه فكريًّا، لفظيًّا فقط. أما إذا فعلت ذلك بقلبك، بذهنك، يؤيدهما شغفك، إذ ذاك فإن الأرض ستبقى جميلة. وعند ذاك يسود شعور عظيم بالجمال في النفس.

أوهَيْ، 24 أيار 1984

الخروج على بنية المجتمع

حينما يرصد المرء ما يحدث في العالم، الشواش والبلبلة وتوحُّش الإنسان بالإنسان الذي لم يقوَ أي دين أو نظام اجتماعي – أو ربما فوضى اجتماعية! – على الحيلولة دونه، حينما يرصد نشاطات رجال السياسة والاقتصاد والمصلحين الاجتماعيين في العالم أجمع، يرى بأنهم جلبوا المزيد المزيد من البلبلة، المزيد المزيد من البؤس. الأديان، أي المعتقدات المنظمة، قطعًا لم تساعد من أي وجه على جلب النظام والسعادة العميقة المقيمة إلى الإنسان. ولا اليوطوبيات، سواء الشيوعية أو تلك المجموعات الأقلية التي شكلت جماعات، أفلحت في جلب أي وضوح عميق دائم إلى الإنسان .ويحتاج المرء إلى ثورة هائلة في العالم أجمع؛ فحصول تغيير عظيم أمر ضروري .ونحن لا نعني بذلك ثورة خارجية، بل ثورة داخلية على المستوى النفسي، أضحت بوضوح الأمل الأوحد، الخلاص الأوحد – إذا جاز لنا أن نستعمل هذه الكلمة – للإنسان. لقد جلبت الإيديولوجيات الوحشية، جلبت مختلف صنوف القتل والحروب؛ فالإيديولوجيات، مهما بدت نبيلة، هي في الواقع وبيلة للغاية. لا بدَّ من طفرة كلية في بنية خلايا مخنا نفسها، في بنية الفكر نفسها. ولإحداث مثل هذه الطفرة أو الثورة أو التغيير العميق الدائم، يحتاج المرء إلى مقدار كبير من الطاقة. يحتاج المرء إلى دافع، إلى عزيمة متواصلة ثابتة، لا إلى الاهتمام العارض أو الحماس الزائل الذي يولِّد نوعًا من الطاقة، لكنها لا تلبث أن تتبدد... وتلك الطاقة ما برح الإنسان يأمل أن يحصل عليها عبر المقاومة، عبر الانضباط، المحاكاة، الانصياع الدائم... ومع ذلك، فإن تلك المقاومة، ذلك الانصياع أو الانضباط، مجرد التكيف مع فكرة، لم يمنح الإنسان تلك الطاقة والقوة الضروريتين. لذا على المرء أن يجد عملاً مختلفًا من شأنه أن يجلب هذه الطاقة الضرورية.

في بنية المجتمع الراهنة هذه، في علاقتنا بين إنسان وإنسان، كلما زاد عملنا، تناقَص مقدار الطاقة لدينا. إذ إن في ذلك العمل تناقضًا، تجزئة؛ وبهذا يكون العمل جالبًا للنزاع، وبالتالي، يهدر الطاقة .على المرء أن يجد الطاقة المستديمة، الثابتة، التي لا تتلاشى. وأعتقد أن مثل هذا العمل الذي يولِّد هذه الخاصية الحيوية الضرورية لإحداث ثورة جذرية في الذهن متاح.

العمل – أي "الفعل"، النشاط –، عند غالبيتنا، يحدث تبعًا لفكرة، لوصفة جاهزة أو مفهوم. إذا رصدت نشاطاتك، حركتك اليومية فاعلةً، لرأيت أنك صغت فكرة أو إيديولوجيا، فتراك تعمل تبعًا لها. ومنه، هنالك انقسام بين فكرتك عما يجب عليك أن تفعل، أو عما يجب عليك أن تكون، أو كيف يجب عليك أن تعمل، وبين العمل *الفعلي*؛ بوسعكم أن تروا ذلك في أنفسكم رؤية واضحة للغاية. فالعمل، إذن، هو دومًا تقريب من الوصفة، من المفهوم، من المثال. وهناك انقسام، فصل، بين ما يجب أن يكون وبين *ما هو*، مما يسبب الثنائية، وبالتالي هناك نزاع.

رجاءً، لا تكتف بمجرد الاستماع إلى سلسلة من الكلمات – فالكلمات لا معنى لها بحدِّ ذاتها، الكلمات لم تُحدث قط أي تغيير جذري في الإنسان؛ بمقدورك أن تكدس الكلمات، أن تضفر منها إكليلاً، كما تفعل غالبيتنا، فتقتات بالكلمات، لكنها مجرد رماد، وهي لا تجلب الجمال إلى الحياة. الكلمات لا تجلب المحبة، وإذا اكتفيت بمجرد الاستماع إلى سلسلة من الأفكار أو الكلمات، إذ ذاك، أخشى ما أخشاه هو أنك ستذهب خالي الوفاض. أما إذا أصغيت، لا إلى المتكلم وحسب، بل إلى خواطرك أنت، أصغيت إلى طريقتك في الحياة، أصغيت إلى ما يقال، لا كشيء خارجك، بل كشيء يحدث فعليًّا في باطنك، لرأيت عند ذاك حقيقة – أو زيف – ما يقال. على المرء أن يرى ما هو صادق وما هو كاذب بنفسه، لا عبر سواه. ولكي تكتشف ذلك، عليك أن تصغي، عليك أن تولي عنايتك، مودتك، انتباهك، ما يعني أن تكون جديًّا للغاية. والحياة تتطلب أن نكون جديين، لأن الذهن الجدي للغاية وحده ينال الحياة – ينال فيضًا من الحياة؛ أما الفضولي، المفكر، الانفعالي، العاطفي، فليس له من الحياة نصيب.

نحن بحاجة إلى طاقة هائلة لإحداث تغيير نفساني في أنفسنا كبشر، لأننا طالما عشنا في عالم من التظاهُر، في عالم من الوحشية، العنف، اليأس، القلق. فلكي يحيا المرء حياة إنسانية، صحيحة، عليه أن يتغير. ولكي يُحدث تغييرًا في باطن نفسه، وبالتالي ضمن المجتمع، فهو بحاجة إلى هذه الطاقة الجذرية؛ إذ إن الفرد لا يختلف عن المجتمع: المجتمع هو الفرد والفرد هو

المجتمع. ولإحداث التغيير الجذري، الجوهري، الضروري في بنية المجتمع – وهو فاسد، فاجر – لا بدَّ من تغيير في قلب الإنسان وذهنه. ولإحداث ذاك التغيير، تراك تحتاج إلى طاقة عظيمة؛ وتلك الطاقة تنتفي أو تحرَّف أو يُتلاعَب بها حين تعمل وفقًا لمفهوم، وهو ما نفعله في حياتنا اليومية .فالمفهوم يقوم على التاريخ الماضي، أو على استنتاج ما، وهو، بالتالي، ليس عملاً على الإطلاق، بل تقريب من وصفة جاهزة.

ومنه، يتساءل المرء إنْ كان هناك عمل لا يقوم على فكرة، على استنتاج تشكِّله أشياء الماضي الميتة.

*

أجل، يوجد مثل هذا العمل. وإقرار هذا ليس خلق فكرة جديدة. على المرء أن يكتشف ذاك العمل بنفسه؛ ولكي يكتشف، عليه أن يبدأ بالضبط من بداية سلوكنا البشري، من خاصية ذهننا البشري نفسها. أي أننا لسنا وحدنا أبدًا: قد نتمشى في غابة بمفردنا، لكننا لسنا وحدنا أبدًا. قد تكون مع أسرتك، في المجتمع، لكن الذهن البشري من الإشراط بالخبرة والمعرفة والذاكرة الماضية بحيث إنه لا يعرف ماهية أن يكون المرء وحده. والمرء يخشى أن يكون وحده لأن الوحدة تقتضي – ألا تقتضي؟ – أن يكون المرء خارج المجتمع .قد يعيش المرء في المجتمع، لكن عليه أن يكون خارجًا على المجتمع. وحتى يكون خارجًا على المجتمع، عليه أن يكون حرًّا من المجتمع. المجتمع يتطلب منك أن تعمل تبعًا لفكرة؛ فهذا كل ما يعرفه المجتمع، هذا كل ما يعرفه البشر: الانصياع، المحاكاة، القبول، الطاعة. وعندما يتقبل المرء ما يمليه الموروث، تراه ينصاع للنموذج الذي وضعه المجتمع (ما يعني أن البشر هم الذين وضعوه)، فيكون جزءًا من كل هذا الوجود البشري المشروط الذي يهدر طاقته عبر الجهد الدائم، عبر النزاع والبلبلة والبؤس الدائم. فهل من الممكن للبشر أن يكونوا أحرارًا من هذه البلبلة، من هذا النزاع؟

هذا النزاع، أساسًا، هو بين العمل وبين ما يجب أن يكونه ذلك العمل. والمرء يرصد داخل نفسه، كما يجدر به أن يفعل، كيف لا ينفك النزاع يستنزف الطاقة. إن البنية الاجتماعية بكاملها – التي يجب أن تكون تنافسية، عدوانية، [تتضمن] مقارنة المرء نفسَه بغيره، قبول إيديولوجيا، معتقد، وهكذا – تقوم على النزاع، ليس داخل المرء وحسب، بل في الخارج أيضًا .ثم نقول: "إذا انعدم النزاع ضمن النفس، إذا انعدم الصراع والقتال، سنصير كالحيوانات، سنصير كسالى" – وهو ليس الواقع الفعلي. ترانا لا نعرف أي نوع آخر من الحياة غير الحياة التي نعيشها، وهي الصراع الدائم من اللحظة التي نولد فيها حتى نموت؛ هكذا كل ما نعرفه.

حينما يرصد المرء ذلك، يمكن له أن يرى أي هدر للطاقة هو .لذا على المرء أن يستخلص نفسه من هذه الفوضى الاجتماعية، من هذا الفجور الاجتماعي – ما يعني أن على المرء أن يكون وحده. مع أنك قد تعيش في المجتمع، فأنت لم تعد تتقبل بنيته وقيمه – الوحشية، الحسد، الغيرة، روح التنافس – وبالتالي، أنت وحدك، وحين تكون وحدك فأنت ناضج. النضج لا يمت إلى العمر بصلة.

في العالم أجمع، هنالك تمرُّد، لكن ذلك التمرد لا يتم عبر فهم بنية المجتمع برمتها، وهي ذاتك أنت. ذلك التمرد مجزأ؛ أي أن المرء قد يتمرد على حرب بعينها، أو يقاتل سواه ويقتله في حربه المفضلة، أو يكون مؤمنًا دينيًّا ينتمي إلى ثقافة أو جماعة بعينها – كاثوليكية، بروتستانتية، هندوسية، أو ما شئتم. لكن التمرد يعني التمرد على البنية *برمتها*، لا على جزء بعينه من تلك الثقافة. وحتى يفهم المرء هذه البنية برمتها، عليه أن يكون واعيًا بها أولاً، عليه أولاً أن ينظر إليها، أن يعيها – أي أن يكون واعيًا بها *من غير اختيار* .لا يجوز لك أن تختار جزءًا بعينه من المجتمع وتقول: "أستحب هذا، لا أستحب ذاك، هذا يسرُّني وذاك لا يسرُّني"؛ فأنت عندئذ تنصاع لنموذج بعينه وحسب وتقاوم النموذج الآخر، وبالتالي، لا تزال عالقًا بالصراع. لذا فإن المهم هو أولاً رؤية صورة هذا الوجود الإنساني برمتها، وجود حياتنا اليومي؛ رؤيتها – لا كفكرة، لا كمفهوم، بل وعيها فعليًّا كما يعي المرء أنه جائع. الجوع ليس فكرة، ليس مفهومًا، بل هو واقع. بالمثل، فإن رؤية هذه البلبلة، هذا البؤس، الصراع الدائم الذي لا ينتهي، عندما

يكون المرء واعيًا من غير اختيار بهذا الأمر كله، إذ ذاك، ينعدم النزاع تمامًا؛ إذ ذاك يكون المرء خارجًا على البنية الاجتماعية لأن الذهن قد استخلص نفسه من عبثية المجتمع.

*

الإنسان – أي كل واحد منا، أينما كنا نعيش – يريد، كما تعلمون، أن يجد حالاً ذهنية، حالاً من العيش، ليست كدحًا، ليست معركة. أنا واثق من أننا جميعًا، مهما نكن متواضعين أو مهما نكن مثقفين، نريد أن نجد طريقة حياة تكون منظمة، مليئة بالجمال والحب العظيم. فهذه كانت مدار بحث الإنسان طوال آلاف السنين، وبدلاً من أن يجدها، تراه استظهرها، وضعها في الخارج هناك، خلق آلهة، مخلِّصين، الكهنة بأفكارهم، وبذلك فوت على نفسه المسألة برمتها. على المرء أن يتنكر لذلك كله، أن يتنكر كليًّا للقبول بوجود السماء عبر سواه، أو عبر اتباع سواه. ما من أحد في العالم ولا في السماء بوسعه أن يهبك تلك الحياة. على المرء أن يشتغل في سبيلها – إلى ما لا نهاية.

*

أتساءل عما نعنيه بالموقف. لماذا نريد اتخاذ موقف؟ وماذا يعني الموقف؟ اتخاذ موقع، التوصل إلى استنتاج. عندي موقف من شيء ما، ما يعني أنني توصلت إلى استنتاج بعد دراسة المسألة، بعد التدقيق فيها، بعد التخطيط لها، بعد سبرها. لقد توصلت إلى هذه النقطة، إلى هذا الموقف، ما يعني أن مجرد اتخاذ موقف هو مقاومة؛ لذا فإن ذاك بحدِّ ذاته عنف. لا نقدر أن نتخذ موقفًا من العنف أو العداوة. فذاك يعني أنك تؤوِّلها تبعًا لاستنتاجك الشخصي، لهواك، لخيالك، لفهمك. ما نسأله هو التالي: هل من الممكن للمرء أن ينظر إلى هذه العداوة في نفسه، هذا الخلق للعدوانية في نفسه، هذا العنف، هذه الوحشية في نفسه، من دون أي موقف، أن يرى الواقع *كما* هو؟ فأنت ما إن تتخذ موقفًا حتى تحكم سلفًا، حتى تكون منحازًا لجهة ما، وبالتالي، لا تنظر، لا تتفهم ذاك الواقع داخل نفسك.

*

النظر إلى النفس من دون موقف، من غير أي رأي أو حكم أو تقييم، هو واحد من أشق الأمور. ففي هذا النظر هناك وضوح؛ وذاك الوضوح الذي ليس استنتاجًا، ليس موقفًا، هو الذي يبدد بنية الوحشية والعداوة هذه برمتها.

أمستردام، 22 أيار 1968

الذهن الديِّن والجمال

الاتصاف بذهن ديِّن يتطلب أو يقتضي الجمال أولاً .والجمال ليس في شكل بعينه – في وجه جميل، في أسلوب عيش جميل، إلى آخره. فما هو الجمال؟ من دون ذاك ما من حقيقة ثمة، ما من محبة؛ من دون الجمال ما من حسٍّ خُلُقي. فالجمال بحدِّ ذاته هو الفضيلة. سنتقصى الآن معًا ماهية الجمال. قد يصوغه المتكلم في كلمات، لكن عليك أن تتحمل مسؤولية تقصِّي ماهية الجمال بنفسك.

هل الجمال في لوحة، في منحوتات المصريين والإغريق القديمة الرائعة، أم في المهيشامورتي[2] في بومباي، إلى آخره؟ ما هو الجمال؟ وما معناه بنظرك؟ هل هو الثوب مع الزركشة الجميلة للساري[3]، أو السماء الجميلة في المساء أو الصباح الباكر، جمال الجبل والحقول والوديان، جمال المروج والسواقي، جمال عصفور أو الأشجار القديمة الرائعة؟ ومنه، هل يتوقف الجمال على ثقافة معينة أو تراث بعينه؟ لنسَّاجي الهند تراث تناقلوه؛ إنهم ينتجون أقمشة وتصاميم رائعة. فهل ذاك هو الجمال؟ أم أن الجمال شيء مختلف كليًّا؟



حين ترصد جبالاً عظيمة ذات ثلوج أبدية وأودية عميقة، هيئةَ جبل شامخ، جليل، على خلفية سماء زرقاء، حين تدرك ذاك للمرة الأولى أو للمرة المئة، ماذا يحدث فعليًّا؟ ماذا يحدث حين ترى النهر في ضوء الصباح، والشمس طالعة لتوها، راسمةً سبيلاً ذهبية على طول المياه؟ حين تنظر إلى المشهد، ماذا يحدث؟ أتراك تردد *منترا*[4] ما، أم أنك مؤقتًا صامت تمامًا؟ جمال ذاك الضياء على الماء ينحِّي جميع مشكلاتك، جميع همومك، كل شيء آخر، بضع ثوان أو بضع دقائق أو ساعة، ما يعني أن الذات ليست موجودة: الذات، النشاط الأناني المتمركز على الذات، الاهتمام الذاتي – هذا كله يطرده الجمال العظيم لغيمة مليئة بالضياء والجلال، وفي تلك اللحظة تغيب الذات. ومنه، ألا يوجد الجمال حين تنعدم الذات؟

لا توافقوا على ذلك أو تومئوا برؤوسكم فتقولوا: "إنه مصيب تمامًا، ما أروع ما يقول!"، ثم تستمروا بعدئذ في أنانيتكم واهتمامكم الذاتي وتتكلموا حسب المنطق الرمزي أو نظريًّا على الجمال. فالجمال شيء يجب أن يُدرَك، لا أن يُختزَن في

---

[2] تمثال للإله شيڤا (مهيش) مثلث الوجوه (كهوف إليفانتا، قرب بومباي) يُعَدُّ من قمم النحت الهندي الكلاسيكي. (المحرِّر)

[3] الثوب التقليدي للنساء الهنديات. (المحرِّر(الثوب التقليدي للنساء الهنديات. (المحرِّر)

[4] مقطع لفظي أو كلمة أو جملة ذات مفعول، الغاية من ترداده استحضار قوة إله معين. (المحرِّر)

الذهن بوصفه ذكرى. ومنه، فإن الجمال شيء أبْطَن بكثير، أعمق وأوسع بكثير من مجرد صورة أو نقش أو وجه حسن أو آداب سلوك كيِّسة. هناك جمال فقط حين تتعدم الذات. وذاك هو أول شيء مطلوب لفهم ماهية الذهن الديِّن.

ويجب على متقصِّيه أيضًا أن يكون دماغًا شاملاً، وليس دماغًا ضيق الأفق، طائفيًّا، محدودًا. عليه أن يتفهم المشكلة الإنسانية الهائلة المعقدة: أي أن يكون ذهنًا كلانيًّا، دماغًا يحيط بكلية الوجود، لا بوجودك الخاص، بمشكلاتك الخاصة، لأنك حيثما ذهبت، سواء في أميركا أو في أوروبا، في الهند أو في آسيا، ترانا نحن البشر نتألم... نحن مستوحشون، جزعون، خائفون، نطلب الراحة، تعساء، مكتئبون، ساخطون، مع شيء من الفرح أو اللذة من حين لآخر، إلى آخر ما هنالك.

إن دماغًا كلانيًّا دماغ يهتم للإنسانية ككل، لأننا جميعًا متشابهون. ولا بدَّ لنا كذلك من أن نكتشف بأنفسنا ماهية العلاقة بين الطبيعة وبين كل واحد منا – فذاك جزء من الدين. قد لا توافقون، لكنْ انظروا في الأمر، توغلوا فيه. هل أنت على علاقة أصلاً مع الطبيعة، مع الطيور، مع ماء ذلك النهر؟ الأنهار كلها مقدسة، لكن تلوُّثها يتفاقم تفاقمًا خطيرًا: قد تدعوه الغانج أو التيمس، النيل أو الراين، الميسيسيبي أو الڤولگا. فما هي علاقتك بذاك كله؟ – بالأشجار، بالطيور، بالأشياء الحية كلها التي ندعوها الطبيعة. ألسنا جزءًا من ذاك كله؟ ألسنا البيئة إذن؟ أتساءل إنْ كنت أتفوه بهراء، وأنتم تكتفون بالاستماع عَرَضًا. هل يعني هذا كله شيئًا بنظركم، أم أني غريب آتٍ من المريخ يتحدث عن شيء لا علاقة لكم معه البتة؟ هل يعني شيئًا ما؟ الأمر عائد إليكم.

راجگهة، 12 تشرين الثاني 1984

الذهن والفطنة

نحن نتحادث حول طبيعة الذهن وقدراته الخارقة. إذ مافتئنا، نحن البشر، طوال الآلاف تلو الآلاف من السنين، نختزل هذه القدرة إلى حقل ضيق ومحدود للغاية. لقد اخترعت هذه الطاقة الذهنية الهائلة أشياء مدهشة من الناحية التكنولوجية: لقد ذهب الناس إلى القمر، واستكشفوا أعماق البحر، واخترعوا أكثر الأشياء شيطانية؛ وقد جلبوا كذلك منافع جمة في مجال الطب والجراحة. لكن هذه الطاقة الهائلة مافتئت تقلَّص، يُحدُّ منها، يضيَّق عليها، حتى باتت حياتنا أساسًا – إذا رصدها المرء عن كثب – حقل صراع، حقل نزاع، منطقة يتعادى فيها البشر، يدمرون بعضهم بعضًا؛ وهم لم يدمروا بشرًا وحسب، بل تراهم يسخِّرون الأرض والبحار أيضًا. فعل سخَّر يعني استخدام الآخر قهرًا للمنفعة الشخصية. وهذا التسخير يستمر في كل حقل من حقول الحياة.

ويتساءل المرء لماذا يعيش البشر بالطريقة التي نعيش بها :العراك، النزاع، البلبلة، البؤس التام والأسى، واللذة والأفراح التي سرعان ما تتلاشى. ترانا متروكين صِفْر الأيدي، مريرين، متهكمين، لا نؤمن بشيء، أو نلوذ بالتقليد. ولكن حتى ذلك التقليد بات الآن يفقد إحكام قبضته؛ وإذا اتفق لك أن ترصد عن كثب شديد، لرأيت الذهن يعيش الآن، ليس فيزيائيًّا وحسب بل أكثر بكثير نفسانيًّا، على الشروح والكتب والأسفار المقدسة، كالتوراة والإنجيل والقرآن. فماذا يحدث لذهن يعيش على الكتب، ليس في المدارس والمعاهد والجامعات وحسب، لكنْ دينيًّا أيضًا؟ (أستعمل كلمة *ديني* هنا بالمعنى العادي للكلمة.) عندما يعيش المرء حسب الكتاب، تراه يقتات بالكلمات، بالنظريات حول ما سبق للآخرين أن قالوه. وعندما يعيش المرء على هذا النحو، لا بدَّ للتدهور أن يقع حتمًا. تراك تعود إلى الكتاب، كما تفعل الأديان المنظمة، وتستعمله بوصفه مرجعية – فظة، عقائدية، قاسية، مدمرة .تراك تعيش حسب الكتاب، حسبما قاله الآخرون وقبلتَه: الشروح، والشروح على الشروح، إلخ إلخ إلخ! وعندما تواجه هذه الحضارةَ، التي مضى على وجودها ربما ثلاثة آلاف سنة أو تزيد، أزماتٌ، فإنها تنهار. يقع التدهور والفساد على جميع أصعدة الحياة –*گورو*]المعلمون الروحيون[العصر الصناعي، رجال السياسة، رجال الأعمال، رجال الدين – والصرح برمته ينهار.

لقد سأل المرء مختلف الناس عن سبب هذا التلف، هذا التدهور، ولم يجد عندهم أي جواب حقيقي. إنهم يعطونك أمثلة على التدهور، لكنْ على الرغم من أن المرء ناقش الأمر مع مختلف الپانديت [الأساتذة [والاختصاصيين والعلماء، لا يبدو عليهم أنهم وجدوا جذر هذا التلف. لا أدري إنْ كنتم قد فكرتم في الأمر. فإذا كنتم خصصتموه شيئًا من التفكير الجدي، ألا يصح القول إنكم عشتم على أفكار غيركم من الناس، مذاهب غيركم من الناس، معتقدات غيركم من الناس؟ وإذن، فالنتيجة، على ما يبدو، هي أنك حينما تعيش حياة مستعمَلة – حياة قائمة على الكلمات والأفكار والمعتقدات – فإن ذهنك، كلية ذهنك، تضمر بطبيعة الحال. وبكلمة *ذهن* هذه نعني جميع الحواس الفاعلة بردود فعلها العصبية، جميع الانفعالات، جميع الرغبات، المعرفة التكنولوجية، وتنمية الذاكرة، وهي مقدرة التفكير تفكيرًا واضحًا أو مشوشًا.

ما انفك الذهن يطلب تلك الجرثومة التي زرعها الإنسان منذ قديم الزمان والتي لم تتفتح قط: بذرة التدين الحقيقي تلك. فمن دون ذاك النوع من الدين لا يمكن لأي حضارة جديدة أو ثقافة جديدة أن تكون. قد تتوجد منظومات جديدة، فلسفات جديدة، بنى اجتماعية جديدة، لكنْ سيظل النموذج نفسه مكرَّرًا من جديد المرة تلو المرة تلو المرة.

فماذا سنفعل إذن؟ أنت، بوصفك إنسانًا يحيا على هذه الأرض الرائعة، بجبالها ومناظرها الطبيعية البديعة، ببحارها ومياهها... (وهذا ليس شاعرية، فأنا أشير إلى الأمر فقط.) ماذا بوسعنا أن نفعل معًا لنخترق هذا الوضع؟ أي لئلا

نخلق منظومات جديدة: منظومات اجتماعية جديدة، مذاهب دينية جديدة، جُمَلاً جديدة من المعتقدات والمُثُل والعقائد، طقوسًا جديدة، لأن تلك اللعبة نفسها مافتئت تُلعب من جديد المرة تلو المرة. إن إحداث عالم مختلف – إذا كنتم جديين أصلاً – يتطلب إيجاد صفة الطيبة. كلمة *طيب* تعني الكلية، عدم التفتت، عدم التجزؤ؛ الإنسان الطيب يتضمن انعدام حس التجزئة فيه: إنه في ذاته تام، كلي، من غير أي حسٍّ بالنزاع.

نحن نستكشف معًا الشيء الذي هو أزمتنا الحالية – لا الأزمة الاقتصادية أو الاجتماعية وحسب، بل الأزمة في وعينا، في كياننا بالذات، لا أزمة منظومة جديدة، لا أزمة الحرب، إلى آخر ما هنالك من أزمات .إنها أزمة في كيان البشرية بالذات. وبأي وسيلة يمكن لهذا الوعي أن يتحول؟

ما الذي سيجعلك تتحول؟ أهي أزمة؟ مصيبة تحل بك؟ الأسى؟ الدموع؟ لقد حدث ذلك كله، في أزمة تلو الأزمة. لقد ذرفنا الدموع بلا انقطاع، وما من شيء يبدو أنه يغير ما بالإنسان لأنكم تتكلون على سواكم للقيام بالعمل: على سادتكم، معلميكم] *گورو*[، كتبكم، أساتذتكم، على أصحاب النظريات الجديدة من أناسكم الأذكياء الماكرين. لا أحد يقول: "سأحاول أن أكتشف بنفسي." فمع أن تاريخ الجنس البشري برمته موجود فينا، ترانا لا نقرأ *كتابنا* أبدًا! كل شيء مدون فيه، لكننا لا نكلف أنفسنا المشقة أو نتجمل بالصبر والتقصي الدؤوب. ترانا نفضل أن نعيش في هذه الفوضى، في هذا البؤس.

فماذا سيجعلك تتغير؟ رجاءً، اسألْ نفسك هذا السؤال،احترقْ به، لأننا وقعنا أسرى العادة. بيتك يحترق، لكنك على ما يبدو لا تبالي. فإذا لم تتغير، سيبقى المجتمع على ما هو عليه. والناس الأذكياء يُقبلون قائلين إن على المجتمع أن يتغير، ما يعني بنية [اجتماعية] جديدة؛ والبنية عند ذاك تصير أهم من الإنسان، كما برهنت جميع الثورات.

بعد النظر في هذا كله، هل ثمة تعلُّم، هل ثمة يقظة للفطنة، هل ثمة حسٌّ بالنظام في حياتنا، أم ترانا سنعود إلى الروتين نفسه؟ إذا كانت عندكم تلك الفطنة، تلك الطيبة، ذاك الحس بالمحبة العظيمة، إذ ذاك ستبدعون مجتمعًا جديدًا رائعًا تحيون فيه جميعًا حياة سعيدة. الأرض أرضنا، وليست الأرض الهندية أو الأرض الإنكليزية أو الأرض الروسية؛ إنها أرضنا التي بوسعنا أن نحيا عليها حياة سعيدة، ذكية، من غير أن نحز رقاب بعضنا بعضًا! رجاءً، إذن، هَبْ قلبك وذهنك لتكتشف لماذا لا تتغير – حتى في الأمور الصغيرة. رجاءً، تنبَّهْ لحياتك. عندك مقدرات خارقة، وكلها بانتظار فتحك الباب.

الراصد والمرصود، الرقيب، الإشراط

ترانا ندرك وجود انقسام في الحياة، فيَّ، فيك. الـ"أنت "والـ"أنا" عبارة عن أجزاء عديدة. الذات مركَّبة من العديد من الأجزاء. أحد الأجزاء هو الراصد وبقية الأجزاء هي المرصود. الراصد يصير واعيًا بالأجزاء، لكن *الراصد هو الآخر واحد من الأجزاء*؛ إنه ليس مختلفًا عن بقية الأجزاء. لذا يجب عليك أن تكتشف ما هو الراصد، المختبر، المفكر: ممَّ هو مكوَّن؟ وكيف يحدث هذا الانقسام بين الراصد والمرصود؟ الراصد، نقول، هو واحد من الأجزاء. فلماذا فصل نفسه، فتولى صفة المحلِّل الذي يعي، القادر أن يسيطر، يغيِّر، يكبت، إلى آخر ما هنالك. الراصد هو الرقيب... حاصل الإشراطات الاجتماعية والبيئية والدينية والثقافية. أي أن الانقسامات الثقافية قررت أنك مختلف عن الشيء الذي ترصده... أنت "الذات العليا" وتلك هي "الذات الدنيا"، أنت المستنير وتلك هي غير المستنيرة. فما الذي خوَّله سلطة أن يدعو نفسه "مستنيرًا"؟ ألأنه صار الرقيب؟ والرقيب يقول: "هذا صواب، هذا خطأ، هذا جيد، هذا سيء، يجب أن أفعل هذا، يجب ألا أفعل ذاك" – وهي حصيلة هذا الإشراط، إشراط المجتمع، إشراط الثقافة والدين والأسرة، إشراط العِرْق بأسره، إلى آخر ما هنالك.

الراصد، إذن، هو الرقيب، مشروطًا تبعًا لبيئته، وقد تولَّى سلطة المحلِّل. وكلٌّ من باقي الأجزاء يتولى هو الآخر سلطته؛ لكلِّ جزء سلطته، وبالتالي، هنالك صراع. ومنه، يوجد نزاع بين الراصد والمرصود .فحتى تتحرر من هذا النزاع، عليك أن تكتشف إنْ كان بوسعك أن تنظر من غير عينَي الرقيب؛ أي أن تكون واعيًا، أن تعي بأن عينَي الرقيب هما حصيلة إشراطه. فهل يمكن لتلك العينين أن تنظرا في حرية، أن تنظرا نظرًا بريئًا، حرًّا؟

*

هل يقوى الذهن على التحرر من هذا الإشراط كله؟... أنا مشروط بثقافة ما برحتْ موجودةً منذ ألوف السنين... فهل يمكن لخلايا المخ نفسها أن تتحرر من الإشراط كله، بوصفه الراصد، بوصفه كيانًا ينصاع، بوصفه كيانًا مشروطًا بالبيئة، بالثقافة، بالأسرة، بالعِرْق؟ إذا لم يتحرر الذهن من الإشراط فهو لا يستطيع أبدًا أن يتحرر من النزاع، وبالتالي، من العُصابية... ما لم نتحرر تحررًا تامًّا، فنحن أناس غير متوازنين؛ ومن جراء عدم توازننا، ترانا نتسبب في مختلف صنوف الأذى.

ومنه، فإن النضج هو التحرر من الإشراط. وتلك الحرية ليست قطعًا حصيلة الراصد، الذي هو بالذات مصدر كل ذاكرة، كل فكر. هل بوسعي أن أنظر بعينين لم يمسَسْهما الماضي قط؟ – فتلك هي خاصية العقل السليم. هل بوسعك أن تنظر إلى الغيمة، إلى الشجرة، إلى زوجتك، زوجك، صديقك، من دون صورة؟ وعيُك أن عندك صورة هو أول شيء، أليس كذلك؟ أن تعي أنك تنظر إلى الحياة من خلال وصفة جاهزة، من خلال صورة، من خلال مفاهيم – وهي جميعًا عوامل تحريف – وأن تعي ذلك *من دون أي اختيار* .فمادام الراصد يعي هذه، هناك عندئذ تحريف. لذا، هل بوسعك أن تنظر، هل بوسع الذهن أن يرصد من دون الرقيب؟ هل بوسعك أن تصغي بلا أي تأويل، بلا أي مقارنة أو حُكْم أو تقييم، أن تصغي إلى ذاك النسيم، إلى تلك الريح، بلا أي تدخُّل من الماضي؟

بركوود پارك، 10 أيلول 1970

الصورة

كنا بصدد استقصاء طبيعة الحب، وقد توصلنا إلى نقطة تستلزم، على ما أعتقد، المزيد المزيد من نفاذ النظر، المزيد المزيد من وعي المسألة. ولقد اكتشفنا أن الحب، بنظر أغلب الناس، يعني الراحة، الأمان، ضمانةً طوال بقية العمر للإشباع العاطفي المستمر. ثم يأتي واحد مثلي ويسأل: "هل ذاك حب حقًّا؟"، ويسألك أن تنظر إلى دخيلة نفسك .فتحاول ألا تنظر لأن الأمر مزعج جدًّا – تراك تفضل مناقشة الروح أو الوضع السياسي أو الاقتصادي الراهن –؛ لكنك، حين تُحشَر في زاوية لتنظر، تدرك أن ما خُيِّل إليك دومًا أنه حب ليس حبًّا على الإطلاق، بل هو ترضية متبادلة، استغلال متبادل.

حين أقول: "ليس للحب غد ولا أمس" أو: "عندما لا يوجد مركز، عندئذٍ يوجد الحب"، فلهذا القول واقعية بنظري، لكنْ ليس بنظرك. قد تستشهد به وتحوِّله إلى وصفة، لكن ذلك لا يصح؛ إذ عليك أن تتحقق من الأمر بنفسك. لكنك حتى تفعل لا بدَّ من وجود حرية للنظر، تحرُّر من كل إدانة، من كل حُكم، من كل موافقة أو مخالفة.

والآن، النظر – أو السمع – واحد من أصعب الأمور في الحياة؛ النظر والسمع هما الأمر نفسه. إذا كانت عيناك معميتين بمخاوفك، لا تستطيع أن ترى جمال مغيب الشمس. أغلبنا فقدوا صلتهم بالطبيعة، والحضارة تتجه أكثر فأكثر صوب المدن الكبرى. لقد صرنا أناسًا مدنيين أكثر فأكثر، نعيش في شقق مزدحمة وليس عندنا حتى غير حيز ضيق جدًّا للنظر إلى السماء المسائية والصباحية، ولهذا ترانا نفقد الصلة بقدر كبير من الجمال. لا أدري إنْ كنتم لاحظتم كم تضاءل عدد الذين ينظرون منا إلى شروق الشمس أو غروبها، أو إلى ضوء القمر، أو إلى انعكاس الضوء على صفحة الماء.

أما وقد فقدنا الصلة مع الطبيعة، ترانا بطبيعة الحال ننزع إلى تنمية قدراتنا العقلية. ترانا نقرأ عددًا كبيرًا من الكتب، نذهب إلى الكثير جدًّا من المتاحف والحفلات الموسيقية، نشاهد التلفزيون، ونتسلى بطرق أخرى شتى؛ ترانا نقتبس إلى ما لا نهاية من أفكار غيرنا من الناس ونغالي في التفكير في الفن وفي الحديث عنه. فما الذي يجعلنا نتكل على الفن كل هذا الاتكال؟ أهو شكل من أشكال الهروب أو الإثارة؟ إذا كنت على صلة مباشرة بالطبيعة، إذا راقبت حركة طائر يحلق، ورأيت جمال كل حركة في السماء، وشاهدت الظلال على التلال أو جمال وجه إنسان آخر، أتظنك سترغب بعدُ في الذهاب إلى أي متحف لتنظر إلى لوحة ما؟ ربما لأنك لا تعرف كيف تنظر إلى الأشياء كلها حواليك، تراك تلوذ بنوع من أنواع المخدر لتنبيهك إلى الرؤية رؤية أفضل.

هناك قصة عن معلم ديني تروي أنه كان من عادته أن يعظ تلاميذه كل صباح. وذات صباح، اعتلى المنصة وكان على وشك أن يبدأ عندما جاء عصفور صغير وحط على حافة النافذة وبدأ يغرد، وراح يغرد بكل قوته. ثم توقف وطار مبتعدًا، فقال المعلم: "موعظة هذا الصباح انتهت"!

يبدو لي أن واحدة من أشد صعوباتنا هي أن نرى بأنفسنا رؤية واضحة حقًّا، لا الأشياء الخارجية فقط، بل الحياة الداخلية. حين نقول إننا نرى شجرة أو زهرة أو شخصًا، هل ترانا نراهم فعليًّا؟ أم ترانا لا نرى إلا مجرد الصورة التي أوجدتْها الكلمة؟ أي أنك، حين تنظر إلى شجرة أو إلى غيمة ذات مساء مليء بالبهجة والضياء، هل تراها فعليًّا، لا بعينيك رؤية عقلية، بل رؤية *كلية*، تامة؟

هل اتفق لك يومًا أن تختبر النظر إلى شيء موضوعي كالشجرة من دون أيٍّ من التداعيات، أيٍّ من المعلومات التي اكتسبتها عنها، من دون أي هوًى، أي حُكم، أي كلمات تشكل شاشة بينك وبين الشجرة وتحُول بينك وبين رؤيتها كما هي فعليًّا؟ جرِّبْ ذلك وانظرْ ما الذي يحصل فعليًّا عندما ترصد الشجرة بكيانك كله، بكلية طاقتك. في ذاك الاستغراق، ستجد أنه لا يوجد راصد بتاتًا، بل يوجد *انتباه* وحسب. لا يوجد الراصد والمرصود إلا عندما ينعدم الانتباه. أما حين تنظر إلى شيء في انتباه تام،

فلا يوجد حيز لأي تصور، لأي صيغة، لأي ذاكرة. إن فهم هذا من الأهمية بمكان، لأننا نتباحث في شيء يستلزم تقصيًا شديد الدقة.

وحده ذهنٌ ينظر إلى شجرة أو إلى النجوم أو إلى مياه نهر براقة في ذهول تام عن النفس ذهنٌ يعرف ماهية الجمال؛ وحين نرى فعليًّا نكون في حال محبة. نحن نعرف الجمال عمومًا من خلال المقارنة أو عبر ما قام الإنسان بتجميعه، ما يعني أننا نعزو الجمال إلى غرض ما. أرى ما أعتبره مبنى جميلاً، وتراني أقدِّر ذلك الجمال بسبب معرفتي بالمعمار وبمقارنته بمبانٍ أخرى سبق لي أن رأيتها. لكنني الآن أسأل نفسي: "هل هناك جمال من غير غرض؟ "حين يوجد راصد هو الرقيب، المختبر، المفكر، لا جمال هناك، لأن الجمال شيء خارجي، شيء ينظر إليه الراصد ويحكم عليه. ولكن حين ينعدم الراصد – وهذا يستلزم قدرًا كبيرًا من التأمل، من التقصِّي – إذ ذاك يوجد الجمال من غير الغرض.

يكمن الجمال في التخلي التام عن الراصد والمرصود؛ ولا يمكن للذهول عن النفس أن يكون إلا حين يوجد تقشف تام – لا تقشف رجل الدين، بخشونته وروادعه وقواعده وطاعته، لا التقشف في الملبس والفكر والطعام والسلوك – إنما تقشف البساطة الكلية، الذي هو التواضع التام. إذ ذاك لا إنجاز هناك، لا سلَّم يجب تسلُّقه؛ هناك الخطوة الأولى فقط، والخطوة الأولى هي الخطوة الأبدية.

هَبْ أنك تسير بمفردك أو مع أحدهم وتوقفت عن الكلام. أنت محاط بالطبيعة، ولا كلب ينبح، ولا ضجيج سيارة عابرة، ولا رفرفة طائر حتى .أنت صامت تمامًا، والطبيعة حواليك صامتة كلها هي الأخرى. في تلك الحال من الصمت المستتب في الراصد والمرصود كليهما – حين لا يترجم الراصد ما يرصده إلى فكر – يتصف ذاك الصمت بخاصية جمال مختلفة. ليس هناك الطبيعة ولا الراصد. هناك حال ذهن وحده كليًّا، تمامًا؛ إنه *وحده*، لا في عزلة، بل في سكون، وذاك السكون جمال. حين تحب، هل يوجد راصد؟ يوجد راصد فقط حين يكون الحب رغبة ولذة. أما حين لا تقترن الرغبة واللذة بالحب، إذ ذاك يكون الحب شديدًا. إنه، كالجمال، شيء جديدًا كليًّا كل يوم. وكما قلت، ليس له اليوم ولا الغد.

فقط حين نرى من دون أي تصور مسبق، من دون أي صورة، نستطيع أن نكون على صلة مباشرة مع أي شيء في الحياة. جميع علاقاتنا في الواقع علاقات "صورية" – بمعنى أنها قائمة على *صورة* من تشكيل الفكر .إذا كانت عندي صورة عنك وكانت عندك صورة عني، فنحن بطبيعة الحال لا يرى كلٌّ منا الآخر بتاتًا كما نحن فعليًّا. فما نراه هي الصور التي شكَّلها كلٌّ منا عن الآخر والتي تمنعنا من التواصل؛ ولهذا فإن علاقاتنا تنتهي بالإخفاق.

عندما أقول إنني أعرفك، إنما أعني أني كنت أعرفك بالأمس. فأنا لا أعرفك فعليًّا *الآن* .كل ما أعرفه هو صورتي عنك. وتلك الصورة تجميع لما سبق لك أن قلتَ في مدحي أو في ذمي، لما سبق أن فعلتَه بي؛ إنها تجميع لمجموع الذكريات التي في حوزتي عنك. وصورتك عني تجميع بالطريقة ذاتها؛ وهاتان الصورتان هما اللتان تعقدان العلاقة وتحُولان بيننا وبين التواصل الحقيقي معًا.

لدى كلٍّ من شخصين تعايشا مدة طويلة صورة عن الآخر تحُول بينهما وبين أن يكونا على علاقة حقيقية. إذا فهمنا العلاقة بوسعنا أن نتعاون، لكن التعاون لا يمكن له أن يوجد أصلاً عبر صور، عبر رموز، عبر تصورات إيديولوجية. بينما فقط حين نفهم العلاقة السوية بين بعضنا بعضًا توجد إمكانية الحب، والحب يمتنع عندما تكون عندنا صور. لذا من المهم أن تفهم – لا عقليًّا، بل فعليًّا في حياتك اليومية – كيف بنيت صورًا عن زوجتك، عن زوجك، عن جارك، عن ولدك، عن وطنك، عن قادتك، عن سياسييك، عن آلهتك – ليس عندك شيء غير صور!

هذه الصور توجِد الحيز بينك وبين ما ترصد، وفي ذلك الحيز يوجد نزاع. وإذن، فما سنعمل على اكتشافه الآن سوية هو إنْ كان من الممكن لنا أن نتحرر من الحيز الذي نوجِده، ليس خارج أنفسنا وحسب، بل في أنفسنا، الحيز الذي يجزئ البشر في جميع علاقاتهم.

والآن، فإن الانتباه بالذات الذي توليه لمشكلة ما هو الطاقة التي تحل تلك المشكلة. فحين تولي انتباهك كاملاً – وأعني: بكل شيء فيك – لا يوجد راصد بتاتًا. هناك فقط حال الانتباه التي هي طاقة كلية، وتلك الطاقة الكلية هي أعلى أشكال الفطنة. وبطبيعة الحال، تلك الحال الذهنية يجب أن تكون صامتة صمتًا تامًّا؛ وذاك الصمت، ذاك السكون، يأتي حين يستتب انتباه كلي، لا سكون منضبط. ذاك الصمت الكلي الذي ليس فيه راصد ولا الشيء المرصود هو أسمى أشكال الذهن الديني. لكن ما يحصل في تلك الحال لا يعبَّر عنه بكلمات، لأن ما يقال بكلمات ليس الواقعة. فحتى تكتشفه بنفسك عليك أن تكابده.

كل مشكلة فهي مرتبطة بكل مشكلة أخرى، بحيث إنك إذا استطعت أن تحل مشكلة واحدة حلاًّ تامًّا – ولا يهم أيها من المشكلات – لرأيت أن بوسعك أن تواجه سائر المشكلات الأخرى جميعًا في سهولة وتحلها. نحن نتكلم، بالطبع، على المشكلات النفسانية. لقد سبق لنا أن رأينا أن المشكلة توجد في الزمن فحسب، أي عندما نواجه القضية مواجهة ناقصة. وإذن فيجب علينا، لا أن نعي طبيعة المشكلة وبنيتها فقط، فنراها رؤية تامة، بل وأن نواجهها عند ظهورها ونحلها على الفور بحيث لا تتجذَّر في الذهن .إذا أجاز المرء لمشكلة أن تدوم شهرًا أو يومًا، أو حتى بضع دقائق فحسب، فإنها تشوِّه الذهن. وإذن، فهل من الممكن للمرء أن يواجه المشكلة على الفور، من غير أي تحريف، ويتحرر منها على الفور تحررًا تامًّا، فلا يجيز لذكرى، لخدش طفيف في الذهن، أن يبقى؟ هذه الذكريات هي الصور التي نحملها معنا، وهذه الصور هي التي تواجه هذا الشيء الخارق المسمى بالحياة، وبالتالي يوجد تناقض، ومنه ينشأ النزاع. الحياة حقيقية للغاية – فالحياة ليست تجريدًا – وحين تواجهها بالصور تنشأ مشكلات.

فهل من الممكن للمرء أن يواجه كل قضية من دون هذا الفاصل الزمكاني، من دون الفجوة بينه وبين الشيء الذي يخشاه؟ إنه ممكن فقط حين لا تكون للراصد استمرارية – الراصد بوصفه باني الصورة، الراصد الذي هو كوكبة من الذكريات والأفكار، الذي هو حزمة من التجريدات.

حين تنظر إلى النجوم، هناك أنت الناظر إلى النجوم في السماء؛ السماء مترعة بنجوم ساطعة، هناك هواء منعش، وهناك أنت، الراصد، المختبر، المفكر، بقلبك الموجوع، أنت، المركز، موجِد الحيز. تراك لن تفهم أبدًا حقيقة الحيز بينك وبين النجوم، بينك وبين زوجتك أو زوجك أو صديقك، لأنك لم تنظر قط من دون الصورة، ولهذا تراك لا تعرف ماهية الجمال أو ماهية الحب. تراك تتكلم فيه، تكتب عنه، لكنك لم تعرفه قط، ماعدا ربما عند فواصل نادرة من الذهول التام عن نفسك. فمادام هناك مركز يوجِد حيزًا من حوله، لا يوجد حب ولا جمال. أما حين ينعدم المركز والمحيط، فإذ ذاك يوجد الحب. وحين تحب تكون *أنت* الجمال.

حين تنظر إلى وجهٍ قبالتك، فأنت تنظر انطلاقًا من مركز، والمركز يوجِد الحيز بين الشخص والشخص؛ ولهذا فإن حياتنا بهذا الخواء والقسوة. ليس بمقدورك أن تنمِّي الحب أو الجمال، ولا بمقدورك أن تخترع الحقيقة؛ أما إذا كنت واعيًا طوال الوقت بما أنت فاعل، فبمقدورك أن تنمِّي الوعي. واعتبارًا من ذاك الوعي ستبدأ برؤية طبيعة اللذة والرغبة والأسى، ووحشة الإنسان وسأمه المرعبين، وعندئذٍ ستبدأ بمباغتة ذاك الشيء المسمى "حيزًا."

عندما توجِد حيزًا بينك وبين الغرض الذي ترصده، ستعرف أن الحب يغيب؛ ومن دون الحب، مهما اجتهدت في إصلاح العالم أو في إحداث نظام اجتماعي جديد، أو مهما أسهبت في الكلام على تحسينات، لن تتسبب إلا في العذاب. فالأمر منوط بك. ليس هناك من قائد، ليس من معلم، ليس من أحد يخبرك بما أنت فاعل. أنت وحدك في هذا العالم المتوحش المجنون.

الطبيعة، الأكثرية والأقلية، المسؤولية

سؤال :لماذا اتفق في ميزان الطبيعة أن يكون هناك دومًا موت وشقاء؟

كريشنامورتي :لماذا اتفق للإنسان أن يقتل خمسين مليون حوت؟ خمسون مليونًا – أتفهم؟! ومع ذلك، لا نزال نُعمِلُ في الأنواع كلها قتلاً: النمور المخططة آيلة إلى الانقراض، وكذلك الفهود الصيادة والنمور والفيلة، من أجل جلودها، من أجل أنيابها – تعرفون ذلك كله. أليس الإنسان حيوانًا أخطر بكثير من سائر الحيوانات؟ وتراك تريد أن تعرف لماذا يوجد في الطبيعة موت وشقاء! ترى نمرًا يفترس بقرة، أو غزالة: ذلك هو أسلوبهم الطبيعي في الحياة؛ لكننا ما إنْ نتدخل فيه حتى يصير الأمر وحشية حقيقية. لقد رأيتم صغار الفقمة وهي تُضرَب على رؤوسها، وحين يتعالى الاحتجاج على ذلك، تقول النقابات: "نحن مضطرون إلى الارتزاق على ذاك النحو" – أنتم تعرفون هذا كله.

وإذن، فمن أين نبدأ في فهم العالم من حولنا والعالم داخلنا؟ العالم داخلنا من هول التعقيد بحيث إننا نريد أن نفهم عالم الطبيعة أولاً. ... لعلنا لو استطعنا أن نبدأ بأنفسنا، فلا نؤذي، لا نكون عنيفين، لا نكون قوميين، بل نتعاطف مع الإنسانية ككل، لربما غدت علاقتنا عندئذ صحيحة فيما بيننا وبين الطبيعة. نحن الآن نمعن في تدمير الأرض، الهواء، البحر، كائنات البحر، لأننا *نحن* أعظم خطر يهدد العالم، بقنابلنا الذرية – جميع صنوف هذه الأمور، كما تعلمون.

سؤال :تقول إننا *نحن العالم*، لكن أكثرية العالم، على ما يبدو، متجهة رأسًا نحو الدمار الشامل. فهل يمكن لأقلية من الناس الأسوياء أن ترجَح كفتُها على الأكثرية؟

كريشنامورتي :هل أنتم "الأقلية"؟ لا، أنا لا أمزح! إنه ليس سؤالاً قاسيًا. هل نحن الأقلية؟ أم هل بيننا واحد خال كليًّا من هذا كله؟ أم ترانا نساهم جزئيًّا في كراهية بعضنا بعضًا؟ – نفسانيًّا. قد لا نكون قادرين على منع روسيا أو أميركا، إنكلترا أو اليابان، من مهاجمة بلد آخر ما، لكنْ هل نحن – نفسانيًّا – متحررون من إرثنا المشترك، وهو قوميتنا القَبَلية الممجَّدة؟ هل نحن خالون من العنف؟ يوجد العنف حيثما نطوِّق أنفسنا بجدار. رجاءً، افهموا هذا كله .فنحن قد بنينا لأنفسنا جدرانًا، تبلغ عشر أقدام ارتفاعًا أو خمس عشرة قدمًا سماكة! نحن جميعًا مطوقون بجدران. ومن ذلك ينشأ العنف، هذا الإحساس الهائل بالوحشة. ومنه، فإن الأقلية والأكثرية هي *أنت* .إذا استطاعت ثلة منا أن تتحول نفسانيًّا من الأساس، فإنك لن تطرح هذا السؤال أبدًا، لأننا نكون عند ذاك شيئًا مختلفًا كل الاختلاف.

سؤال :إذا كانت هناك حقيقة أسمى ونظام، لماذا تسمح للبشرية أن تتصرف في الأرض بهذه الطريقة الفظيعة؟

كريشنامورتي :لو وُجد مثلُ هذا الكيان الأسمى، فلا بدَّ أنه غريب الأطوار للغاية، لأنه لو كان هو الذي خلقنا فنحن إذن جزء منه – صحيح؟ ولو كان منظمًا، عاقلاً، عقلانيًّا، رحيمًا، لما كنا على هذه الشاكلة! بوسعك أن تقبل سيرورة تطور الإنسان، أو تؤمن بأن الإنسان ظهر إلى الوجود فجأة من خلق إله؛ والإله – ذلك الكيان الأسمى – هو النظام، الطيبة، الرحمة، إلى آخر ما هنالك من صفات نخلعها عليه. وإذن، فلديك هذان الخياران: إما أن هناك كيانًا أسمى جعل الإنسان على صورته، وإما أن هناك سيرورة تطور الإنسان الذي جاءت به الحياة منذ البدء من جزيئات ضئيلة وهكذا، إلى أن صار إلى ما هو عليه الآن.

إذا قبلتَ فكرة الإله، الشخص الأسمى الذي يوجد فيه نظام كلي، وكنتَ جزءًا من ذلك الكيان، إذ ذاك لا بدَّ أن ذلك الشخص خارق القسوة – صحيح؟ – خارق التعصُّب، حتى يجعلنا نتصرف كما نفعل، مدمِّرين بعضنا بعضًا.

أو... هناك الاحتمال الآخر، وهو أن *الإنسان* هو الذي جعل العالم على ما هو عليه: البشر هم الذين صنعوا هذا العالم، – العالم الاجتماعي، عالم العلاقة، العالم التكنولوجي، عالم المجتمع، – علاقة بعضنا ببعض. *نحن* الذين صنعناه، وليس إله أو كيان أسمى ما. وحدنا مسئولون عن هذه الفظاعة التي مافتئنا نديمها. والاتكال على قوة خارجية ما لتحويل هذا كله، تلك اللعبة لُعبت طوال ألوف السنين ولا تزالون على حالكم! لعلكم تغيرتم تغيرًا طفيفًا، أصبحتم ألطف قليلاً، أكثر تسامحًا بقليل – لكن التسامح شيء بشع.

بروكوود پارك، 4 أيلول 1980

الفكر لم يخلق الطبيعة

سنناقش، معًا، العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وهي عينها العلاقة بين ذاتك والبيئة. البيئة ليست المدينة أو البلدة أو القرية التي تعيش فيها وحسب، بل هي البيئة الطبيعية أيضًا. فإذا انعدمت علاقتك مع الطبيعة، انعدمت علاقتك مع الإنسان. الطبيعة هي المروج والبساتين والأنهار، هي الأرض الرائعة بأسرها، هي الأشجار وجمال الأرض. إذا انعدمت علاقتنا مع ذلك كله، انعدمت علاقة بعضنا مع بعض. إذ إن الفكر لم يخلق الطبيعة، الفكر لم يصنع النمر، ولا المياه المسائية، والنجوم منعكسة على صفحتها؛ لم يخلق الفكر الجبال الشاهقة المكللة بالثلج على خلفية السماء الزرقاء، ولا غروب الشمس والقمر المتوحد حين لا يوجد أي نجم آخر. الفكر، إذن، لم يخلق الطبيعة.

الطبيعة واقع. وما خلقناه بين البشر هو الآخر واقع، لكنه واقع فيه نزاع، فيه صراع، حيث يحاول كل واحد أن يصير شخصًا مرموقًا – جسمانيًّا وداخليًّا على حدٍّ سواء، وكذلك "روحيًّا"، إذا جاز لي أن أستعمل تلك الكلمة. عندما يحاول أحدهم أن يصير، يحاول أن يحصِّل مكانة ما، سياسيًّا أو دينيًّا، إذ ذاك تنعدم علاقته مع الآخر، ومع الطبيعة أيضًا .يعيش كثيرون منكم في مدن، بكل حشودها وضوضائها وقذارة بيئتها. أغلب الظن أنك لم تُلاقِ الطبيعة مرارًا. لكن هناك هذا البحر الرائع، وعلاقتك معه معدومة. تراك تنظر إليه، ولعلك تسبح فيه؛ أما الشعور بهذا البحر، بحيويته وطاقته الهائلتين، بجمال موجة تتكسر على الشاطئ... التواصل معدوم بين حركة البحر الرائعة تلك وبينك. إذا انعدمت علاقتك بذاك، كيف يمكن لك أن تكون على علاقة مع إنسان آخر؟ إذا لم تكن تدرك البحر، خاصية الماء، الأمواج، حيوية المدِّ والجزر العظيمة مندامًا ومنحسرًا، كيف يمكن لك أن تعي العلاقة الإنسانية أو تكون حساسًا بها؟ رجاءً، من المهم للغاية أن يُفهَم هذا، لأن الجمال، إذا جاز للمرء أن يتكلم عليه، ليس في محض الشكل الفيزيائي، لكن ماهية الجمال هي خاصية الحساسية تلك، خاصية رصد الطبيعة.

بومباي، 24 كانون الثاني 1982

القتل

كانت الطائرة مزدحمة، تطير على ارتفاع نيف وعشرين ألف قدم فوق الأطلسي، وسجادة كثيفة من السحب تحتها. السماء من فوق شديدة الزرقة، والشمس خلفنا، ونحن نطير باتجاه الغرب رأسًا. كان الأطفال قد لعبوا، متراكضين جيئة وذهابًا على طول الممشى، والآن، بعد أن نفدت قواهم، كانوا نائمين. بعد الليلة الطويلة، كان جميع الآخرين أيقاظًا، يدخنون ويشربون. أمامنا رجل يحدِّث آخر عن مهنته، وعلى المقعد خلفنا امرأة تصف بصوت مسرور الأشياء التي اشترتها وتخمِّن مبلغ الرسم الذي سيكون عليها دفعه. على ذلك الارتفاع، كان الطيران سلسًا، من غير مطبات، مع أن رياحًا عاتية تهبُّ تحتنا. كان جناحا الطائرة يلتمعان في ضياء الشمس الصافي، والمَراوح تدور دورانًا سلسًا، قاضمة الهواء في سرعة خيالية؛ الريح كانت خلفنا، وسرعتنا تزيد على الثلاثمائة ميل في الساعة.

رجلان على الطرف الآخر بالضبط من الممشى الضيق يتكلمان بصوت مرتفع نوعًا ما، فكان من الصعب عدم استراق السمع لما يقولان. كانا رجلين ضخمين، وجه أحدهما أحمر، لفحتْه ونفحتْه تقلبات الجو. كان يشرح مهنة قتل الحيتان، مقدار المخاطر فيها، حجم المكاسب منها، وكم هو مهول ثوران البحار. بعض الحيتان يزن مئات الأطنان. الأمهات ذوات العجول لم يكن يُفترَض قتلهن، كما ليس مباحًا لهم قتلُ أكثر من عدد محدد من الحيتان في أثناء فترة معينة. ويبدو أن قتل هذه الوحوش العظيمة مبرمَج برمجة علمية فائقة، بحيث تُكلَّف كلُّ مجموعة أداءَ وظيفة خاصة تدربت عليها تدريبًا فنيًّا .رائحة السفينة–المصنع تكاد لا تطاق، لكن المرء لا يلبث أن يتعودها، مثلما يقدر أن يتعود أي شيء. لكن الأرباح العائدة [من قتل الحيتان] أرباح ضخمة إذا سار كل شيء على ما يرام. ثم راح يشرح الافتتان الغريب بالقتل، لكنْ في تلك اللحظة جيء بالشراب، فتغير موضوع الحديث.

البشر مولعون بالقتل، سواء كان قتل بعضهم بعضًا، أو قتل غزال بريء لامع العينين في أعماق الغابة، أو قتل نمر افترس الماشية. ثعبان يُدهَس عمدًا على قارعة الطريق؛ فخٌّ يُنصَب فيعلق فيه ذئب أو قيوط. رجال متأنقون، متضاحكون، يخرجون ببنادقهم الثمينة ويقتلون طيورًا كانت لتوِّها يناجي بعضها بعضًا. صبي يقتل أبا زريق ثرثارًا ببندقيته الهوائية، والراشدون من حوله لا يفوهون أبدًا بكلمة شفقة، ولا يوبخونه، بل على العكس، يهنئونه على مهارته في الصيد. القتل على سبيل الرياضة المزعومة، من أجل الطعام، في سبيل الوطن، من أجل السلام – لا فارق يُذكَر بين هذه كلها .التبرير ليس الجواب. هناك فقط: لا تقتلْ. في الغرب، ترانا نظن أن الحيوانات مسخَّرة من أجل بطوننا، من أجل لذة القتل، أو من أجل فرائها؛ أما في الشرق، فكل والد مافتئ يعلِّم، طوال قرون، مكررًا: لا تقتلْ، كن شفيقًا، كن رحيمًا. هنا، الحيوانات لا نفوس لها، وبالتالي يجوز قتلها من غير عقاب؛ أما هناك، فللحيوانات نفوس، فَراعِها ودَعْ قلبك يعرف المحبة. أكْلُ الحيوانات والطيور يُعَدُّ هنا أمرًا سويًّا، طبيعيًّا، تقرُّه الكنيسة وتروِّج له الدعاية؛ أما هناك، فليس كذلك، والمبالون، الديِّنون، عن تمسُّك بالموروث والثقافة، لا يأكلونها أبدًا. لكن هذا [الموقف] هو الآخر في طريقه إلى الزوال السريع. هنا، لم ننفك قط نقتل باسم الإله والوطن، وهذا بات ساريًا في كل مكان. القتل يتفشى؛ وبين ليلة وضحاها تقريبًا، ترى الثقافات القديمة تُكتسَح جانبًا، والفعالية وتحجُّر القلب ووسائل التدمير بات يُحرَص على تعزيزها وتقويتها.

السلام ليس بحوزة السياسي أو رجل الدين، ولا هو بحوزة المحامي أو رجل الشرطة. السلام حال ذهنية توجد حينها المحبة.

المشكلات والزمن

بحسب أحدث مكتشفات الأنثروبولوجيين، عاش الإنسان على هذه الأرض، على ما يبدو، طوال حوالى مليونين من السنين. وقد ترك الإنسان في الكهوف، طوال حوالى سبعة عشر ألف سنة، سجلات عن الكفاح، عن الصراع، عن أسى الوجود الذي لا ينتهي – الصراع بين الخير والشر، بين الوحشية والشيء الذي ما انفك يطلبه أبدًا: *الحب*. وعلى ما يبدو، لم يستطع الإنسان حل مشكلاته – لا مشكلات الرياضيات، لا المشكلات العلمية أو الهندسية، بل المشكلات البشرية للعلاقة: كيف يحيا في هذا العالم حياة مسالمة، كيف يكون على صلة حميمة مع الطبيعة ويرى جمال طائر على غصن أجرد.

وإذا ما انحدرنا إلى الأزمنة الحديثة، لوجدنا أن مشكلاتنا – مشكلات الإنسان – ما انفكت تتفاقم أكثر فأكثر؛ وترانا نحاول أن نحل هذه المشكلات، بحسب أنماط بعينها من الأخلاقيات أو السلوك، وبحسب مختلف الالتزامات التي وهبنا أذهاننا لها. وبحسب التزاماتنا، أنماط سلوكنا، وَصْفاتنا ومرجعياتنا الدينية، ترانا نحاول أن نحل مشكلاتنا، عذاباتنا، يأسنا، تقلُّباتنا، وتناقضات حياتنا. ترانا نأخذ بموقف معين بوصفنا شيوعيين، اشتراكيين، هذا أو ذاك؛ ومن ذلك الموقف، من تلك "المنصة"، إذا جاز التعبير، نحاول أن نحل مشكلاتنا متفرقةً، واحدة بعد الأخرى – هذا ما نفعله في حياتنا.

قد يكون أحدهم عالِمًا عظيمًا، لكن ذلك العالِم بالذات، في مختبره، مختلف كليًّا عن العالِم في منزله، القومي، المرير، الغضوب، الغيور، الحسود، المتنافس مع أترابه العلماء على اسم أعظم، على شعبية أعظم، وعلى المزيد من المال. إنه غير معنيٍّ بالمشكلات البشرية بتاتًا، بل معنيٌّ فقط باكتشاف مختلف أشكال المادة وبحقيقة ذلك كله.

ونحن كذلك – بما نحن بشر عاديون ولسنا خبراء ولا اختصاصيين في أي مجال بعينه – ملتزمون نمطًا معينًا من السلوك، مفاهيم دينية معينة، أو سمًّا قوميًّا ما، ومن التزامنا ذاك نكدح لحل المشكلات المتكاثرة، المتفاقمة أبدًا.

الكلام، كما تعلمون، لا نهاية له، القراءة لا نهاية لها. بالوسع تكديس الكلمات على الكلمات، والأسلوب البليغ، جمال اللغة، عقلانية ما يقال أو لامنطقيته، إما أن تقنعك وإما أن تثنيك. لكن المهم ليس تكديس الكلمات، ليس الاستماع إلى الأحاديث والخُطَب والقراءة، بل بالحري حلُّ المشكلة – مشكلة الإنسان، مشكلتك أنت – لا مجزأةً، لا عندما تظهر، لا بحسب الظروف، لا بحسب ضغوط الحياة الحديثة وتوتراتها، لكنْ انطلاقًا من فاعلية مختلفة كليًّا. هناك المشكلات البشرية: الطمع، الحسد، بلادة روح الذهن، القلب الموجوع، الانعدام المروِّع لحساسية الإنسان، الوحشية، العنف، اليأس والعذاب العميقان. وطوال مليونين من السنين عشناها ونحن نحاول أن نحل هذه المشكلات بحسب وصفات مختلفة، مذاهب مختلفة، مناهج مختلفة، *گورو* [معلمين روحيين] مختلفين، طرائق للنظر مختلفة، مستفسرين، متقصِّين. ومع ذلك، فنحن حيث نحن، عالقون في هذه السيرورة التي لا تنتهي من العذاب والبلبلة واليأس المستديم.

فهل هناك وسيلة لحل المشكلات حلاً جذريًّا، تامًّا، بحيث لا تظهر أصلاً، وإذا حدث وظهرت، نستطيع أن نواجهها آنيًّا ونحلها، نبدِّدها، نتخلص منها؟ هل هناك وسيلة حياة *كلية* لا تربة فيها لنبات المشكلات أصلاً؟ هل هناك سبيل للعيش – لا نمط طريقة أو منهج أو مذهب، بل سبيل *كلي* للعيش – بحيث لا تنبت أية مشكلة في أي وقت، وإذا حدث ونبتت، يستطاع حلُّها آنيًّا؟ إن ذهنًا مثقلاً بعبء المشكلات يصير ذهنًا بليدًا، ثقيلاً، غبيًّا. لا أدري إذا اتفق لكم أن تراقبوا ذهنكم وأذهان زوجاتكم وأزواجكم وجيرانكم. عندما يعاني الذهن مشكلات من أي نوع، فإن تلك المشكلات بعينها – حتى مشكلات الرياضيات، مهما تكن معقدة، مهما تكن مؤلمة، مهما تكن مستعصية، عقلية – تبلِّد الذهن. وبكلمة *مشكلة* أعني مسألة صعبة، علاقة صعبة، قضية صعبة تبقى غير محلولة وتُحمَل من يوم إلى يوم. وإذن فنحن نسأل إنْ كان هناك سبيل عيش، إنْ كانت هناك حالٌ ذهنيةٌ، لأنها تتفهم

كلية الوجود، خاليةٌ من المشكلات، وكذلك، حين يحدث وتظهر مشكلة، تستطيع أن تحلها فورًا .فما إن تُحمَل مشكلةٌ مؤجلة – يومًا واحدًا حتى، دقيقة واحدة حتى – حتى تجعل الذهن ثقيلاً، بليدًا، والذهن يَعدَم كل حساسية للنظر، للرصد.

هل يوجد فعل كلي، حال ذهنية تحل كل مشكلة عند ظهورها، وخالية في ذاتها من المشكلات، على أي عمق كان، واعية أم خافية؟ لا أدري إذا اتفق لك يومًا أن تسأل نفسك هذا السؤال. أغلب الظن أنك لم تفعل، لأن غالبيتنا غارقون، عالقون في مشكلات العيش اليومي، – طلب الرزق وتلبية متطلبات مجتمع يبني نفسانيًّا بنيةً قائمةً على الطموح، الجشع، الاستئثار، –إلى حدٍّ أنه ليس عندنا وقت للتقصي. هذا الصباح، سنتقصى في هذا الأمر، وعليك *أنت* يتوقف مدى عمق تقصِّيك، مدى جدية طلبك، مقدار وضوح رصدك وشدته.

لقد عشنا، على ما يبدو، طوال مليونين من السنين – وإنها لفكرة رهيبة! ولعلنا سوف نعيش، كما يفعل البشر، مليونين آخرين من السنين، عالقين في الألم المستديم للوجود. فهل توجد وسيلة، هل يوجد شيء يحرِّر الإنسان من هذا، يحرِّره تمامًا، بحيث لا يعيش ثانية واحدة حتى في العذاب، لا يخترع فلسفة ترضيه في عذابه، لا يضع وصفة يطبِّقها على جميع المشكلات التي تظهر، فيزيد بذلك من تلك المشكلات؟ يوجد! توجد حال ذهنية تستطيع أن تحل المشكلات فورًا؛ وبالتالي، فإن الذهن، بحدِّ ذاته، يخلو من المشكلات، واعية أو خافية.

سنتقصى في هذا الأمر. ومع أن المتكلم سيستعمل كلمات وينفذ إلى أبعد ما يمكن عبر ما تبلِّغه الكلمات، يتعين عليك *أنت* أن تصغي وتفهم. أنت إنسان، ولست فردًا، لأنك مازلت العالم، الجمهور؛ أنت جزء من بنية هذا المجتمع الرهيبة. لا *فردية* هناك إلا حين توجد حال ذهنية يخلو الذهن حينها من المشكلات، حين يستخلص ذاته تمامًا من البنية الاجتماعية للاستئثار، للجشع، للطموح.

نقول إن هناك حالاً ذهنية بوسعها أن تحيا من دون أية مشكلة، وبوسعها أن تحل آنيًّا أية مشكلة تظهر. عليك أن ترى مدى أهمية عدم حملك مشكلة مؤجلة، ولا حتى يومًا واحدًا أو ثانية واحدة، لأنك كلما كانت عندك مشكلة غير محلولة، زودتَها بتربة يمكن لها أن تتجذَّر فيها، فتخرِّب الذهن والقلب والحساسية العصبية. لذا فمن اللازم أن تُحلَّ المشكلةُ على الفور.

هل من الممكن، بعد أن عشنا طوال مليونين من السنين مع النزاعات، مع البؤس، مع تذكار الآماس الكثيرة – هل من الممكن للذهن أن يتحرر من ذلك، بحيث يكون تامًّا، سليمًا، غير مفتت؟ ومن أجل اكتشاف ذلك، لا بدَّ للمرء من أن يتقصى في الزمن، لأن الصلة وثيقة بين المشكلات والزمن.

وإذن، فسنتقصى في الزمن. أي أننا، بعد أن عشنا طوال مليونين من السنين، هل يتعين علينا أن نواصل العيش مليونين آخرين من السنين في الأسى، الألم، الكرب، الصراع المستديم، الموت؟ هل هذا محتوم؟ المجتمع يتقدم، يتطور على ذلك النحو – يتطور عبر الحرب، عبر الضغط، عبر هذا الصراع بين الشرق والغرب، عبر سائر خلافات القوميات، السوق المشتركة، كتل هذه القوة وتلك القوة. المجتمع يتحرك، يتحرك، يتحرك – بطيئًا، غافيًا بمعنى ما، لكنه يتحرك. طيب، لعل المجتمع، بعد مليونين من السنين، سوف يصل إلى نوع من الحال يعيش فيها [الإنسان] مع إنسان آخر من دون تنافس، بمحبة، في رفق، في طمأنينة، بحسٍّ جمالي رفيع. ولكنْ هل يتعين على المرء أن ينتظر مليونين من السنين حتى يتوصل إلى ذلك؟ ألا يجب على المرء أن يكون نافد الصبر؟ أنا أستعمل عبارة *نفاد الصبر* بالمعنى السليم: نفاد الصبر بمعنى عدم الصبر على الزمن. أقصد: ألا نستطيع أن نحل كل شيء، ليس من خلال الزمن، بل فورًا؟

تفكرْ في هذا الأمر فعلاً. لا تقل إنه غير ممكن أو إنه ممكن. ما هو الزمن؟ هناك الزمن الميقاتي، الزمن بتوقيت الساعة – وذلك واضح، ذلك ضروري: حين يكون عليك أن تبني جسرًا، تراك تحتاج إلى زمن. لكن أي شكل آخر من الزمن – أي: "سوف أكون..."، "سوف أفعل..."، "يجب عليَّ ألا..." – ليس حقيقيًّا؛ إنه مجرد اختراع ذهن يقول: "سوف أفعله." أما إذا لم يكن هناك

غد – وليس هناك غد – فإن موقفك برمته إذ ذاك يختلف. وفعليًّا لا يوجد مثل هذا الزمن – فحين تكون جائعًا أو شبقًا أو شهوانيًّا، لا زمن عندك: تراك تريد ذاك الشيء على الفور! ومنه، فإن فهم الزمن هو حل المشكلات.

عاينْ، أرجوك، العلاقة الوثيقة بين المشكلة والزمن. على سبيل المثال، هناك أسى. أنت تعرف ما هو الأسى – لا الأسى المطلق، بل أسى الوحشة، أسى عدم حصولك على شيء تريده، أسى عدم رؤيتك رؤية واضحة، أسى الإحباط، أسى فقدانك شخصًا تظن أنك تحبه، أسى رؤيتك شيئًا رؤية واضحة للغاية، عقليًّا، مع عجزك عن فعله. وفيما يتعدى هذا الأسى، هناك أسى أعظم أيضًا: أسى الزمن. إذ إن الزمن هو الذي يولِّد الأسى. أصغوا إلى هذا، أرجوكم. لقد قبلنا الزمن، وهو سيرورة الحياة المتدرجة، الطريقة المتدرجة في التطور، التغير المتدرج من هذا إلى ذاك، من الغضب إلى حال من عدم الغضب، بالتدريج. لقد قبلنا سيرورة التطور المتدرجة، وترانا نقول إنها جزء من الوجود، إنها جزء من الحياة، إنها خطة الله، أو الخطة الشيوعية، أو خطة أخرى ما. لقد قبلناها، وترانا نتعايش مع ذلك، لا تخيليًّا، بل فعليًّا.

والآن، ذاك، بنظري، هو الأسى الأعظم: السماح للزمن بأن يملي التغيير أو التحول. أعليَّ أن أنتظر عشرة آلاف سنة وأكثر، أعليَّ أن أتكبد هذا البؤس، هذا النزاع، عشرة آلاف سنة أخرى، وببطء، أتغير بالتدريج، شيئًا قليلاً فشيئًا قليلاً، فآخذ وقتي، أتحرك ببطء؟ قبول ذلك والعيش على تلك الحال هو الأسى الأعظم.

هل من الممكن إنهاء ذاك الأسى فورًا؟ – ذلك هو لبُّ المسألة. إذ إنني بمجرد أن أحل الأسى – الأسى بالمعنى الأعمق لتلك الكلمة – ينتهي كل شيء. ذلك أن ذهنًا يعاني الأسى ليس بوسعه أبدًا أن يعرف ما يعنيه الحب.

وإذن، فعليَّ أن أتعلم عن الأسى فورًا، وفعل التعلُّم بعينه هو القطع التام للزمن. رؤية شيء على الفور، رؤية الزائف على الفور، –رؤية الزائف تلك هي بعينها فعل الحقيقة الذي يحررك من الزمن.

سأتوغل بعض الشيء في مسألة الرؤية هذه. بينما كنَّا داخلين لتوِّنا، كان هناك ببغاء: أخضر، لامع، بمنقاره الأحمر، جاثم على غصن ميت على خلفية السماء الزرقاء. نحن لا نراه بتاتًا؛ فنحن أكثر انشغالاً، أكثر تركيزًا من أن نراه، نحن من الاضطراب بحيث لا نرى أبدًا جمال ذلك الطائر على الغصن الميت على خلفية السماء الزرقاء. فعل الرؤية فوري – لا "سوف أتعلم كيف أرى". إذا قلت: "سوف أتعلم"، فقد أقحمت الزمن سلفًا. وإذن، ليس رؤية ذلك الطائر وحسب، بل وسماع ذلك القطار أيضًا، سماع السعال، هذا السعال العصبي المتواصل كل الوقت هنا، – سماع ذلك الضجيج، الإنصات إليه، هو فعل فوري. وإنه لَفعل فوري أن ترى رؤية واضحة للغاية، *من دون المفكر* –رؤية ذلك الطائر، رؤية المرء ما هو إياه، فعليًّا، لا النظريات حول *الآتمن* [الذات العليا] الفائق إلى ما هنالك من نظريات، بل رؤية *فعلية* لما هو المرء إياه.

تتضمن الرؤية ذهنًا خاليًا من الآراء، خاليًا من الوصفات. إذا كانت عندك وصفة في ذهنك، لن ترى أبدًا ذلك الطائر، – ذاك الببغاء الجاثم على ذلك الغصن الميت على خلفية السماء الزرقاء، – لن ترى جماله الكلي. ستقول: "نعم، ذاك ببغاء من النوع الفلاني، والغصن الميت غصن شجرة من النوع الفلاني، وزرقة السماء زرقاء بسبب الضوء المنتثر عبر هباء الغبار"، لكنك لن ترى أبدًا كلية ذلك الشيء الخارق. ولإدراك كلية ذاك الجمال، لا زمن هناك. بالطريقة عينها، لرؤية كلية الأسى، يجب عدم إقحام الزمن بتاتًا.

انظرْ إلى الأمر، رجاءً، بطريقة أخرى. كما تعلم، فعليًّا، ليس عندنا حب – ذاك شيء رهيب إدراكه. فعليًّا، ليس عندنا حب؛ عندنا العاطفة؛ عندنا الانفعالية، الحسية، الجنس؛ عندنا ذكريات عن شيء ظنناه حبًّا. لكننا فعليًّا، بصراحة فظة، ليس عندنا حب. لأن وجود الحب يعني عدم العنف، عدم الخوف، عدم التنافس، عدم الطموح. لو كان عندك حب لما قلت أبدًا: "هذه أسرتي." قد تكون عندك أسرة وتوفر لها أفضل ما تستطيع، لكنها لن تكون "أسرتك" أنت، في مقابل العالم. إذا أحببت، إذا وُجد الحب، يوجد سلام .لو أنك أحببت، لربيت ولدك على أنْ لا يكون قوميًّا، على أنْ لا يكون فقط صاحب مهنة تقنية، فيرعى شؤونه

الصغيرة التافهة؛ لما كانت لك قومية. ما كانت الانقسامات الدينية لتوجد لو أنك أحببت. ولكنْ بما أن هذه الأمور موجودة فعليًّا – ليس نظريًّا، بل بواقعية موجعة – في هذا العالم البشع، فهذا يبين أنه لا حب عندك. حتى حب أمٍّ لولدها ليس حبًّا. لو أن الأم أحبت ولدها حقًّا، هل كان العالم على هذه الصورة يا ترى؟ [لو أحبته] لحرصت على أن يحصل على الطعام السليم، على التربية الصحيحة، لربَّتْه على أن يكون حساسًا، على أن يقدِّر الجمال، على أنْ لا يكون طَموحًا، طامعًا، حاسدًا. فالأم، إذن، مهما ظنت أنها تحب ولدها، لا تحب الولد حقًّا.

وإذن، فليس عندنا ذاك الحب.

فماذا ستفعل إذن؟ إذا قلت: "قل لي أرجوك ماذا أفعل"، فأنت تفوِّت عليك القطار بالمرة. لكنْ عليك أن ترى أهمية تلك المسألة، رحابتها، إلحاحها، – ليس غدًا، ليس في اليوم التالي أو في الساعة التالية، بل أن تراها *الآن*. ولرؤية ذاك، يجب أن تكون عندك *طاقة*. إذن، عاينْ فورًا فحسب – فالحفَّاز الذي يجمِّد السائل أو يبخِّره على الفور لا يفعل فعله إذا أدخلت الزمن، مجرد ثانية واحدة حتى. وجودنا كله، كتبنا كلها، أملنا كله، مؤجل – غدًا، غدًا، غدًا. إباحة حياتنا للزمن هي الأسى الأعظم.

وإذن فالقضية عندك، لا عندك المتكلم الذي تتوقع منه الحصول على جواب. إذ لا جواب هناك – وذاك جمال الأمر. بوسعك أن تجلس متربعًا، أن تتنفس التنفس الصحيح، أو أن تقف على رأسك طوال العشرة آلاف سنة القادمة. لكنك ما لم تطرح هذا السؤال على نفسك – ليس سطحيًّا، ليس لفظيًّا، ليس عقليًّا، بل بكيانك كله – سوف تعيش على ذلك طوال مليونين من السنين. تلك السنون المليونان قد تكون غدًا فحسب. وإذن، فالصلة وثيقة بين المشكلات والزمن – فهل ترى الأمر *الآن*؟

إن ذهنًا يطلب جوابًا عن هذا السؤال ليس عليه أن يفهم أنه نتاج الزمن وحسب، بل وأن *ينفي ذاته* أيضًا، بحيث يستطيع أن يكون خارج بنية الزمن، خارج المجتمع. لو أنك استمعت، استمعت حقًّا بإلحاح، بشدة، لتوصلت إلى هذا – ليس لفظيًّا وحسب، بل فعليًّا –: أنك لم تعد عالقًا في براثن الزمن. فالذهن، مع أنه نتاج مليونين أو أكثر من السنين، يكون قد أفلت، لأنه رأى السيرورة برمتها وفهمها على الفور. بوسع المرء أن يتوصل إلى هذا – ذاك واضح تمامًا. حين يرى المرء هذا الشيء، يكون الأمر أشبه بلعب الأطفال. فمع أنكم جميعًا أناس راشدون، لحظة ترى الأمر تقول: "ماذا كنت أفعل بحياتي طوال هذه المدة؟!" عندئذ فإن الذهن يخلو من المخادعة، يخلو من الضغوط.

حين يخلو الذهن من المشكلات، من التوترات، ويكون بلا اتجاه، إذ ذاك فإن لذهن كهذا فضاء، فضاءً لانهائيًّا في الذهن وفي القلب كليهما؛ وفقط في ذاك الفضاء اللانهائي يمكن للخلق أن يكون. ولأن الأسى والحب والموت والخلق هي جوهر هذا الذهن، يكون هذا الذهن حرًّا من الأسى، حرًّا من الزمن. وإذن، يكون هذا الذهن في حال محبة، وحين يوجد الحب، يوجد الجمال. في حسِّ الجمال ذاك، في الشعور بذاك الفضاء الرحب، اللانهائي، يوجد خلق. وأبعد من ذلك أيضًا – "أبعد" لا بمعنى الزمن – يوجد شعور بحركة شاسعة.

والآن، أنتم جميعًا تستمعون إلى الأمر، آملين أن تمسكوا به لفظيًّا، لكنكم لن تستطيعوا – مثلما لا تستطيعون أن تمسكوا بالحب بمجرد الاستماع إلى خطبة عن الحب. حتى تفهم المحبة، يجب عليك أن تبدأ من الأقرب إليك، وهو نفسك. ومن ثم حين تفهم، حين تخطو الخطوة الأولى – وتلك الخطوة الأولى بعينها هي الخطوة الأخيرة أيضًا –، بوسعك إذ ذاك أن تمضي بعيدًا للغاية، أبعد بكثير من الصواريخ المنطلقة إلى القمر أو الزهرة أو المريخ. وهذا، في كلِّيته، هو الذهن الديِّن.

ڤارنسي، 28 تشرين الثاني 1964

المفكر هو الفكرة من يوميات كريشنامورتي

6 نيسان 1975

إنها ليست زرقة المتوسط الخارقة تلك؛ فللهادي زرقة أثيرية، خصوصًا حين يهب نسيم لطيف من الغرب وأنت تقود شمالاً على طول الطريق الساحلي. ما أحنَّه، ما أبهره، ما أصفاه، وما أبهجه! وبين الحين والحين، ترى حيتانًا تنفث وهي في طريقها إلى الشمال، وقلما تحظى برؤية رؤوسها الضخمة وهي تلقي بنفسها خارج الماء. كان هناك سرب كامل منها، ينفث؛ لا بدَّ أنها حيوانات قوية للغاية. ذاك اليوم، كان البحر أشبه بالبحيرة، ساكنًا وهادئًا هدوءًا تامًّا، من دون موجة واحدة؛ لم تكن هناك تلك الزرقة الصافية المتراقصة. كان البحر غافيًا وأنت تشاهده ذاهلاً. كان البيت [حيث كان يقيم في ماليبو] يطل على البحر. إنه بيت جميل، ذو حديقة هادئة ومرجة خضراء وأزهار؛ بيت واسع، تضيئه شمس كاليفورنيا. والأرانب كانت تحبه أيضًا، ومن عادتها أن تأتي في الصباح الباكر وفي وقت متأخر من المساء، فتلتهم أزهار البنفسج والقطيفة المزروعة حديثًا والنباتات المزهرة الصغيرة. ما كنت لتستطيع أن تبقيها خارجًا، على الرغم من وجود شبكة أسلاك تطوق الحديقة، كما أن قتلها جريمة. لكن قطة وبومة صومعة أحلا النظام في الحديقة؛ راحت القطة السوداء تجول في الحديقة، بينما جثمت البومة طوال النهار بين أوراق الكينا الكثيفة. كان بوسعك أن تراها، لا تحرك ساكنًا، مغمضةً عينيها المدورتين الكبيرتين. اختفت الأرانب وازدهرت الحديقة، والهادي الأزرق يجري بلا جهد.

وحده الإنسان يجلب الفوضى إلى الكون. إنه عديم الرأفة وعنيف للغاية. تراه، حيثما حل، يجلب البؤس والشواش على نفسه وعلى العالم من حوله. إنه يخرب ويدمر، ولا رحمة عنده. في نفسه لا يوجد نظام، وبذا فإن كل ما يلمسه يغدو ملوثًا ومشوشًا. سياساته صارت ضربًا مهذبًا من نشاط العصابات الدائر حول النفوذ والخداع، الشخصي والقومي، جماعة ضد جماعة. اقتصاده محصور وبالتالي ليس عالميًّا. إنه غير ديِّن، مع أنه يؤمن ويتعبد ويؤدي شعائر لا تنتهي ولا معنى لها. فلماذا صار هكذا؟ – متوحشًا، غير مسؤول، وبهذا التمركز التام على ذاته. لماذا؟ هناك مئة تفسير، وأولئك المفسرون، تفسيرًا حاذقًا بكلمات متولدة من معرفة كتب واختبارات كثيرة على الحيوان، واقعون في شباك الأسى والطموح والغرور والكرب. فالوصف ليس الموصوف، والكلمة ليست الشيء. ألأنه يفتش عن أسباب خارجية – إذ البيئة تشرط الإنسان – آملاً أن يحول التغيرُ الخارجي باطنَ الإنسان؟ ألأنه شديد التعلق بحواسه، تسيطر عليه متطلباتها الآنية؟ ألأنه يعيش بكلِّه في حركة الفكر والمعرفة؟ أم لأنه من الرومانسية، من العاطفية، بحيث صار عديم الرأفة، بمُثُله وادعاءاته ومزاعمه؟ ألأنه دومًا منقاد، تابع، أو يصير قائدًا أو گورو [معلمًا روحيًّا]؟

هذا التقسيم إلى الخارجي والداخلي هو بداية نزاعه وبؤسه؛ إنه واقع في شرك هذا التناقض، في هذا الموروث العريق. وهو، إذ يقع في شرك هذا التقسيم عديم المعنى، تراه يضيع ويصير عبدًا للآخرين. الخارجي والداخلي من بنات المخيلة ومن افتعال الفكر؛ ولما كان الفكر مجزأ، فهو يؤدي إلى الفوضى والنزاع، وهو تقسيم. ليس بوسع الفكر أن يجلب نظامًا، دفقًا عفويًّا من الفضيلة. فالفضيلة ليست تكرارًا متواصلاً للذاكرة، للممارسة .الفكر–المعرفة يقيِّد بالزمن. الفكر، بحكم طبيعته وبنيته نفسها، لا يستطيع أن يحيط بجريان الحياة ككل، كحركة كلِّية. الفكر–المعرفة لا يمكن له أن يكون بصيرًا بهذه الكلِّية؛ إنه لا يستطيع أن يعي هذا وعيًا غير اختياري مادام باقيًا بوصفه المدرك، الدخيل الناظر إلى الداخل. الفكر–المعرفة لا مكان له في الإدراك. فالفكر هو الفكرة؛ المدرك هو المدرَك. إذ ذاك فقط توجد حركة بلا جهد في حياتنا اليومية.

الوقوف في وجه الفساد

السائل:لقد تكلمتَ على الوقوف في وجه المجتمع الفاسد والفاسق. المزيد من التوضيح هام للغاية بنظري.

كريشنامورتي :هل نحن، قبل كل شيء، متأكدان مما تتضمنه كلمة *فساد*؟ هناك الفساد الفيزيائي المتعلق بتلويث الهواء، في المدن، في البلدات الصناعية. ترانا ندمِّر البحار، نقتل ملايين الحيتان وصغار الفقمة. هناك التلوث المادي في العالم، وهناك الانفجار السكاني. ثم هنالك الفساد السياسي، الفساد الديني، إلى آخر ما هنالك من فساد. فعلى أي عمق يوجد هذا الفساد في المخ البشري، في النشاط البشري؟ عندما نتكلم على "الفساد"، علينا أن نكون متأكدين تمامًا مما نعني بتلك الكلمة، ومن على أي مستوى نتكلم عليه.

هناك فساد عبر العالم أجمع؛ وبالأكثر، لسوء الحظ، في هذا الجزء من العالم – تمرير المال من تحت الطاولة، اضطرارك إلى الرشوة إذا أردت شراء تذكرة؛ تعرفون الألاعيب الدائرة في هذا البلد كلها! فعل *أفسد* يعني "خرَّب"، ليس مختلف الأجزاء فقط ضد الطوائف والدول الأخرى، بل يعني أساسًا تخريب المخ والقلب. لذا يجب علينا أن نتأكد من على أي مستوى نتكلم على هذا الفساد: أهو على المستوى المالي، على المستوى البيروقراطي، المستوى السياسي، أو المستوى الديني – الذي باتت تستحوذ عليه أنواع الخرافة كافة، بلا أي مغزى بتاتًا: مجرد كلمات كثيرة فقدت كل معنى، وهذا في كلا العالمين المسيحي والشرقي؛ تكرار الطقوس، تعرفون كل ما يجري. أليس ذلك فسادًا؟ دعونا، أرجوكم، نناقش الأمر.

أليست المُثُل شكلاً من أشكال الفساد؟ قد تكون عندنا مُثُل؛ ولنقل، على سبيل المثال، اللاعنف: عندما تكون عندك مُثُل للاَّعنف تتَّبعها، تراك تظل في أثناء ذلك عنيفًا. صحيح؟ أليس ذلك، إذن، فساد مخٍّ لا يبالي فعلاً بالعمل على إنهاء العنف؟ يبدو ذلك واضحًا للغاية.

ثم ألا يوجد فساد عندما لا يوجد الحب بتاتًا، بل اللذة فقط، بكل عذابها؟ كلمة "حب" هذه، عبر العالم كله، باتت محمَّلة بثقل باهظ، وعندما تُقرَن بالجنس، باللذة، بالقلق، بالغيرة، بالتعلق، أليس ذلك فسادًا يا ترى؟ أليس التعلق بحدٍّ ذاته فسادًا؟ عندما يتعلق المرء بمثال أو ببيت أو بشخص، فإن العواقب هي الغيرة والقلق والاستئثار والسيطرة.

وإذن، فإن المسألة تتعلق أساسًا بالمجتمع الذي نعيش فيه، القائم أصلاً على علاقة بعضنا ببعض. إذا خلت هذه العلاقة من المحبة، ولم يكن ثمة إلا مجرد استغلال متبادل، مجرد تبادُل للمواساة بين الواحد والآخر، جنسيًّا وبوسائل أخرى متنوعة، فإنها تكون مجلبةً للفساد حتمًا. فماذا ستفعل حيال هذا كله؟ تلك هي المسألة حقًّا: ماذا ستفعل، كإنسان يعيش في هذا العالم، وهو عالم رائع؟ جمال الأرض، الإحساس بالخاصية الخارقة للشجرة – نحن ندمر الأرض، مثلما ندمر أنفسنا! أنت، كإنسان يعيش هنا، ماذا ستفعل؟ هل نحرص، كل واحد منا، على أنْ لا نكون فاسدين؟ نحن الذين نخلق ذاك المفهوم المجرد الذي نسميه "المجتمع". إذا كانت علاقة بعضنا ببعض مدمِّرة – الاقتتال الدائم، الصراع، الألم، اليأس – فلا بدَّ أن نخلق حتمًا بيئة تمثل ما نحن إياه. فماذا سنفعل حيال الأمر، ماذا سيفعل كل واحد منا؟ هذا الفساد –فقدان حسِّ الأمانة هذا – هل هو مجرد مفهوم؟ هل ما نريد أن نغيِّره هو مجرد فكرة أم أنه أمر فعلي؟ الأمر متوقف عليك *أنت*.

السائل :هل يوجد حقًّا شيء اسمه "تحوُّل"؟ وما هو الشيء الذي يجب "تحويله"؟

كريشنامورتي :حين ترصد، حين ترى من حولك القذارة على الطريق، سياسييك وكيف يتصرفون، سلوكك حيال زوجتك وأبنائك، إلى ما هنالك، فالتحول *حاضر* .أتفهم؟ إحداث نوع معين من *النظام* في الحياة اليومية – ذاك هو التحول، وليس

شيئًا خارقًا، خارج العالم. أي أن المرء، حين لا يفكر تفكيرًا واضحًا، موضوعيًّا، سليمًا، عقلانيًّا، يجب عليه أن يعي ذلك كله ويغيِّره، يكسره. ذاك هو التحول. أنا غيور، فعليَّ أن أرصد ذلك، لا أن أتيح له الوقت للتفتح، أن أغيِّره فورًا. ذاك هو التحول .حين تكون جشعًا، عنيفًا، طَموحًا، – سواء كنت تحاول أن تصير نوعًا من الإله أو القديس، أم في مهنتك، – انظرْ إلى آلية الطموح برمتها، كيف تخلق عالمًا مهولاً في خلوِّه من الرأفة. لا أدري إنْ كنت بصيرًا بهذا كله. التنافس يدمر العالم، الذي يصير أكثر فأكثر عدوانية. إنْ كنت بصيرًا، غيِّرْه على الفور. ذاك هو التحول.

*

السائل :تقول بأن الفرد الواحد، إنْ تغيَّر، يستطيع أن يحوِّل العالم. مع ذلك، على الرغم من إخلاصك، محبتك، وضوحك، ومن تلك القدرة التي لا توصف [فيك]، ما انفك العالم يمضي من سيء إلى أسوأ. فهل هناك شيء ما اسمه "القَدَر"؟

كريشنامورتي :ما هو العالم؟ ما هو الفرد؟ ماذا فعل الأفراد وأثَّر في العالم؟ هتلر أثَّر في العالم. صحيح؟ ماو تسه–تونگ وستالين ولينين ولنكولن أثَّروا فيه؛ وكذلك البوذا أثَّر فيه، وإنْ يكن تأثيره مختلفًا تمامًا. شخص واحد تسبَّب في مقتل الملايين والملايين من الناس؛ جميع أمراء الحرب، الجنرالات، ما انفكوا يقتلون، يقتلون، يقتلون. وقد أثَّر ذلك في العالم. في غضون الخمسة آلاف سنة التاريخية الأخيرة، منذ أن بُدئ بتدوين التاريخ، نشبت حرب كل سنة، مؤثرةً في الملايين من الناس. ثم عندكم البوذا: هو الآخر أثَّر في الذهن البشري، في المخ البشري، عبر الشرق كله؛ ثم جاء كذلك الذين حرَّفوا [تعاليمه]. ومن ثم عندما نسأل إنْ كان التغير "الفردي" يجلب أي تحوُّل في المجتمع، أعتقد أن طرح السؤال على هذا النحو طرح مغلوط.

هل نحن مهتمون حقًّا بتحوُّل المجتمع يا ترى؟ إذا توغلت في الأمر توغلاً جديًّا، هل ترانا مهتمين حقًّا؟ المجتمع الفاسد، الفاسق، القائم على التنافس وانعدام الرأفة – ذلك المجتمع الذي نعيش فيه –، هل أنت مهتم عمقيًّا بتغييره، كفرد إنساني واحد حتى؟ إنْ كنت مهتمًّا حقًّا، عليك عندئذ أن تستفسر عن ماهية المجتمع. هل "المجتمع" كلمة؟ هل هو واقع، أم أنه مجرد مفهوم؟ – أتفهم؟ – مفهوم مجرد عن العلاقة الإنسانية. إن العلاقة الإنسانية هي المجتمع. تلك العلاقة، بكل تعقيداتها وتناقضاتها وألوان الكراهية فيها – هل تستطيع أن تبدِّل ذلك كله يا ترى؟ تستطيع. تستطيع أن تكف عن القسوة، كما تعلم، إلى آخر ما هنالك. كما تكون علاقتك كذلك تكون بيئتك: إذا كانت علاقتك علاقة استئثار، متمركزة على الذات، فأنت تخلق من حولك شيئًا يكون مدمِّرًا بالمقدار نفسه. فالفرد هو أنت؛ أنت سائر النوع البشري. لا أدري إنْ كنت تدرك هذا الأمر. نفسيًّا، داخليًّا، تراك تتعذب :أنت قلق، أنت مستوحش، أنت تنافسي؛ تراك تحاول أن تصير ذا شأن، وهذا هو العامل المشترك الساري عبر العالم أجمع. كل إنسان عبر العالم كله يفعل هذا، وإذن فأنت *فعليًّا* سائر النوع البشري. إذا أدركت ذلك، وإذا أحدثت في نفسك طريقة حياة جديدة، فأنت تؤثر في وعي النوع البشري ككل – على أن تكون جديًّا حقًّا، فتتوغل في الأمر توغلاً عميقًا. أما إذا لم تفعل، فلا بأس! الأمر متوقف عليك *أنت*.

مدراس، 6 كانون الثاني 1981

أن نكون لاشيء

كن متيقظًا لجمال كل يوم، كل صباح جديد، لأعجوبة العالم .إنه لَعالم رائع، ونحن مابرحنا ندمِّره، في علاقة بعضنا مع بعضنا الآخر وفي علاقتنا بالطبيعة، بأشياء هذه الأرض الحية كافة.

هلا تقصينا ماهية مخ صامت؟ تراك لا تتعلم، لا ترصد، إلا عبر صمت عظيم، لا وأنت تُحدِث الكثير من الضجيج. فحتى ترصد تلك التلال، وهذه الأشجار الجميلة، حتى ترصد أسرتك وأصدقاءك، لا بدَّ لك من فضاء ولا بدَّ من وجود صمت. أما إذا كنت تهذر، تثرثر، فلا فضاء لديك ولا صمت. ونحن بحاجة إلى فضاء، ليس فيزيائيًّا وحسب، بل نفسانيًّا أكثر بكثير. وذاك الفضاء ينتفي عندما نفكر في أنفسنا. الأمر شديد البساطة. إذ إنه حين يوجد فضاء – فضاء شاسع نفسانيًّا – توجد حيوية عظيمة. ولكنْ عندما يحدُّ المرء ذاك الفضاء بذاته الصغيرة، فإن تلك الطاقة الهائلة تُحتجَز كليًّا ضمن حدودها. ولهذا السبب فإن التأمل هو إنهاء الذاتية.

يمكن للمرء أن يستمع إلى هذا كله إلى ما لا نهاية، لكنك إنْ لم تفعل هذا، فما الجدوى من استماعك؟ إنْ لم تكن فعليًّا واعيًا بنفسك، بكلماتك، بحركاتك، بمشيتك، بطريقة أكلك، بأسباب شربك وتدخينك، وبسائر الأشياء كلها التي يفعلها البشر – إنْ لم تكن واعيًا بالأمور المادية كلها، كيف يمكن لك أن تعي ما يجري عميقًا؟ إنْ لم يكن المرء واعيًا، فإنه عندئذ يصير مدعيًا، من طبقة وسطى، متوسط الجودة .[mediocre] إن المعنى الأصلي لكلمة *mediocre*تلك هو "صعود طريق التلة حتى منتصفه"، صعود طريق الجبل حتى منتصفه، عدم بلوغ قمته أبدًا. تلك هي الجودة المتوسطة :[mediocrity]أي عدم تطلُّبنا من أنفسنا الامتياز أبدًا، عدم تطلُّبنا من أنفسنا أبدًا الجودة الكاملة أو الحرية التامة – لا حرية أن نفعل ما يحلو لنا (فتلك ليست حرية، تلك تفاهة)، بل التحرر من ألم صنوف الجزع والوحشة واليأس، إلى سائر ما هنالك.

وإذن، لكي نكتشف ذاك، أو لكي نقع عليه، أو من أجل يوجد ذاك، لا بدَّ من فضاء وصمت عظيمين – لا الصمت المفتعَل، ليس قول الفكر" :يجب أن أصمت". الصمت شيء خارق؛ إنه ليس الصمت بين ضجتين. سلام بين حربين ليس سلامًا. الصمت شيء يحل حلولاً طبيعيًّا عندما تراقب: عندما تراقب من غير دافع، من دون أي نوع من الطلب، بل محض المراقبة، ورؤية جمال نجمة متوحدة في السماء، أو مراقبة شجرة بعينها في حقل، أو مراقبة زوجتك أو زوجك، أو أي شيء تراقبه. المراقبة في صمت وفضاء عظيمين. إذ ذاك، في تلك المراقبة، في ذاك الانتباه، ثمة شيء يتعدى الكلمات، يفوق كل قياس.

نحن نستعمل كلمات لنقيس اللامقيس. لذا يجب على المرء أن يعي شبكة الكلمات أيضًا، كيف تغشُّنا الكلمات، كيف تعني الكلمات كل ما تعنيه: [كلمة] *شيوعية*، عند رأسمالي، تعني شيئًا رهيبًا! تصير الكلمات خارقة الأهمية. أما وعي تلك الكلمات والحياة مع كلمة صمت، مع العلم بأن الكلمة ليست هي الصمت، بل الحياة مع تلك الكلمة ورؤية وَزْن تلك الكلمة، مضمون تلك الكلمة، جمال تلك الكلمة!... بذا يبدأ المرء يدرك، حين يكون الفكر هادئًا، مراقِبًا، أن هناك شيئًا يفوق كل خيال وشك وبحث. ويوجد شيء كهذا – على الأقل بنظر المتكلم. لكن ما يقوله المتكلم لا يصلح لسواه .إذا أصغيتَ، تعلمتَ، راقبتَ، كنتَ حرًّا كل الحرية من صنوف جزع الحياة كلها، إذ ذاك فقط يكون ثمة دِيْن من شأنه أن يولِّد ثقافة جديدة، مختلفة كليًّا. نحن لسنا أناسًا مثقفين بتاتًا. قد يتفق لك أن تكون بارعًا جدًّا في الأعمال، قد تكون خارق البراعة تكنولوجيًّا، قد تكون طبيبًا أو أستاذًا جامعيًّا؛ لكننا نبقى مع ذلك محدودين للغاية.

إنهاء الذات، "الأنا": أن تكون لاشيء. كلمة *لاشيء* تعني "لا شيء": لا شيء من خلق الفكر. أن تكون لاشيء، فتعدم كل صورة عن نفسك. لكن عندنا صورًا عديدة جدًّا عن أنفسنا. أن تعدم كل صورة من أي نوع، كل وهم، أن تكون لاشيء على الإطلاق. الشجرة ليست شيئًا بنظر نفسها: إنها موجودة. وهي، في وجودها بحدِّ ذاته، أجمل شيء، مثل تلك التلال: إنها موجودة؛ إنها لا تصير شيئًا [آخر]، لأنها لا تستطيع. مثل بذرة شجرة تفاح :إنها تفاح؛ تراها لا تحاول أن تصير أجاصًا أو فاكهة أخرى – إنها *كائنة* .أتفهم؟ هذا هو التأمل. هذا هو إنهاء البحث، والحقيقة *تكون*.

أوهَيْ، 22 أيار 1983

أنت العالم

السائل :كيف يمكن لفكرة "أنت العالم وأنت مسؤول كليًّا عن النوع البشري بأسره" أن تُبرَّر على أساس عقلاني، موضوعي، عاقل؟

كريشنامورتي :لست واثقًا من إمكان عَقْلَنَتها على أساس عاقل، موضوعي. لكننا سنفحص عنها أولاً قبل أن نقرر عدم إمكان ذلك!

بادئ ذي بدء، الأرض التي نعيش عليها هي أرضنا – صحيح؟ إنها ليست الأرض البريطانية، ولا الأرض الفرنسية، أو الألمانية، الروسية، الهندية، الصينية، بل هي أرضنا التي نحيا عليها جميعًا. ذاك واقع. لكن الفكر جزأها عرقيًّا، جغرافيًّا، ثقافيًّا، اقتصاديًّا. وتلك التجزئة تسبِّب الخراب في العالم – بكل وضوح. ذاك أمر لا سبيل إلى إنكاره؛ ذاك التصريح تصريح عقلاني، موضوعي، عاقل. إنها أرضنا التي نحيا عليها جميعًا، لكننا جزأناها – لأسباب أمنية، لأسباب مختلفة، وطنية، سياسية، وهمية – الأمر الذي يسبِّب الحرب لا محالة.

قلنا أيضًا بأن الوعي البشري كله متشابه. ترانا جميعًا، مهما كان جزء الأرض الذي نعيش عليه، نكابد الكثير من العذاب، الألم، القلق، الريبة، الخوف؛ وترانا في بعض الأحيان، أو ربما أحيانًا كثيرة، نعرف اللذة. هذه هي الأرضية المشتركة التي يقف عليها البشر أجمعون – صحيح؟ هذا واقع لا سبيل إلى دحضه. قد نحاول أن نتفاداه، قد نحاول أن نتجاهله بقولنا إنه غير موجود، [كأنْ أقول] إنني "فرد"، إلى ما هنالك؛ لكنك حين تنظر إليه نظرة موضوعية، غير شخصية، ستجد أن وعينا يماثل – نفسيًّا – وعي البشر أجمعين. قد تكون طويل القامة، قد تكون أشقر البشرة، قد تكون بني الشعر؛ وقد أكون أسود البشرة، أو أبيض، أو قرنفلي اللون، أو ما شاكل – لكننا، داخليًّا، نعاني جميعًا معاناة فظيعة. ترانا جميعًا نعاني شعورًا بوحشة قانطة. قد يكون عندك أبناء، زوج، أسرة، لكنك عندما تكون وحدك، يستبد بك الشعور بأن لا علاقة لك بأي شيء؛ تراك تشعر بأنك معزول كليًّا. أغلبنا عنده ذلك الشعور. هذه هي الأرضية المشتركة بين البشر أجمعين. ومهما يحدث في حقل هذا الوعي، فنحن مسؤولون. أي أنني، إنْ كنت عنيفًا، فأنا أضيف مزيدًا من العنف إلى ذلك الوعي المشترك بيننا جميعًا؛ أما إذا لم أكن عنيفًا، فلا أضيف إليه، بل أجلب عاملاً كليَّ الجدة إلى ذلك الوعي.

ومنه، فأنا مسؤول مسؤولية عميقة: إما أساهم في ذلك العنف، في تلك البلبلة، في تلك التجزئة الرهيبة، وإما – إذ أقرُّ عميقًا في قلبي، في دمي، في أعماق كياني، أنني سائر العالم، أنني النوع البشري، أنني العالم، أن العالم ليس منفصلاً عني – أصبح، إذ ذاك، كلي المسؤولية. هذا واضح كل الوضوح! هذا عقلاني، موضوعي، عاقل. [الموقف] الآخر هو الجنون بعينه: أن يسمي المرء نفسه هندوسيًّا، بوذيًّا، مسيحيًّا، إلى آخر ما هنالك من تسميات – فهذه مجرد لُصاقات!

حين يختبر المرء ذاك الشعور، ذاك الواقع، حقيقة أن كل إنسان يعيش على هذه الأرض ليس مسؤولاً عن نفسه وحسب، بل وعن كل ما يحدث، ترى كيف يترجم ذلك في الحياة اليومية؟ هل تشعر ذاك الشعور، لا كاستنتاج عقلي، لا كمثال، إلى آخره؟ – وإلا فليس له من الواقع نصيب. لكنْ إذا كانت الحقيقة هي أنك تقف على الأرضية المشتركة بين النوع البشري بأسره، وكنت تشعر بأنك كلي المسؤولية، ما هو عندئذ عملك حيال المجتمع، حيال العالم الذي تعيش فعليًّا فيه؟

العالم كما هو الآن مليء بالعنف. هَبْ أنني أدركت بأني كلي المسؤولية. ما هو عملي؟ هل سأنضم إلى جماعة من الإرهابيين؟ بالطبع لا .من الواضح أن التنافس بين الأمم بات يدمر العالم. حين أشعر بأني مسؤول عن هذا، تراني بطبيعة الحال أكف عن المنافسة. وكلا العالم الديني والعالم الاقتصادي والاجتماعي، على حدٍّ سواء، يقوم على مبدأ التراتُب. فهل سآخذ أنا الآخر بهذا المفهوم عن النظرة التراتُبية؟ بالطبع لا، لأن مَن يقول" :أعرف" يتخذ موقعًا مستعليًا، ويكون صاحب مرتبة. فإذا كنت تريد تلك المرتبة، اسْعَ في نيلها، لكنك بذلك تساهم في بلبلة العالم.

وإذن، فهناك أعمال فعلية، موضوعية، عاقلة، حين تدرك، حين تتحقق في أعماق قلبك، أنك سائر النوع البشري، وأننا جميعًا نقف على الأرضية نفسها. **زانن، 29 تموز 1981**

حال البشرية

كثيرة هي المجلدات التي كُتبتْ في حال العالم خارجنا :البيئة، المجتمع، السياسة، الاقتصاد، إلى آخره، لكن قليلاً منها فقط تجشم عناء اكتشاف ما نحن عليه فعليًّا: لماذا يسلك البشر كما يفعلون – مقتتلين، متبعين مرجعيةً ما، أو كتابًا ما، شخصًا ما، مثالاً ما – ولماذا ليسوا على علاقة صحيحة مع أصدقائهم وزوجاتهم وأزواجهن وأطفالهم. لماذا صار البشر على هذا القدر من السوقية، من الوحشية، مفتقرين تمامًا إلى الاكتراث بالآخرين، نافين سيرورة ما يُعتبَر حُبًّا برمتها؟

ولقد عاش الإنسان مع الحروب طوال آلاف السنين. ترانا نحاول أن نمنع وقوع حرب نووية، لكننا لن نفلح أبدًا في إيقاف الحروب. فهذه تستمر في الناس المستغَلين، وفي القامع الذي يصير بدوره مقموعًا. هذه هي دورة الوجود البشري التي يتخللها الأسى والوحشة والإحساس الرهيب بالاكتئاب والقلق المتصاعد والفقدان التام للأمان وانعدام علاقة المرء مع المجتمع أو مع أصدقائه المقربين. ما من علاقة من غير نزاع، مشاحنات، إلى آخره. هذا هو العالم الذي نعيش فيه والذي أنا واثق أنكم جميعًا تعرفونه.

وخلال آلاف السنين هذه بطولها، أشرطت المعرفةُ أدمغتنا .رجاءً، لا ترفضوا أي شيء يقوله المتكلم أو تقبلوه، بل استفسروا عنه، شكِّكوا فيه، كونوا شكاكين. وفوق كل شيء، لا تدعوا المتكلم يؤثر فيكم؛ فما أسهل أن نتأثر وننخدع! وإذا شئنا أن نتكلم جديًّا حول هذه القضايا، على المرء أن يكون صاحب ذهن ومخ يتصفان بحرية الفحص، بالخلو من التحيز، من أي نتائج، من أي رأي أو عناد. على المرء أن يكون صاحب مخ دائم الاستفسار والشك. فعند ذاك فقط يكون بمستطاعنا أن نكون على علاقة بعضنا مع بعض وبالتالي أن نتواصل.

مدراس، 26 كانون الأول 1982

رؤية العالم ككل

لسنا ننظر إلى الحياة أبدًا بوصفها حركة هائلة، ذات عمق عظيم، ذات شساعة. لقد اختزلنا حياتنا إلى شأن بالغ الزراية. والحياة هي حقًّا أكثر الأشياء حُرْمة في الوجود. قتل إنسان هو أشد الفظائع كفرًا – وكذلك الغضب على إنسان أو العَنَف به.

*

لسنا نرى العالم أبدًا بوصفه كلاً لأننا ممعنون في التجزؤ. فما أرهب محدوديتنا، ما أشد تفاهتنا! وليس لدينا أبدًا هذا الشعور بالكلية، حيث أشياء البحر، أشياء الأرض والسماء، الطبيعة، الكون، جزء منا .ليس على سبيل التخيل – فبوسعك أن تسترسل في نوع ما من الخيال المتوهم وتتخيل أننا الكون، فتصير عندئذ معتوهًا! لكنك، إذا حطمت هذا الاهتمام الصغير، المتمركز على الذات، ونفضت عنك كل شيء من هذا القبيل، إذ ذاك تستطيع انطلاقًا من هناك أن تتحرك إلى ما لا نهاية.

بروكوود پارك، 4 أيلول 1983

25 شباط [1983]

ثمة شجرة قرب النهر، مافتئنا نراقبها يومًا بعد يوم طوال عدة أسابيع والشمس على وشك الشروق. بينما تشرق الشمس بطيئة فوق الأفق، فوق الأشجار، تصير هذه الشجرة بعينها، على حين غرة، ذهبية. الأوراق كلها ساطعة حياةً، وفيما أنت تراقبها والساعات تمر – تلك الشجرة التي لا يهم اسمها، فما يهم هو تلك الشجرة الجميلة –، تبدو المراقبة وكأنها تنشر خاصية خارقة فوق الأرض كلها، فوق النهر. وبينما الشمس ترتفع أعلى قليلاً، تبدأ الأوراق بالرفرفة، بالرقص. وتبدو كل ساعة وكأنها تمنح تلك الشجرة صفة مختلفة. تراها قبل أن تشرق الشمس تتصف بشعور داكن، هادئة، نائية، ممتلئة عزة. ومع بدء النهار، فإن الأوراق، والضياء يحل عليها، تتراقص وتمنحها ذاك الشعور العجيب الذي يشعر به المرء حيال الجمال العظيم. وعند انتصاف النهار، يكون فيؤها قد دكن، وبوسعك أن تجلس فيه متّقيًا الشمس، غير شاعر بالوحشة أبدًا، مستأنسًا برفقة الشجرة. وأنت جالس هناك، تنعقد علاقة أمان عميق مستديم وحرية وحدها الأشجار بمستطاعها أن تعرفها.

وحوالى المساء، حينما تضيء الشمس الغاربة السماوات الغربية، تصير الشجرة رويدًا رويدًا داكنة، قاتمة، وتنغلق على نفسها. لقد أمست السماء حمراء، صفراء، خضراء، لكن الشجرة تظل هادئة، مختبئة، وتستريح لقضاء الليل.

إذا أقمت علاقة معها، فأنت إذ ذاك على صلة بالنوع الإنساني. وأنت عندئذ مسؤول عن تلك الشجرة وعن أشجار العالم. لكنك إذا انعدمت صلتك مع الأشياء الحية على هذه الأرض، فقد تخسر ما عندك من علاقة مع البشرية، مع البشر. نحن لا ننظر عميقًا في خاصية شجرة أبدًا، لا نلمسها حقًّا أبدًا، فنشعر بصلابتها، بلحائها الخشن، ونسمع الصوت الذي هو جزء من الشجرة – لا صوت الريح تتخلل الأوراق، لا نسيم الصباح يداعب الأوراق، بل صوتها هي، صوت الجذع وصوت الجذور الصامت. لا بدَّ لك من أن تكون خارق الحساسية لتسمع الصوت. هذا الصوت ليس ضوضاء العالم، ليس ضجيج الذهن مثرثرًا، ليس سوقية مشاجرات البشر وحروبهم، بل الصوت كجزء من الكون.

من العجب أننا قلما نعقد صلة مع الطبيعة، مع الحشرات والضفدع واثبًا والبوم ناعبًا بين التلال مناديًا رفيقته. يبدو وكأننا عديمو الشعور أبدًا بجميع الأشياء الحية على الأرض. لو أمكن لنا أن نقيم علاقة عميقة مستديمة مع الطبيعة، لما قتلنا أبدًا حيوانًا إشباعًا لشهيتنا، لما آذينا أو شرَّحنا أبدًا قردًا أو كلبًا أو خنزيرًا غينيًّا حيًّا لمنفعتنا، ولوجدنا طُرُقًا أخرى لإبراء جروحنا، لشفاء أجسامنا. غير أن شفاء الذهن أمر مختلف تمامًا. وذلك الشفاء يتم رويدًا رويدًا إذا كنت مع الطبيعة، مع تلك البرتقالة على الشجرة، ومع نصلة العشب التي تنتأ من خلال الإسمنت، ومع التلال التي تغطيها السحب وتخفيها.

هذا ليس من قبيل العاطفة أو الخيال الرومانسي، بل واقع علاقة بكل ما يحيا ويتحرك على الأرض. لقد قتل الإنسان ملايين الحيتان ولا يزال يقتلها. كل ما نجنيه من ذبحها يمكن الحصول عليه عبر وسائل أخرى. لكن الإنسان، على ما يبدو، يستحب قتل الأشياء، الظبي الرشيق والغزالة البديعة والفيل العظيم. ونحن نستحب قتل بعضنا بعضًا. وهذا القتل لسوانا من البشر لم يتوقف قط طوال تاريخ حياة الإنسان على هذه الأرض. لو أمكن لنا – ويجب علينا – أن نقيم علاقة عميقة طويلة مستديمة مع الطبيعة، مع الأشجار الفعلية والشجيرات والأزهار والعشب والسحب السريعة الحركة، إذ ذاك لما ذبحنا أبدًا إنسانًا آخر لأي سبب كان. الجريمة المنظمة هي الحرب.

صرنا مقلِّدين...

ما هي العلاقة بينك وبين البؤس، البلبلة، فيك وحواليك؟ هذه البلبلة، هذا البؤس، لم ينشأ قطعًا من تلقاء ذاته؛ أنت وأنا – ليس المجتمع الرأسمالي ولا الشيوعي ولا الفاشي هو الذي أوجده – بل أنت وأنا أوجدناه في علاقة كلٍّ منا بالآخر. ما أنت إياه في الداخل أسقِطَ خارجًا، على العالم؛ ما أنت إياه، ما تفكر فيه وما تشعر به، ما تفعله في حياتك اليومية، يُسقَط خارجيًّا، وذاك يكوِّن العالم. إذا كنا بائسين، مبلبَلين، فوضويين في الداخل، فإن ذاك يصير – بإسقاطه – العالمَ، ذاك يصير المجتمع، لأن العلاقة بينك وبيني، بيني وبين الآخر، هي المجتمع – المجتمع هو نتاج العلاقة بيننا –، وإذا كانت علاقتنا مبلبَلة، متمركزة على الأنا، ضيقة، محدودة، قومية، فإننا نُسقِط ذلك ونجلب الفوضى إلى العالم.

كما تكون *أنت* يكون العالم. ومنه، فإن مشكلتك هي مشكلة العالم. هذا – قطعًا – واقع بسيط وأساسي، أليس كذلك؟

*

لماذا يتداعى المجتمع، ينهار، كما هو فاعل قطعًا؟ واحد من الأسباب الأساسية هو أن الفرد – *أنت* –قد كف عن الإبداع. سأشرح ما أعنيه: لقد صرنا – أنت وأنا – مقلِّدين؛ ترانا ننسخ، خارجيًّا وداخليًّا. خارجيًّا، حين نتعلم تقنية ما، حين نتواصل بعضنا مع بعض على المستوى اللفظي، لا بدَّ بطبيعة الحال من وجود شيء من التقليد، من النسخ. تراني أنسخ الكلمات. لكي أصير مهندسًا، يجب علي أولاً أن أتعلم التقنية، ثم أستعمل هذه التقنية لبناء جسر. لا بدَّ من وجود مقدار معين من التقليد، من النسخ، في التقنية الخارجية، ولكن حين يوجد تقليد داخلي، *نفساني*، نكف قطعًا عن الإبداع. تربيتنا، بنية مجتمعنا، حياتنا الدينية المزعومة، تقوم كلها على التقليد؛ أي أنني أنصاع لصيغة اجتماعية أو دينية بعينها، وبذلك لا أعود *فردًا* حقيقيًّا. تراني أصير – نفسانيًّا – مجرد آلة مكرِّرة ذات استجابات مشروطة معينة، سواء كانت استجابات الهندوسي أو المسيحي أو البوذي أو الألماني أو الإنكليزي .استجاباتنا باتت مشروطة طبقًا لنموذج المجتمع، سواء كان شرقيًّا أو غربيًّا، دينيًّا أو ماديًّا. ومنه، فإن التقليد هو واحد من الأسباب الأساسية لتفكك المجتمع؛ وواحد من العوامل المفكِّكة هو القائد، الذي جوهره بالذات هو التقليد.

علاقة "صائبة" مع الطبيعة؟

سؤال :ما معنى العلاقة الصائبة مع الطبيعة؟

كريشنامورتي :لا أدري إنْ كنت قد اكتشفت علاقتك مع الطبيعة. ليست هناك علاقة "صائبة"، هناك فقط فهم العلاقة. العلاقة الصائبة، شأنها شأن الفكر "الصائب"، تلمِّح إلى مجرد قبول صيغة جاهزة. الفكر الصائب والتفكير السليم أمران مختلفان: الفكر الصائب مجرد انصياع لما هو صواب، لما هو محترم، بينما التفكير السليم عبارة عن حركة؛ إنه وليد الفهم، والفهم لا ينفك يجري عليه تعديل، تغيير. بالمثل، هناك فرق بين العلاقة الصائبة وبين فهم علاقتنا مع الطبيعة. فما هي علاقتك مع الطبيعة؟ – الطبيعة بما هي الأنهار، الأشجار، الطيور الرشيقة الطيران، الأسماك في الماء، المعادن في جوف الأرض، الشلالات والبرك الضحلة. ما هي علاقتك بها؟ أغلبنا غير واعٍ لتلك العلاقة. ترانا لا ننظر أبدًا إلى شجرة، وإذا فعلنا، فبقصد استعمال تلك الشجرة، إما للجلوس في فيئها وإما لتقطيعها إلى ألواح. بعبارة أخرى، ننظر إلى الأشجار بقصد الانتفاع منها؛ لا ننظر أبدًا إلى شجرة من غير إقحام أنفسنا والاستفادة منها لمصلحتنا. ونحن نعامل الأرض ومواردها بالطريقة عينها. ليست هناك محبة للأرض، هناك تسخير للأرض وحسب. فلو أحبَّ المرءُ الأرض حقًّا لاقتصد في استعمال أشياء الأرض. أي أننا، لو كان لنا أن نفهم علاقتنا مع الأرض، لوجب علينا أن نكون شديدي الحرص في استعمالنا أشياء الأرض. إن فهم علاقة المرء مع الطبيعة صعب صعوبة فهم علاقته مع جاره، زوجته، وأولاده. لكننا لم نولِ الأمر أي تفكير، لم نجلس قط للنظر إلى النجوم أو القمر أو الأشجار. فما أشد انشغالنا بنشاطاتنا الاجتماعية أو السياسية! ومن الواضح أن هذه النشاطات هي وسائل فرار من أنفسنا، وعبادة الطبيعة هي الأخرى مفر من أنفسنا. إننا نستعمل الطبيعة دومًا إما كمهرب من أنفسنا وإما لمآرب نفعية – لا نتوقف فعليًّا أبدًا ونحب الأرض أو أشياء الأرض. ترانا لا نبتهج أبدًا بالحقول الغنية، مع أننا نستغلها لتوفر لنا المأكل والملبس. ترانا لا نستحب أبدًا فلاحة الأرض بأيدينا – فنحن نخجل من العمل بأيدينا. هناك شيء خارق يحصل عندما تفلح الأرض بيديك. لكن هذا العمل تقوم به الطوائف الدنيا وحسب؛ أما نحن، أبناء الطوائف العليا، فمقامنا، على ما يبدو، أرفع من أن نستعمل أيدينا! وبهذا فقدنا علاقتنا مع الطبيعة.

لو اتفق لنا مرة أن نفهم تلك العلاقة، مغزاها الحقيقي، إذ ذاك لما جزأنا الملكية إلى "ما لك" و"ما لي"؛ وحتى إذا اتفق لأحدهم أن يمتلك قطعة أرض ويبني عليها منزلاً، فسيكون المنزل وسيلة مأوى أكثر منه "لي" أو "لك" بالمعنى الحصري. ولأننا لا نحب الأرض وأشياء الأرض، بل نسخِّرها وحسب، لا نحس بجمال شلال، وترانا أضعنا لمسة الحياة، فلم نجلس أبدًا وظهورنا متكئة على جذع شجرة. وبما أننا لا نحب الطبيعة، ترانا لا نعرف كيف نحب البشر والحيوانات. انزلْ إلى الشارع وراقب كيف تُعامَل الثيران المخصية، وأذنابها كلها معوجَّة. تراك تهز رأسك وتقول: "هذا محزن جدًّا." لكننا فقدنا حس الحنان، تلك الحساسية، تلك الاستجابة للأشياء الجميلة، ولن يكون بوسعنا أن ننال فهم ماهية العلاقة الحقة ما لم تتجدد تلك الحساسية. وتلك الحساسية لا تأتي بمجرد تعليق بضع لوحات، أو برسم شجرة، أو بوضع بضع أزهار في شعرك؛ الحساسية تأتي فقط حين تُنحَّى هذه النظرة النفعية. وهذا لا يعني أنك لا يجوز أن تستعمل الأرض، بل إنك يجب أن تستعمل الأرض كما ينبغي لها أن تُستعمَل. فالأرض موجودة لكي نحبها، لكي نرعاها، لا لكي نجزِّئها إلى "لك" و"لي". حماقة أن تزرع شجرة في رقعة أرض مسيجة وتسميها "لي"! فقط حين يتحرر المرء من الحصرية توجد إمكانية الاتصاف بالحساسية، لا للطبيعة وحسب، بل وللبشر ولتحديات الحياة المتواصلة.

پونا، 17 تشرين الأول 1948

فقدان الصلة مع الطبيعةمن يوميات كريشنامورتي

نيسان 1975

إذا فقدتَ الصلة مع الطبيعة، فقدتَ الصلة مع الإنسانية .إذا انعدمتْ علاقتُك مع الطبيعة، صرتَ عندئذ قاتلاً؛ لذا تراك تقتل صغار الفقمة والحيتان والدلافين والإنسان، إما طلبًا للربح، "للرياضة"، للطعام، وإما طلبًا للمعرفة. إذ ذاك، ترتعب الطبيعة منك، فتسحب جمالها. قد تتنزه نزهات طويلة ماشيًا في الحراج أو تعسكر في أماكن بديعة، لكنك قاتل، فتفقد صداقتها. ولعلك لست على تواصُل مع أي شيء، لا مع زوجتك ولا مع زوجك؛ فأنت أكثر انشغالاً بربحك وخسارتك، بخواطرك وملذاتك وأوجاعك الذاتية الخاصة، من أن تتواصل. تراك تعيش في عزلتك الذاتية المظلمة؛ وفي الهروب منها المزيد من الظلمة. اهتمامك منصبٌّ في بقاء طائش قصير الأمد، سلس أو عنيف. والآلاف يموتون جوعًا أو يُجزَرون بسبب انعدام مسؤوليتك. تراك تترك ترتيب العالم للسياسي الكذاب الفاسد، للمثقفين، للخبراء. ولأنك عديم الذمة، تراك تبني مجتمعًا فاسقًا، عديم الشرف، مجتمعًا قائمًا على الأنانية المطبقة. وعند ذاك تهرب من هذا كله، الذي تتحمل وحدك مسؤوليته، إلى الشواطئ، إلى الحراج، أو تحمل بندقية على سبيل "الرياضة!"

قد تعرف هذا كله، لكن المعرفة لا تُحدِث فيك تحولاً. أما عندما يكون لديك هذا الشعور بالكل، فسوف تكون متصلاً بالكون.

في معرفة النفس

حسبنا أن ننظر إلى العالم من حولنا حتى نرى البلبلة والبؤس والرغبات المتنازعة. وأغلب الناس المبالين والجديين، – لا الناس الذين يلعبون لعبة التظاهُر، بل الناس المهتمون حقًّا، – إذ يدركون هذا العماء العالمي، سوف يرون بطبيعة الحال أهمية التفكر في مشكلة العمل. هناك العمل الجماهيري والعمل الفردي؛ و"العمل الجماهيري" صار مفهومًا مجردًا، مَهْربًا ملائمًا للفرد. فالفرد، إذ يظن أن هذا العماء، – هذا البؤس، هذه النكبة التي لا تنفك تتصاعد، – يمكن للعمل الجماهيري أن يحوِّله أو أن يُحِلَّ فيه النظام، تراه يصير غير مسئول. "الجماهير" قطعًا كيان متخيَّل؛ فالجماهير هي أنت وأنا. ففقط حين لا نفهم – أنت وأنا – علاقة العمل الصحيح، ترانا نلوذ بالمفهوم المجرد المسمى بـ"الجماهير" – وبذا نصير غير مسئولين في عملنا. ومن أجل الإصلاح في العمل، نبحث إما عن قائد وإما عن العمل المنظم الجماعي، وهو عمل "جماهيري" هو الآخر. وعندما نلوذ بقائد طلبًا للتوجيه في العمل، ترانا لا محالة نختار شخصًا نظن أنه سوف يعيننا على تجاوز مشكلاتنا نحن، بؤسنا نحن. لكن القائد نفسه – لأننا نختار قائدنا اعتبارًا من بلبلتنا – قائد مبلبل هو الآخر. فنحن لا نختار قائدًا إلا ويشبه أنفسنا؛ إذ لا نستطيع... لا نستطيع إلا أن نختار قائدًا مبلبلاً مثلنا؛ لذا فإن أمثال هؤلاء القادة، أمثال هؤلاء المرشدين والـ*گورو*]المعلمين[الروحيين المزعومين، يقودوننا لا محالة إلى مزيد من البلبلة، إلى مزيد من البؤس. وبما أن ما نختار لا بدَّ أن نختاره اعتبارًا من بلبلتنا، فإننا حين نتبع قائدًا ترانا لا نتبع إلا إسقاطنا الذاتي المبلبل .لذا فإن مثل هذا العمل، مع أنه قد يثمر عن نتيجة فورية، يقود لا محالة إلى مزيد من النكبات.

ومنه، نرى أن العمل الجماهيري – مع أنه قد يكون ذا قيمة في بعض الحالات – يقود حتمًا إلى النكبة، إلى البلبلة، ويجلب انعدام المسئولية من جانب الفرد، وأن التبعية لقائد لا بدَّ أن تزيد من البلبلة هي الأخرى. ومع ذلك، علينا أن نحيا. الحياة هي العمل؛ الوجود هو العلاقة. لا عمل ثمة من دون علاقة، ولا يمكن لنا أن نحيا معزولين. ليس هناك شيء اسمه العزلة. فالحياة هي أن نعمل وأن نكون على علاقة. ومنه، حتى نفهم العمل الذي لا يفتعل المزيد من البؤس، المزيد من البلبلة، علينا أن نفهم أنفسنا، بكل تناقضاتنا، بعناصرنا المتضادة، بأوجُهنا العديدة التي لا تنفك يتصارع بعضها مع بعض. فإلى أن نفهم أنفسنا، لا بدَّ للعمل من أن يقود حتمًا إلى مزيد من النزاع، إلى مزيد من البؤس.

مشكلتنا، إذن، هي العمل المصحوب بالفهم؛ وذاك الفهم لا يمكن له أن يحصل إلا عبر معرفة النفس. فالعالم، في النهاية، هو إسقاط لنفسي: ما أنا إياه يكونه العالم؛ العالم ليس مختلفًا عني، العالم ليس مضادًّا لي. العالم وأنا لسنا كيانين اثنين منفصلين. المجتمع هو نفسي؛ ليست هناك سيرورتان مختلفتان. العالم امتداد لنفسي، ولفهم العالم، علي أن أفهم نفسي. الفرد ليس متعارضًا مع الجماهير، مع المجتمع، لأن المجتمع هو الفرد بالذات. المجتمع هو العلاقة بينك وبيني وبين الآخر. لا يوجد تضاد بين الفرد والمجتمع إلا حين يصير الفرد غير مسئول. مشكلتنا، إذن، لا يُستهان بها .هناك أزمة مهولة تواجه كل بلد، كل شخص، كل جماعة. فما هي طبيعة علاقتنا – أنت وأنا – بتلك الأزمة، وكيف سنعمل؟ من أين نبدأ من أجل أن نُحدِث تحولاً؟ كما قلت، إذا لذنا بالجماهير لن نجد مخرجًا، لأن الجماهير تقتضي وجود قائد، والجماهير يستغلها دومًا السياسي والكاهن والخبير. وبما أنك وأني نصنع الجماهير، لا مناص لنا من تحمُّل المسئولية عن عملنا؛ أي أن علينا أن نفهم طبيعتنا نحن، علينا أن نفهم أنفسنا. وفهم أنفسنا لا يتم بالانسحاب من العالم، لأن الانسحاب يقتضي العزلة، ولا نستطيع أن نعيش معزولين. ومنه، علينا أن نفهم العمل في العلاقة، وذاك الفهم يتوقف على وعينا طبيعتنا نحن، المتنازعة والمتناقضة. أعتقد أن من الحمق أن نتصور حالاً يسودها السلام بوسعنا أن نتطلع إليها. لا يمكن أن يوجد سلام وطمأنينة إلا حين نفهم طبيعة أنفسنا ولا نفترض سلفًا حالاً لا نعرفها. قد تكون هناك حال سلام، لكن مجرد التكهن حولها لا جدوى منه.

من أجل العمل السليم، لا بدَّ من التفكير السليم؛ ومن أجل التفكير السليم، لا بدَّ من معرفة النفس؛ ومعرفة النفس لا تحصل إلا عبر العلاقة، لا عبر العزلة. التفكير السليم لا يمكن له أن يأتي إلا بفهم أنفسنا، الذي ينبجس منه العمل السليم. العمل السليم هو العمل الذي ينبع من فهم أنفسنا: لا فهم جزء واحد من أنفسنا، بل فهم محتوى أنفسنا برمته، طبائعنا المتناقضة، كل ما نحن إياه. ونحن، حين نفهم أنفسنا، يتم العمل السليم؛ ومن ذلك العمل توجد السعادة. وفي الحاصل، فإن السعادة هي ما نريد، هي التي يطلبها أغلبنا عبر أشكال متنوعة، عبر مختلف المهارب – مهارب النشاط الاجتماعي، مهارب العالم البيروقراطي، التسلية، العبادة وتكرار العبارات، الجنس، ومهارب أخرى لا تُحصى. لكننا نرى أن هذه المهارب لا تجلب سعادة مستديمة، بل تجلب تسكينًا مؤقتًا وحسب. فما من شيء حقيقي فيها، ما من بهجة مستديمة أساسًا. أعتقد أننا سنجد تلك البهجة، تلك النشوة، فرح الوجود المبدع الحقيقي ذاك، فقط حين نفهم أنفسنا. لكن فهم أنفسنا هذا ليس سهلاً، بل يتطلب تيقظًا، وعيًا معينًا. وذاك التيقظ، ذاك الوعي، يمكن له أن يأتي فقط حين لا ندين، حين لا نبرِّر، لأنه لحظة ندين أو نبرِّر، نضع حدًّا لسيرورة الفهم. حين ندين أحدهم، نكف عن فهم ذلك الشخص، وحين نتماهى مع ذلك الشخص، نكف عن فهمه أيضًا. والأمر مماثل مع أنفسنا. رَصْدُ نفسك، وعيُ ما أنت إياه وعيًا سالبًا، من أصعب ما يكون، ولكن من ذاك الوعي السالب يأتي فهم، يأتي تحوُّل للما*هو*، ووحده ذاك التحول يفتح الباب للحق.

مشكلتنا، إذن، هي العمل والفهم والسعادة. ولا أساس للتفكير الصحيح ما لم نعرف أنفسنا. من غير أن أعرف نفسي لا أساس عندي للتفكير – بوسعي فقط أن أعيش في حال تناقُض، كما يفعل معظمنا. حتى أحدِثَ تحولاً في العالم – وهو عالم علاقتي – لا بدَّ لي من أبدأ بنفسي. رُبَّ قائل يقول: "إحداث تحوُّل في العالم بتلك الطريقة يستغرق وقتًا طويلاً لا ينتهي." إذا كنا نطلب نتائج فورية، فبطبيعة الحال سنظن أن الأمر يستغرق وقتًا أطول مما ينبغي. النتائج الفورية يَعِدُ بها الساسة، أما الإنسان الذي يطلب الحقيقة فأخشى ألا توجد عنده نتيجة فورية. الحقيقة هي التي تحوِّل، لا العمل الفوري؛ ووحده اكتشاف كلٍّ واحد للحقيقة سيجلب السعادة والسلام إلى العالم. الحياة *في* العالم، لكنْ من غير أن نكون *من* العالم، هي مشكلتنا؛ وإنها لمشكلة سعي مخلص، لأننا لا نستطيع أن ننسحب، لا نستطيع أن نزهد، بل علينا أن نفهم أنفسنا. فهم المرء نفسَه هو بداية الحكمة. وفهم المرء نفسَه هو فهمُه علاقتَه مع الأشياء والناس والأفكار .فإلى أن نفهم مغزى علاقتنا كاملاً مع الأشياء والناس والأفكار ومعناها التام، فإن العمل – وهو العلاقة – سيجلب حتمًا النزاع والصراع. لذا فإن الإنسان المخلص حقًّا لا بدَّ له أن يبدأ بنفسه؛ عليه أن يكون واعيًا وعيًا سالبًا بكل أفكاره ومشاعره وأفعاله. للمرة الثانية، هذه ليست قضية زمن .فمعرفة النفس لا نهاية لها. معرفة النفس هي فقط من لحظة للحظة، وبالتالي، هناك سعادة خلاقة من لحظة للحظة.

*

حين أتعامل مع أسئلتكم، رجاءً لا تنتظروا جوابًا؛ لأني وإياكم سوف نتفكر في المسألة معًا ونجد الجواب *في* المسألة. إذا انتظرتم جوابًا وحسب، أخشى ما أخشاه أن أملكم سوف يخيب .فالحياة ليس عندها "نعم" أو "لا" قاطعتان، مع أن هذا ما نتمنى. الحياة أعقد من ذلك وأرهف. ومنه، حتى نجد الجواب، علينا أن نتدارس المسألة؛ ما يعني أننا يجب أن نتحلى بالصبر والذكاء للتعمق فيها.

سؤال :ما هي مكانة الدين المنظم في المجتمع الحديث؟

كريشنامورتي :دعنا نتحرى عما نعنيه بـ"الدين" وما نعنيه بـ"المجتمع الحديث". ماذا نعني بالدين؟ ماذا يعني الدين بنظرك؟ إنه يعني – ألا يعني؟ – جملة معتقدات، شعائر، عقائد، خرافات عديدة، *بوجا*]عبادة[، تكرار كلمات، آمالاً مبهمة، غير مستجابة، محبَطة، قراءة كتب بعينها، تبعية *للگورو*]المعلمين الروحيين[، الذهاب إلى المعبد في بعض المناسبات، إلى

ما هنالك .ذاك كله، قطعًا، هو الدين بنظر أكثر الناس عندنا. ولكن هل ذاك هو الدين؟ هل الدين عرف، عادة، تقليد؟ الدين، قطعًا، شيء أبعد من هذا كله بكثير، أليس كذلك؟ الدين يقتضي البحث عن الحق، وهو لا يمت بأية صلة إلى الاعتقاد المنظم، المعابد، العقائد، أو الشعائر؛ ومع ذلك، فإن تفكيرنا، قوام وجودنا بالذات، عالق، واقع في شَرَك المعتقدات والخرافات إلى ما هنالك. من الواضح أن الإنسان الحديث ليس ديِّنًا؛ لذا فإن مجتمعه ليس مجتمعًا صحيحًا، متوازنًا. قد نتبع مذاهب بعينها، أو نتعبد لصور بعينها، أو نبتكر دين دولة جديد، لكن من الواضح أن هذه الأشياء كلها ليست من الدين في شيء. قلت إن الدين هو البحث عن الحق، لكن ذاك الحق غير معلوم؛ إنه ليس الحق القابع في الكتب، ليس خبرة الآخرين. وللعثور على ذاك الحق، للكشف عنه، لدعوته، لا بدَّ للمعلوم من أن يتوقف؛ كما يجب إمعان النظر في المغزى من جميع التقاليد والمعتقدات، فهمها، ونبذها. ولفعل هذا، لا معنى لتكرار الشعائر. لذا من الواضح أن الإنسان الديِّن حقًّا لا ينتمي إلى أي دين، إلى أي تنظيم؛ إنه ليس هندوسيًّا ولا مسلمًا؛ إنه لا ينتمي إلى أية طبقة.

والآن، ما هو العالم الحديث؟ العالم الحديث قوامه التقنية وفعالية التنظيمات الجماهيرية. هناك تقدُّم هائل في التكنولوجيا، مع سوء توزيع لحاجات الجماهير؛ وسائل الإنتاج حكر على أيدي ثلة صغيرة. هناك جنسيات متنازعة، حروب متكررة على الدوام تفتعلها حكومات "ذات سيادة"، إلى ما هنالك. ذاك هو العالم الحديث، أليس كذلك؟ هناك تقدُّم تقني من غير تقدُّم نفساني مساو له في الحيوية، وإذن، فهناك حالة اختلال توازن؛ هناك إنجازات علمية خارقة، وفي الوقت نفسه، بؤس بشري، قلوب خاوية، وأذهان فارغة .والعديد من التقنيات التي تعلمناها يتصل ببناء الطائرات، بقتل بعضنا بعضًا، إلى ما هنالك. وإذن، فذاك هو العالم الحديث، الذي هو أنت نفسك .العالم ليس مختلفًا عنك. عالمك – الذي هو أنت نفسك – هو عالم العقل النامي والقلب الخاوي. إذا أمعنتم النظر في أنفسكم، سترون أنكم بالذات نتاج المدنية الحديثة: أنتم تعرفون كيف تؤدون بضع حيل، – حيل تقنية، مادية، –لكنكم لستم كائنات إنسانية مبدعة. أنتم تنجبون أطفالاً، لكن هذا ليس من الإبداع في شيء! فحتى يستطيع المرء أن يبدع، يحتاج إلى غنى داخلي خارق، وذاك الغنى لا يمكن له أن يحصل إلا حين نفهم الحقيقة، حين نكون قادرين على استقبال الحقيقة.

وإذن، فالدين والعالم الحديث متلازمان، كلاهما ينمِّي القلب الخاوي – وذاك هو الجانب المؤسف من حياتنا. نحن سطحيون، لامعون عقليًّا، قادرون على اختراعات عظيمة وعلى إنتاج أكثر الوسائل تدميرًا لتصفية بعضنا بعضًا، وعلى إيجاد مزيد ومزيد من الانقسام بين بعضنا بعضًا، لكننا لا نعرف ما معنى أن نحب، ليست هناك أغنية في قلوبنا. ترانا نعزف الموسيقى، نستمع إلى الراديو، ولكن لا غناء ثمة، لأن قلوبنا خاوية. لقد خلقنا عالمًا مبلبلاً تمامًا، بائسًا، وعلاقاتنا مهلهلة، سطحية. أجل، الدين المنظم والعالم الحديث متلازمان، لأن كلاهما يقود إلى البلبلة، وبلبلة الدين المنظم والعالم الحديث هذه هي جنى أيدينا. إنهما التعبيران المسقَطان ذاتيًّا عن أنفسنا. ومنه، لا مجال لأي تحوُّل في العالم الخارجي ما لم يحدث تحوُّل في صميم كلِّ واحد منا؛ وإحداث ذاك التحول ليس مشكلة الخبير أو الاختصاصي أو القائد أو الكاهن، بل مشكلة كلِّ واحد منا. إذا تركناها للآخرين، بتنا غير مسئولين، وبالتالي فإن قلوبنا تصير خاوية. والقلب الخاوي مع عقل تقني ليس كائنًا إنسانيًّا مبدعًا؛ ولأننا أضعنا حالة الإبداع تلك، أنتجنا عالمًا بائسًا، مبلبلاً تمامًا، تحطِّمه الحروب، تمزِّقه التمييزات الطبقية والعرقية. وإنها لمسئوليتنا أن نُحدِث تحولاً جذريًّا في أنفسنا.

نيودلهي، 14 تشرين الثاني 1948

المراقبة وتغيير المجتمع من كريشنامورتي لنفسه

6أيار [1983]

وأنت جالس على الشاطئ تراقب الناس عابرين – ثنائيين اثنين أو ثلاثة وامرأة بمفردها – يبدو لك أن الطبيعة بأسرها، كل شيء حواليك، من البحر ذي الزرقة الداكنة إلى تلك الجبال الصخرية الشامخة، يراقب هو الآخر. ترانا نراقب، لا ننتظر، لا نتوقع حدوث أي شيء، بل نراقب بلا نهاية. وفي تلك المراقبة تعلُّم، ليس مراكمة المعرفة عبر تعلُّم يكاد أن يكون آليًّا، إنما المراقبة عن كثب، لا سطحيًّا أبدًا، بل عمقيًّا، في خفة ولطف – إذ ذاك ينعدم المراقب. عندما يوجد مراقب فالمراقبة تكون محض الماضي يراقب؛ وتلك ليست مراقبة، بل تذكُّر وحسب، وهو شيء ميت نوعًا ما. المراقبة نابضة بالحياة، وكل لحظة تَخْلِية. تلك السرطانات الصغيرة وتلك النوارس وجميع تلك الطيور الطائرة قريبًا تراقب. إنها تراقب طلبًا للفريسة، للسمك، تراقب طلبًا لشيء تأكله؛ إنها تراقب هي الأخرى. يمر أحدهم على مقربة منك ويتساءل عما تراقب. أنت لا تراقب شيئًا، وفي تلك اللاشيئية يوجد كل شيء.

منذ بضعة أيام، أتى رجل سافر كثيرًا، رأى الكثير، كتب أشياء وأشياء – رجل أميل إلى الشيخوخة، ذو لحية حسنة التشذيب، محتشم الهندام من غير غلوٍّ مبتذل، معتنيًا بحذائه، بثيابه. كان يتقن الإنكليزية، مع أنه أجنبي. وقد قال للرجل الجالس على الشاطئ يراقب إنه قد تحدث إلى عدد كبير من الناس، تناقش مع بعض الأساتذة والمثقفين، وحين كان في الهند، تحدث إلى عدد من البنِدت]الفقهاء[. وأغلبهم، على ما يبدو، ليسوا مبالين بالمجتمع، على حدِّ قوله، ليسوا ملتزمين التزامًا عميقًا أي إصلاح اجتماعي ولا أزمة الحرب الحالية. كان عميق الاهتمام حيال المجتمع الذي نحيا فيه، مع أنه ليس مصلحًا اجتماعيًّا. لم يكن واثقًا تمام الثقة إنْ كان تغيير المجتمع أمرًا ممكنًا، إنْ كان بالإمكان فعل شيء بهذا الخصوص. لكنه كان يرى ماهيته: الفساد المستشري، عبثية رجال السياسة، الحقارة والتفاهة والوحشية المتفشية في العالم.

قال: "ماذا بوسعنا أن نفعل حيال هذا المجتمع؟ – ليس إصلاحات صغيرة تافهة هنا وهناك، استبدال رئيس آخر بالرئيس الحالي، أو برئيس الوزراء الحالي سواه – فجميعهم من الصنف نفسه بدرجة أو بأخرى؛ ليس بوسعهم أن يفعلوا الكثير لأنهم يمثلون الوضاعة، أو حتى أقل من ذلك: الابتذال؛ إنهم يريدون المظاهر، ولن يفعلوا شيئًا أبدًا. سوف يُحدِثون إصلاحات صغيرة وضيعة هنا وهناك، لكن المجتمع سوف يستمر على حاله على الرغم منهم." كان قد راقب مختلف المجتمعات والثقافات، ووجدها لا يختلف بعضها عن بعض كثيرًا من حيث الأساس. بدا رجلاً جديًّا للغاية وصاحب ابتسامة، وتكلم على جمال هذه البلاد، اتساعها، تنوعها، من الصحارى الحارة إلى جبال الروكي العالية البهية. كان المرء يصغي إليه كمن يصغي إلى البحر ويراقبه.

لا يتغير ما بالمجتمع حتى يتغير ما بالإنسان. البشر – أنت وسواك – هم الذين أوجدوا هذه المجتمعات أجيالاً بعد أجيال؛ نحن جميعًا الذين جعلنا هذه المجتمعات من تفاهتنا وضيقنا، من محدوديتنا، من جشعنا وحسدنا ووحشيتنا وعنفنا وتنافسنا، إلى آخر ما هنالك. نحن المسؤولون عن الصَّغار، الغباء، الابتذال، عن جميع السخافات القَبَلية وعن الطائفية الدينية. فما لم يتغير كلٌّ منا تغيرًا جذريًّا، لن يتغير المجتمع أبدًا .إنه موجود، ونحن الذين صنعناه، ومن ثم فهو الذي يصنعنا. إنه يشكِّلنا، مثلما شكلناه؛ إنه يضعنا في قالب، والقالب يوضع في إطار، وهو المجتمع.

ومنه، فإن هذا الفعل يتواصل إلى ما لا نهاية، مثل البحر، جزرًا ومدًّا، ينحسر بعيدًا ثم يعود فيمتد، أحيانًا في بطء شديد، وأحيانًا أخرى سريعًا، خطيرًا. مدٌّ وجزر؛ فعل، ردُّ فعل، فعل. يبدو هذا وكأنه من طبيعة هذه الحركة – ما لم يكن هناك نظام عميق في الذات. وذاك النظام هو الذي سيولِّد النظام في المجتمع، ليس عبر التشريع والحكومات وذلك الهرج

كله –مع أنه مادامت هناك فوضى، بلبلة، فإن القانون، السلطة التي توجِدها فوضانا، سوف يستمر. القانون من صنع الإنسان، شأنه شأن المجتمع – ثمرة الإنسان هي القانون.

ومنه، فإن الباطن، النفس، يجعل الظاهر بحسب محدوديته؛ ثم يعود الظاهر فيسيطر على الباطن ويقولبه. لقد ظن الشيوعيون – ولعلهم مازالوا يظنون – أن بوسعهم، بالسيطرة على الظاهر، بسنِّ بعض القوانين والأنظمة وإنشاء بعض المؤسسات، أشكال بعينها من الاستبداد، أن يغيروا ما بالإنسان. لكنهم لم ينجحوا حتى الآن، ولن ينجحوا أبدًا. وهذا هو دأب الاشتراكيين أيضًا. الرأسماليون يفعلون ذلك بطريقة مختلفة، لكن الأمر يبقى هو هو. الباطن يتغلب على الظاهر دومًا؛ إذ إن الباطن أقوى بكثير، أكثر حيوية بكثير، من الظاهر.

فهل يمكن لهذه الحركة أن تتوقف يومًا؟ – الباطنُ خالقًا البيئة الظاهرة نفسانيًّا؛ والظاهرُ، القانون، المؤسسات، التنظيمات، محاولةً تشكيل الإنسان، المخ، بحيث يعمل بطريقة معينة؛ والمخُّ، الباطن، النفس، مغيِّرةً إذ ذاك الظاهر، محتالةً عليه. هذه الحركة مافتئت مستمرة ما ظل الإنسان على هذه الأرض، استمرارًا فجًّا، سطحيًّا، لامعًا أحيانًا – ما انفك الباطن يتغلب على الظاهر، كالبحر بجزره ومدِّه، ينحسر ويمتد. على المرء أن يسأل حقًّا إنْ كان مقيضًا لهذه الحركة أن تتوقف يومًا – فعل وردُّ فعل، كره ومزيد من الكره، عنف ومزيد من العنف. إنها تنتهي حين تكون هناك مراقبة فحسب، من غير باعث، من غير استجابة، من غير اتجاه.

ينشأ الاتجاه عندما يوجد تراكم. أما المراقبة – وفيها انتباه ووعي وشعور عظيم بالرحمة – فهي ذات ذكاء تختص به. هذه المراقبة والذكاء يفعلان؛ وذاك الفعل ليس فعل الجزر والمد. لكن هذا يستلزم تيقظًا عظيمًا، لرؤية الأشياء من دون الكلمة، من دون الاسم، من دون أي ردِّ فعل – وفي تلك المراقبة حيوية، شغف عظيم.

ماذا تراه يحاول أن يقول لي

كريشنامورتي: أنا إنسان عادي. أصادف كتابًا من كتب ك[5]، فيصعقني تصريح أو تصريحان مما جاء في الكتاب، فأرغب في معرفة المزيد عن الأمر. أرى أنه يعارض – أو أنه لا يؤيد – المؤسسات والمنظمات "الروحية "المزعومة. وهو يحدِّثني عن مشكلاتي. إنه يدل على ماهية مشكلاتي وعلى حلِّ تلك المشكلات. وهَبْ أن عندي مشكلة – لست سعيدًا في عملي، لست سعيدًا في علاقتي مع الآخرين، تراني برمًا نوعًا ما بالحياة ككل لأني وجدت أن معناها فعليًّا ضئيل جدًّا. أذهب إلى العمل، أتعاطى الجنس، عندي أسرة، أو لا أسرة عندي، وتراني أشرب، وغير ذلك. إذا كنت في الهند، فأنا مقيد بالتراث، وأرى أنه "ضد التراث"، إذا جاز لي أن أستعمل هذا التعبير. وهو لا يعطيني أي توجيهات؛ سواء كنت غربيًّا، أوروبيًّا، أو شرقيًّا، هنديًّا، فهو لا يعطيني أي توجيهات، وتراني أريد توجيهات، فأنا متعود ذلك. ولأنه لا توجد [عنده] توجيهات، قد أطرح الكتاب وأقول: "أي هراء هذا الذي يتحدث عنه"!

أما إذا كنت محبًّا للبحث بعض الشيء، فأسأل: "لماذا ليس عنده توجيهات؟ لماذا لا يأمرني بما يجب أن أفعل؟" وأبدأ بالاستفسار وقراءة المزيد. أكتشف أن التوجيهات تجعل المرء أكثر آلية، أكثر غفلة بنفسه فحسب، فأواصل التقصي. أرى أنه مصيب تمامًا. أرى حماقة التوجيهات. وأرى كذلك أنه كانت هناك توجيهات من قبلُ لأني درست الأمور الدينية بعض الشيء، فأقول" :والآن، ماذا أنا فاعل؟" ذلك هو سؤالي الأساسي. ماذا أنا فاعل؟ – أنا الذي يعيش حياة عادية: أذهب إلى المكتب أو المصنع، أو أمارس نوعًا من العمل – ماذا أنا فاعل؟ من خلال قراءتي للكتاب، هل يأمرني بما يجب أن أفعل؟ وأجد أنه لا يفعل ذلك بتاتًا. فماذا يحاول أن يقول لي يا ترى؟ إنه يحاول أن يقول لي: "كن واعيًا بنفسك، تعرَّفْ إلى شرطك، انظرْ ما هي الفخاخ وتقصَّ تلك الفخاخ – الفخ الديني، الاقتصادي"، إلخ، إلخ.

إن ما يحاول أن يقوله لي أساسًا هو أن أوقظ ذكائي – لا ذكاءه أو الذكاء الذي يتجلَّى في الكتاب؛ إنه يحاول أن يقول لي: "كُرمى للحق، أيقظْ ذكاءك، أشهرْه، تساءلْ، حاججْ، ناقشْ، شكِّكْ." إنه يقول لي ذلك كله. لذا أبدأ باكتشاف أني نوعًا ما شخص غبي، فظ، جلف. لكني لست عديم الحساسية تمامًا، وهو يقول لي: "استيقظ، إنها حياتك، أحلِل النظام فيها في حذاقة." لكن تنشئتي كلها قامت على "مُرني بما أفعل"؛ لذا تراني أقاوم هذا، فأرتد إلى تلك الـ"مُرني بما أفعل". ومع ذلك فهو يقول: "لا تسلْ عما أنت فاعل، بل غُصْ في الأمر، ناقشْ." ومن ثَمَّ تنشأ فيَّ المقاومة في مقابل ما قرأت. وهكذا يوجد نزاع بين ما قرأت وبين مقاومتي.

ثم أصل إلى مأزق، بسبب كسلي، بسبب حياتي الأسرية وسائر تلك المشكلات، فأنصرف عن الأمر مدة، قد تكون عامًا أو ستة أشهر أو يومًا واحدًا. أنصرف عنه مدة ما. لكن البذرة زُرعت فيَّ، بذرة أن "المسئول عن أفعالك هو *أنت* ولا أحد سواك!" ذاك ما يقوله لي وأوافق عليه. أرى منطقيته، فأقبل ذلك. لكن عندي عملاً، أذهب إلى المكتب أو المصنع، أنا نجار أو عالِم أو ما شاكل، وأرى أكثر فأكثر التناقض في حياتي بين ما قرأت وبين ما أنا عليه. وهكذا يجري نشاط فصامي: تقبُّل لفظي للكتاب ولما قرأت من ناحية، وحياتي اليومية من ناحية ثانية.

فأنا الآن مهتم بالنزاع. أعي فجأة بأن حياتي ككل قائمة على النزاع. والآن أقول مجددًا: "مُرني، أرجوك، بما أفعل حيال هذا النزاع الرهيب عندي." فهناك فيَّ من جديد هذا التناقض الواقع: "مُرني، دعني أتقبَّل أفكارك." ومن ثَمَّ أعي تدريجيًّا بأني

---

[5] كان من عادة كريشنامورتي أن يشير إلى نفسه بحرف "ك" تجنبًا لاستعمال ضمير المتكلم.

أنشئ سلطة. أصير تدريجيًّا واعيًا بأن ما أريده حقًّا هو السلطة، شخصًا يرشدني. وهو ذا يقول: "لا تفعل ذلك، كن نورًا لنفسك." وأستسلم – فالأمر على غاية من الصعوبة. فتراني تائهًا بلا أمل. أنا تائه، ولعلي مكتئب، فأقول: "طيب، الأمر لا يستحق الجهد، فلننسَه. ليس عندي الطاقة، ليس عندي الحافز، ولعلي أصل ذات يوم إلى مكان ما أو سواه".

هذا ما يحدث عمومًا مع غالبيتنا، كما أفهمه – وقد أكون مخطئًا. هناك الذين بلغوا هذه النقطة ويستمرون، لا يستسلمون، لا يقرون بالهزيمة – ولعل تلك هي حال غالبيتنا. ثم أرى أهمية إيقاظ الذكاء والتيقظ لواقع أني يجب أن أكون نورًا لنفسي. أنا لست شديد الفطنة؛ أنا فعال إلى حدٍّ ما في نشاطي الدنيوي؛ لكن هذا الأمر يستدعي نوعًا مختلفًا تمامًا من الذكاء، نوعًا مختلفًا تمامًا من التفتح.

فأين أنا الآن؟ عليَّ أن أعيش في هذا العالم. عليَّ أن أجني المال. عندي عائلة، وعليَّ أن أعيلها. زوجتي غير مهتمة بهذا كله .أولادي يذهبون إلى المدرسة، يزدادون جلافة وفظاظة وقلة حساسية، وليس بيني وبينهم علاقة. فأرى اللخبطة الرهيبة التي افتعلتها لنفسي وللآخرين. والآن، كيف لي أن أوقظ ذلك الذكاء بحيث يكون بوسعي التعامل مع هذا كله؟ لقد سبق لي أن قرأت كتبًا عديدة، لا [كتب] ك وحسب بل كتب أخرى أيضًا؛ أصبت قليلاً من الفلسفة الهندية ومما قاله البوذيون. لست مهتمًّا بصفة خاصة بالمسيحية لأنها لا تتأسس على فلسفة، بل تقوم على الاعتقاد والإيمان والسلطة، بحيث إنها لا تستهويني كثيرًا. وهكذا بتُّ أدرك بأني أتخبط في هذه الفوضى وأسأل نفسي عما أنا فاعل. كيف لي أن أوقظ ذاك الذكاء الذي سيتعامل في وضوح مع قضايا العلاقة هذه كلها، إلخ، إلخ؟ فهو يقول: "كن واعيًا... كن واعيًا بالعالم الخارجي، بما يحدث فيه، انظر إليه من دون أي تحيُّز." أجد ذلك صعبًا نوعًا ما، لكنني أسعى في وعي أحكامي المسبقة، إشراطي. وأصير واعيًا بأفعالي، بخواطري، بمشاعري، بالمجالات التي أعدم فيها الحساسية: أنا تافه نوعًا ما، أنا طَموح، إلى ما هنالك. وإذن فأنا أكتشف في نفسي عوامل، مصادرَ انعدام حساسيتي وبدايةَ هذا الذكاء الذي ينسلُّ انسلالاً طفيفًا. إنه ليس كامل الإزهار بعدُ، لكنه في بدايته. وأبدأ فعليًّا برؤية الأشياء التي ليست حقيقية في حياتي، الأشياء الزائفة، النفاقية نوعًا ما، فأبدأ أقول: "هل من الممكن ألا أكون منافقًا، ألا أدَّعي، ألا أضع أقنعة بحسب البيئة، بحسب الناس الذين أقابلهم؟" أرى أنه ممكن *فعلاً*، وأبدأ بنبذ هذا كله. لقد بدأت أدرك أن الذكاء ليس إنكار الزيف، بل هو بالأحرى *وعي الزائف*.

لقد بدأت أدرك أن الأشياء التي ظننتها قيِّمة، أو ذات مغزى ما، لا معنى لها فعليًّا على الإطلاق. القيم، المُثُل التي اتخذتها، لا قيمة لها فعليًّا، لا عمق فيها. وذاك الإدراك بالذات بأنها عديمة العمق يجعل الزائفة منها أو التي لا مغزى لها تتلاشى. لم أصارعها، لم أقل بأنها صحيحة أو خاطئة، بل إن مجرد إدراك عدم معناها، عدم صحتها، مجرد ذاك الإدراك يبدأ في كشح ما ليس حقيقيًّا. فأنا صائر – لا، لست صائرًا؛ بلى، سأستعمل كلمة "صيرورة" – أنا صائر أكثر فأكثر وعيًا، أكثر فأكثر تنبهًا، أكثر فأكثر يقظة.

وهو يقول أيضًا في ذلك الكتاب شيئًا غريبًا نوعًا ما، لا أفهمه تمامًا. يقول: "لا تخضْ تلك السيرورة كلها، اقفزْ إليها! لا تمض خطوة فخطوة، فتلك مضيعة للوقت. ففي عملية الخطوة فخطوة هذه يمكن لك أن تستمر إلى ما لا نهاية مكتشفًا مختلف أشكال خداع النفس وهكذا دواليك ".ومن ثَمَّ يقول: "لا تسمح بمرور زمن بين الرؤية والفعل." وذاك بنظري مسرف في الخروج من مجال إدراكي. بذا أجدني أتقصى: ماذا يعني بذلك؟

وإذن فهل أنا بادئ برؤية أهمية الإدراك وعلاقته بالفعل؟ ذاك هو موقفي. ذاك ما سأقرِّره. ذاك ما سيقوله شخص عادي – هو أنا – وقد بلغ تلك النقطة وعلق فيها. أدور وأدور في دوائر، لكني على نحو ما غير قادر على كسر تلك الدائرة. فأسألك، أنت الذي كتب ذلك الكتاب أو صرح بهذه الأقوال" :ماذا أنا فاعل؟" فتراه يكرر الشيء نفسه: "لا تتكلْ على سواك." إنه لا ينفك يحيلني إلى نفسي. وإذن، تراني أسأم ذلك بعض الشيء، وقد أقول: "أواه، اذهب إلى الجحيم، أنا عالق وأنت لا

تساعدني!" فيقول: "ما من أحد يستطيع أن يساعدك، ما من مؤسسات، ولا منظمات، ولا سلطة أو ضغوط خارجية من أي نوع تستطيع أن تساعدك." فهل تراني أصغي إليه؟ أم أن جزعي من كسر الدائرة من الهول بحيث إني لا أصغي حتى إلى ما يقول؟

وإذن، فأنا هاهنا. لست مصغيًا. وتراك تأتي وتقول لي بأن أصغي. عندما تكون عندي مشكلة خطيرة مع نفسي، فأريد جوابًا، فأكون عميق الاهتمام بالمشكلة للغاية، أجد نفسي عاجزًا عن الإصغاء. المشكلة لاذعة للغاية، عميقة الإزعاج للغاية، وأنت تقول لي: "أصغ"، فلا أستطيع. لا أعرف كيف أصغي. لكنك أخبرتني عن فعل الإصغاء، وتلك البذرة قد زُرعت. وهكذا أصغي، أتعلم. وأجدني أفعل الشيء الذي حذرني منه بالذات: "لا تسمح بمرور زمن "...أظنني سأتعلم الإصغاء، أتعلم كل شيء عنه، تدريجيًّا، ببطء، على راحتي. وهو يقول: "تلك مضيعة للوقت فحسب." وإذن فقد بلغتُ تلك النقطة. تابعوا الآن.

زانن، 23 تموز 1982

ماذا سيغيِّر المخ؟

كريشنامورتي: أود أن أناقش نقطة قد تكون على شيء من الأهمية. في مؤتمر انعقد في نيويورك أول هذا الربيع، كان حاضرًا أستاذٌ في الفلسفة – لا أعرف اسمه – تحول إلى الجراحة العصبية. ومما قاله بدا أنه رجل ذكي نوعًا ما. (أنا لا أتعالى، رجاءً.) وعند نهاية النقاش، قلت إن الشيء المهم، الجدير بالاهتمام حقًّا، هو إنْ كان بإمكان خلايا المخ، التي طالما أشرطت، أن تُحدِث في نفسها طفرة .فقال لي هذا الجراح العصبي: "تلك هي النقطة التي أريد أن أصل إليها. لو أمكن لذلك أن يحدث لكان أروع الأشياء. فنحن نحاول، بطُرُق متنوعة، أن نغير الخلايا." وأضاف: "أود أن أتحدث معك حول الأمر." لكن ذاك كان آخر لقاء، وكان الوقت قد نفد، فافترقنا.

أود أن أناقش هذا معكم: مسألة إنْ كان بإمكان خلايا المخ التي أشرطت طوال قرون على الكاثوليكية أو البروتستانتية، على الهندسة، على الفلسفة، إلى آخر ما هنالك، أن تصير واعية لنفسها، فتخترق بالتالي إشراطها جذريًّا – ليس عبر المصادفة، أو عبر الهندسة الوراثية، أو عبر صدمة كهربائية، عبر الاختبار من الخارج للتأثير على الداخل – فنحن نتكلم على شيء مختلف كل الاختلاف عن ذلك.

مخي ليس منفصلاً عني. فإذا أشرط مخي كهندوسي، ومن بعدُ عبر أشكال متنوعة من القَسْر، أشكال متنوعة من الضغط (ليس مخي تحديدًا، ولكنْ هَبْ أن هذا المخ قد أشرط إشراطَه عند البشرية بأسرها)، ما الذي سيجعله واعيًا بنفسه من غير ضغط من الخارج، من غير أي أزمة، من غير أي شقاء أو تضحية؟ ما الذي سيُحدِث ذلك، بحيث تعي الخلايا نفسُها وضعَها، فتتفجر من الداخل؟ – من غير ضغط، لأنك إذا مارست ضغطًا، انصاع ذلك لفعل شيء آخر؛ إذا اتكلتَ على حادث، فقد يحرِّف ذلك البنية بأسرها. إذا تعاطيتُ مخدرًا لكي أغير خلايا المخ، فذاك هو الآخر تحريف. أما وأني أرى ما يحدث في العالم، أكنت هندوسيًّا أو كاثوليكيًّا أو مهما كنت، أقول لنفسي: "هل من الممكن تغيير خلايا المخ تلك – *من دون أي باعث*؟" إذا وُجِدَ باعث، إذ ذاك يكون هناك اتجاه، ومن ثم يكون...

فلنتحدث عن ذلك قليلاً. هَبْ أنني مشروط ككاثوليكي أو بوذي (أنا في منطقة أكثر أمانًا هناك). أنا بوذي، ومنذ الطفولة قيل لي يومًا بعد يوم، يومًا بعد يوم، أن أكرر عبارات بعينها. وهكذا مافتئت أكرر؛ وذلك التكرار، ذلك البرنامج أشرط خلايا المخ، العملية كلها. والآن، تظهر أنت وتقول إن كون المرء بوذيًّا أو مسيحيًّا أو مهما كان هو منظار ضيق جدًّا إلى الحياة، إنه يحدُّ الذات. فأرى، من غير مجادلة مسهبة، أنك على حق. تراني أتقبل الأمر لفظيًّا، لكنه لم يغير في الأمر شيئًا؛ لم يجعل المخ يقول: "بحق الآلهة، لا بدَّ من طفرة." وأنا أسأل: "ما الذي سيُحدِث هذه الطفرة؟" – من دون انضباط ذاتي، إلى ما هنالك.

أنا آخذ كمثال مخًّا متوسطًا. هَبْ أنك وإياي مخَّان متوسطان، أصابا حظًّا طيبًا من التعليم، من الذكاء، من التيقظ لأحداث العالم، إلخ. لنقل إنك وإياي عانينا الكثير من المشكلات، الأسرة، دوامة الحياة؛ وأنت وأنا بتنا ندرك أننا مشروطان، أنت كمسيحي، أنا كبوذي، أو كعالِم مسيحي[6]، أو شيء ما. ثم تراه يظهر ويقول: "انظرا إلى ما تفعلان. هذه السيرورة المحدِّدة للذات شديدة التخريب." وهو يورد لك الأسباب كافة، فيبسط بذلك خريطة التركيز الخادع للنفس برمتها. وتراني أرى

[6] نسبة إلى "العلم المسيحي Christian Science: "مذهب ديني أسَّسته ماري بيكر إدي في العام 1866 ووضعت قواعده في كتابها *العلم والصحة مع مفتاح الكتاب المقدس* (1875)؛ ومفادها أن الإنسان والكون ككل من طبيعة روحية وأن الحق والخير حقيقيان، بينما الشر والباطل ليسا حقيقيين. ويعتقد "العلماء المسيحيون" أن كل شيء ممكن في سبيل الخير، عبر الله، بالصلاة والعلم والفهم، بما ذلك الشفاء من الأمراض المستعصية.

حقيقة الأمر، لكن هذا لم يؤثر في الخلايا تأثيرًا جذريًّا؛ جذريًّا –لم يُحدِث انقلابًا كليًّا [في السيرورة]. ما فعله هو أني سطحيًّا تحولتُ عن البوذية، وتحولت أنت عن الشيء الذي أنت متعلق به، وترانا نشعر أننا أفضل حالاً نوعًا ما – وكلمة "أفضل" تلك، هي الأخرى، شيء رهيب بنظري. لكني أسأل: "كيف يمكن لك وكيف يمكن لي أن نُحدِثَ فعلاً أو عدم فعل من شأنه أن يغير الخلايا؟"

س :إنها طاقة...

ك :إياك. ألا ترين أنك لا تتقصين؟ إذا قلتِ إنها طاقة، فأنت تضعين نفسك في موقف يُشعِرُكِ بأنك لا تستطيعين أن تفعلي شيئًا. على العكس، قد يكون بمقدوركِ أن تفعلي شيئًا خارقًا! يقع التلف على خلايا المخ عندما يكون هناك أي نوع من الإجهاد، أي نوع من النزاع، أي نوع من محاولة أن تكوني شيئًا، فتخفقين ثم تتباكين على ما فاتك.

والآن، أقول لك إن فعل ذلك ممكن. لكنك لا تقبل قولي .تراك تقول: "بيِّنْه لي، برهنْ لي عليه." فأقول: "لا أستطيع أن أبرهن عليه بطريقة البرهان العلمي"، بمعنى وضع فرضية، ثم تجريبها على الأرانب – الأرانب البشرية والأرانب العادية –، فالقول: "هو ذا، لقد حصلنا على النتيجة!" فالنتيجة عملية مأخوذة من الخارج – من *الخارج* .أقول إن ذلك العمل من الخارج بالذات هو أحد عوامل التلف، لأنك عندئذ متكل على الخارج. وإذن، ليس هناك اتكال على الخارج: الإرادة، الأمل، الصلاة، الاسترشاد، كما تعلمون، الأشياء كلها التي نلهو بها نحن السخفاء! فما الذي سيجعل خلايا المخ تتغير، فتُحدِثَ تغييرًا في نفسها إذ تقطع كل نوع من أنواع التأثير الآتي من الخارج؟ فهل قطعتموه يا ترى؟ هَبْ أنكم قطعتموه .هَبْ أنني قطعتُه، بحيث لا يكون ثمة اعتماد على المخدرات، على الإرادة، على وسيط خارجي، الله أو سواه. القيام بهذا كله يستلزم انتباهًا هائلاً. إذ ذاك، ماذا يحدث؟

قبل كل شيء، هل ذاك ممكن؟ هل هو ممكن بنظرك؟ وأعني الفعل *الآن*، صحيح؟ أنت *ترى* أن أي شكل من أشكال الوساطة الخارجية يتدخل في خلايا المخ إنما هو تحريف .والتحريف هو إشراطنا لأنه سُكِبَ فينا برمته: أنك كاثوليكي، أنك هندوسي، أنك يجب ألا تفعل هذا، يجب ألا تفعل ذاك، يجب أن تنجح، يجب أن تشقى، أو لا تشقى. أي أن الخارج قد أشرط المخ – الخبرة الخارجية، الحوادث الخارجية، البروپاگاندا [الدعاية] الخارجية – والإشراط تحريف. ومنه، يجب على الاتكال على الخارج أن ينعدم – وهذا مُتناسى تناسيًا تامًّا...

س :أصعب ما في الأمر هو أنك قد تفهم، لكنْ قد يظل هناك عنصر أمل فيه. تلك هي المشكلة...

ك :فكأنك تستأصل سرطانًا، تزيله تمامًا.

س :بلا باعث مطلقًا.

ك :بلا باعث مطلقًا.

س :قد يكون ذلك هو الشيء الذي لا أستطيع أن أتتبَّعه.

ك :لا، لا، أنت لا تتتبَّعه. إنه جزء منك، لا تقدر أن تتبعه. إنه يلفت النظر إلى شيء، وأنت تفهم، *أنت ذاك* .اسمع، سيدي: يقول **ك** إن الشقاء يجب أن ينتهي. صحيح؟ ذاك ليس *تعليمًا* .إنه يجب أن ينتهي. الأمر منوط بك، أنت لا تتبع ك.

أنت تقول: "نعم، ما يقوله صائب. بوسعي أن أرى ذلك. ما لم ينتهِ الشقاء تنعدم المحبة. *أرى* ذلك." فهو عندئذ جزء منك؛ وأنت لا تتبع ذلك الرجل المسكين ولا تعليمه. ذاك جزء منك. هل أوضحتُ الأمر؟

ومنه، هل أستطيع، هل يستطيع إنسان أن يكون بهذه الحرية التامة من الوساطة الخارجية؟ أجل، سيدي، ذاك هو الشيء الأهم – وإلا فأنت تلهو بألعاب!

س:اهتمامنا منصبٌّ أكثر على بناء المدارس والقيام بالعمل في اللجان وأمور من هذا القبيل...

ك:آ، تلك قضية جانبية وحسب. عندما تكون هذه [الرؤية] موجودة فإن ذاك [العمل] أيضًا يتم .تراني أصرف معظم وقتي متجولاً، مكلمًا المدارس، مكلمًا الطلاب، مكلمًا العلماء – وهذا لاشيء.

س:عدم اتكالي على أي شيء من الخارج، ألا يعني أنني أصير سلبيًّا؟

ك:آه، لا، لا. على العكس !أنت لا تتكل على شيء البتة. دعنا، سيدي، ننظر في الأمر. سيدي، ما هو الإيجاب وما هو السلب؟ وكيف تصل إلى الإيجاب؟ لنقل، على سبيل المثال :الحب ليس الغيرة؛ الحب ليس الغضب؛ الحب ليس وطني، وطنك... وهكذا أكشح الكره تمامًا؛ أنفي الكره، أبعده. ثم أقول أيضًا: الحب ليس الطمع، فأكون قد أبعدت الطمع. ومنه، عبر السلب تصل إلى الإيجاب. نبدأ بالنفي وننتهي بالإثبات.

فهل باستطاعة المخ البشري أن ينفي الاتكالية كليًّا، أي نوع من الاتكالية؟ هَبْ أنه يستطيع، فماذا يحدث عندئذ؟ مخي لا ينفك يُشرَط من الخارج؛ ومن الخارج كذلك يوجِد ردَّ فعله الخاص، وردُّ الفعل ذاك بعينه يُشرط المخ جزئيًّا. وإذن، فمن الخارج، وكذلك من ردود فعلي، تراه مشروطًا .إنها حركة ذهاب وإياب، فعل وردُّ فعل. الآن، هل يمكن لذاك أن يتوقف؟ تكرهني، فأكرهك؛ تركلني، فأركلك. ذاك هو الفعل وردُّ الفعل. والآن هل من الممكن للفعل/رد فعل أن ينعدم؟ قد تركلني، لكنْ ليس هناك ردُّ فعل. عندما لا يوجد ردُّ فعل فإن ركلتك لا أهمية لها، والأمر ينتهي. إذا قبَّلتني، قبَّلتك؛ إذا فعلتَ شيئًا، أردُّ عليك. ولكنْ ماذا لو فعلتَ بي شيئًا ولم أرد فعلك بتاتًا؟ أنا حساس، حي، لست ميتًا، لست مشلولاً، لكني لا أرد.

س (إيطاليا)**:** ماذا يحدث فلا أرد؟

ك:لأنني أرى عبثية الأمر؛ أرى غباوته. لقد ركلني الناس فعليًا، ضربوني فعليًّا، ولا أردُّ الفعل. بذا ماذا يحدث؟ إذا رددتُ الركلة... لكني، إذا لم أرد، لم أعد أنتمي إلى عنفك. الأمر، الآن، أشبه بمدٍّ داخل وبمدٍّ خارج، فعل منك وردُّ فعل مني. الفعل منك مثيل ردِّ فعلي عليك. هذا واضح. الفعل منك وردُّ فعلي عليك متماثلان.

س (إيطاليا)**:** عبارة طبية، ما هو *العلاج* الذي يجعلني لا أردُّ الفعل؟

ك:العلاج هو ذكائي الذي يقول: "لا تكن سخيفًا!" ليس هناك علاج، إنه يقول فقط: "انظر كيف تستمر الحروب." أنا بريطاني وأنت فوكلاندي، أرجنتيني؛ أنت تريد تلك الجزيرة وأنا أريد تلك الجزيرة، فنتصارع عليها[7]. ترانا لا نجلس ونقول: "انظر، كرمى لله، لنكن عاقلَين، لنتكلم في الأمر .إذا كنت تريدها، خذها، فأنت أقرب إليها بكثير مني." تستطيعان أن تناقشا الأمر، لكنكما إذا هرعتما إلى الأسلحة فات الأوان.

---

[7] إشارة إلى الحرب التي نشبت في العام 1982 بين إنكلترا والأرجنتين على جزر الفوكلاند (المالڤينا) في عهد رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر.

هل سمعتم بتلك القصة الظريفة؟ أرجو ألا تمانعوا أن أكررها. تعرفون الكاتب الأرجنتيني، ڤارغاس[8]. لقد قال إن حكاية الفوكلاند عبارة عن رجلين هرمَين أصلعين يقتتلان على مشط!

فلنواصل... إن حجتي، سيدي، كما ترى، هو أن الفعل وردَّ الفعل متماثلان؛ ومفادها: تصفعني، فأردَّ بالتالي الصفعة، وكلا الفعلين مثيل الآخر. فعلك هو صفعي، فأردُّ فعلك بصفعك؛ وإذن، ففعلك وردِّي عليه متماثلان: فعلك قائم على ردِّ الفعل، وكذلك فعلي. فماذا يحدث إذا لم أرد الفعل؟ تصفعني فلا أردُّ الفعل عندئذ – ليس لأنني فاضل، أمارس اللاعنف، تلك المهزلة كلها. لا أردُّ وحسب. أرى عبثية ردِّ الفعل.

أنا ألفت النظر إلى شيء شديد البساطة: فعلك كان قائمًا على ردِّ الفعل، وفعلي كذلك قائم على ردِّ الفعل. وإذن، لا فارق ثمة، ثمة ردُّ الفعل فقط. إذا كنت في پولونيا وكان أناس بغيضون يتسلطون علي، مانعين الحرية، أردُّ الفعل. بطبيعة الحال، يجب أن أرد الفعل. لا أستطيع أن أقول" :طيب، لن أرد!" عليك أن ترد الفعل.

س :لكن ذاك عنف!

ك :سيدي، كما هي حال الأمور، حيث تحاول روسيا أن تسيطر على پولونيا، تقول پولونيا: "إليكم عني إلى الجحيم "! *كما هي حال الأمور*، عليهم أن يقولوا: "إليكم عنا إلى الجحيم". لكنني إنسان. نحن نتكلم على بشر، لا على پولونيا أو روسيا!

الآن، دعونا ننظر في الأمر. الفعل وردُّ الفعل من طبيعة واحدة. ذاك اكتشاف هائل بنظري. إذن، أرى العبثية، وبذلك ينعدم الفعل/رد فعل. مخي أشرط على ردِّ الفعل – فعل/رد فعل، فعل/رد فعل –؛ فهل يمكن لذاك أن يتوقف؟ تمتدحني، فأشعر بأني عملاق؛ تسبُّني، فأقول: "ما أبشع ذلك!" عدم ردِّ الفعل إطلاقًا. لست مشلولاً، لست في حال غيبوبة أو شيء من هذا القبيل، أنا حي، لكني لن أردَّ الفعل. ينعدم ردُّ الفعل. وإذا انعدم ردُّ الفعل، ألا تكون قد غيرتَ بنية خلايا المخ؟ الأمر بهذه البساطة.

س :لم أعد محدودًا.

ك :لا، لا تختزل الأمر إلى ذلك. نحن نتكلم على *طفرة* في خلايا المخ. وخلايا المخ قد أشرطت على الفعل/رد الفعل، فعل/رد فعل .تقول إني متوحش، فأنعتك بأسوأ؛ أو تنعتني بالتوحش، فأقول إني يجب ألا أكون متوحشًا. إنه الشيء نفسه. وإذن، فخلايا المخ قد أشرطت على الفعل وردِّ الفعل. وخلايا المخ ترى أن كليهما قائم على ردِّ الفعل. لحظة تعي ذلك، تكون خلايا المخ قد تحركت في اتجاه مختلف كل الاختلاف.

إن واحدة من صعوباتنا هي أننا نملك ذهنًا شديد التعقيد، مخًّا شديد التعقيد، فلا نبدأ بأشياء بسيطة. كن بسيطًا. إذا كنتُ طماعًا، فأنا طماع! أقول ذلك، فأكون بسيطًا للغاية. لا أقول إنني يجب ألا أكون طماعًا، أو إنني هذا أو ذاك. أنطلق من *الما هو* –وهو انطلاق من البساطة. وفيما أنت تتقدم، يصير الأمر أعقد فأعقد. والتعقيد لا ينحل إلا عبر البساطة.

زانن، 23 تموز 1983

---

[8] لعله الكاتب البيروڤي ماريو ڤارغاس يوسا.

محدودية الفكر

الفكر هو استجابة الذاكرة كخبرة ومعرفة، بحيث إننا نعمل دومًا في حقل المعرفة. لكن المعرفة لم تغير الإنسان. لقد شننَّا آلاف الحروب، وتألم ملايين البشر وبكوا، ولا نزال على هذه الحال مستمرين! معرفة الحرب لم تعلِّمنا شيئًا – ماعدا كيفية إتقان القتل على نطاق أوسع. المعرفة لم تغير الإنسان؛ فنحن لا نزال نتقبل الانقسام إلى قوميات. ترانا نتقبل ذلك الانقسام، مع أنه سيؤدي حتمًا إلى النزاع بين بعضنا بعضًا؛ ترانا تقبَّلنا الظلم، الوحشية التي أدى الفكر إليها عبر المعرفة. ما برحنا ندمر أنواع الحيوان: خمسون مليونًا من الحيتان قُتلت منذ بداية القرن [العشرين]! كل ما يمسُّه الإنسان يؤدي إلى الدمار. ومنه، فإن الفكر – وهو استجابة الذاكرة، الخبرة، المعرفة – لم يغير الإنسان، مع أنه أوجد عالمًا تكنولوجيًّا خارقًا.

*

حين يدرك الذهن محدودية الفكر، ضيقه، تناهيه، إذ ذاك فقط يستطيع أن يسأل السؤال: ما هي الحقيقة؟ هل هذا واضح؟ لا أقبل الحقيقة التي يقدِّمها الفلاسفة – فتلك هي لعبتهم. الفلسفة تعني *محبة الحقيقة*، لا محبة الفكر؛ ومنه، ليس هناك من مرجعية – لا سقراط، ولا أفلاطون، ولا بوذا. والمسيحية لم تتوغل عميقًا في هذا الأمر؛ لقد تلاعبت بالكلمات والرموز، صنعت من العذاب مسخرة، إلى آخر ما هنالك. فالذهن، إذن، ينبذ ذلك كله.

*

فما هي الحقيقة؟... عليك أن تتعرق دمك للقيام بهذا الأمر، عليك أن تهبه قلبك، لا أن تكتفي بقبول شيء سخيف ما. عليك أن تتصف بالقدرة على التقصي – لا القدرة التي ينميها الزمن، كما في تعلُّم تقنية ما، بل هذه القدرة التي تأتي حين تهتم اهتمامًا حقيقيًّا عميقًا، حين يكون الاكتشاف قضية حياة وموت – أتفهم؟

زانن، 13 تموز 1975

هل يمكن للمخ أن يهدأ هدوءًا مطلقًا؟

كريشنامورتي :أذهب إلى دار للكتب وألتقط كتابًا، أو أسمع شريطًا أو أشاهد تسجيلاً مرئيًّا .ألتقط كتابًا وأقرؤه. إما أتصفحه، أقلِّب الصفحات تقليبًا سريعًا جدًّا وأقول: "أجل، هذا معقول"، وإما أقرؤه قراءة متأنية للغاية. أريد أن أفهم أولاً إذا كان ما يقوله شيئًا ما جديدًا، ليس تكرارًا للموروثات، للعبادات، للصلوات، قائلاً: "أنا الممثل المباشر لـ..." أو شيئًا من هذا القبيل. لقد أصبتُ حظًّا لا بأس به من التعليم، وتراني أقرأ هذا الكتاب. وفي الكتاب جاء: "أنت والتعاليم ضالعان في هذا الأمر؛ التعاليم ليست منفصلة عنك. أنت المعلم والتلميذ." ولأني مهتم بذلك، تراني، بالتالي، أتعلم، أكتشف، أستكشف . فالتعليم ليس شيئًا هناك، إنه *هنا*.

وهكذا، عبر سيرورة الفهم، أو ربما في ثانية واحدة، سأرى الأمر برمته. هو إما هضم بطيء وإما *إدراك آنـي* .فإذا كان تبصرًا تامًّا، إذ ذاك ليس عليَّ أن أفعل أي شيء، والأمر حاضر .أما إذا كان مجرد سيرورة مُراكَمة للمعرفة التي يتضمنها الكتاب، تراني أجمع المعرفة وأقول إني فهمت. لكن مغزى ذلك ضئيل جدًّا؛ إنه أشبه بحفظ [سِفْر إشعيا أو نشيد الأنشاد عن ظهر قلب. لكني، إذا بدأت أصغي إلى الكلمات، أفهم، أدرك، أتبصر، إذ ذاك أصير المعلم لأنني أتعلم. وبذلك أكون التلميذ أيضًا الذي يلتقط. وإذن، فأنا كلا المعلم والتلميذ. إذا استطعتَ أن تفهم هذا، صار الأمر بسيطًا للغاية. إذ إني أتعلم طوال الوقت، وما من لحظة أبدًا إلا وأرى فيها شيئًا جديدًا.

سائل :هل يصح قولنا أيضًا إنه ليس من الضروري دومًا الرجوع إلى الكتاب؟

ك :آه، لا، ليس ضروريًّا. إذا قرأتُ الكتاب كله، قرأته قراءة متأنية للغاية، تراني أفهم ما يحاول أن يبلِّغه، فأكتشف أنه يتحدث عني أنا، لا عن الكتاب. إنه يتحدث عني؛ فالكتاب هو أنا. إذا كان ذلك واقعًا، إذ ذاك فأنا حَواريٌّ حقًّا، لا للكتاب، بل لنفسي. بذا أصير المعلم. لا يوجد فصل في التعاليم بين التلميذ والتعاليم؛ الأمر كله حركة واحدة. بذا أحيا على ذلك النحو؛ سواء في الجنس أو في كسب المال، إنه جزء من الحياة.

س :كريشناجي[9]، تكلمت قبل قليل على سيرورتين اثنتين: إما التبصر الآني وإما الهضم البطيء.
ك :نعم، إنه عمومًا هضم بطيء.
س :طيب، هو كذلك. فأنت لا تنكر أهمية الهضم البطيء؟

ك :لا أنكر شيئًا .الأمر يتوقف على استطاعة المرء، على مدى تعمُّقه فيه جديًّا، على مدى عمق اهتمامه بالإنسانية، وهي أنا. سواء كانوا يجزرون في لبنان، أو في ليبيا، أو في أيرلندة الشمالية، أو في أفغانستان، فهذا من شأني، وأنا جزء من ذلك كله.

س :لكن هذا الهضم البطيء الذي نتكلم عليه، أليس، نفسانيًّا، سيرورة زمنية؟
ك :لا. فالإنسان الذي يفهم حقًّا طبيعة الزمن يكون خارجه.
س :أليس [سيرورة] لحظة فلحظة؟

---

[9] تضاف لاحقة جي إلى أسماء العلم في الهند احترامًا.

ك :لا. ذلك فظيع .ذلك هو الموقف العلمي بخصوص الزمن – متوالية من الحركات. لقد ناقشت هذه القضية مع عدة علماء. الزمن، بنظري، هو عدو الإنسان.

س :إسقاطاته إذن؟

ك :نعم. عندئذ تتطور، تنمو، تتكاثر... بنظري، ذاك هو النقيض التام للفعلية – نفسانيًّا .بالطبع كنت طفلاً، ثم صرت رجلاً، وهكذا – ذاك طبيعي. لكنْ داخليًّا، نفسانيًّا، ذاتيًّا، صيرورتك شيئًا تستغرق زمنًا، لذا أقول لا...

س :هذا صحيح، لكنْ قد يقع تشويش. على المرء أن يكون شديد الحذر في الأمر.

ك :تعرفون كلمة *منترا*؛[10] لقد صارت جزءًا من اللغة الإنكليزية، مثل *گورو*[11] *منترا* تعني – كما قيل لي – كلمتين: *مَنْ* و *ثْرا*. *مَنْ* لها عدة معان، لكن المعنى الرئيس هو تفكَّرَ، أنعَمَ النظر، تأمَّلَ في عدم الصيرورة. هل تفهمون، أيها السادة؟ – عدم الصيرورة شيئًا. التأمل فيه، التفكر فيه، النظر فيه، التمتع به، رؤية ما يتضمنه. *ثْرا* تعني كشح الاهتمام بالنفس تمامًا، الأنا ونشاطها. ذاك هو المعنى الحقيقي لتلك الكلمة: إنعام النظر في عدم الصيرورة. نحن دومًا نصير: أنا هذا، وسأكون ذاك. أنعموا النظر في ذلك. لا تتخطوه. لا تتكروه. لا تقتلوه، بل انظروا إلى ما يتضمنه. ذاك ما يقوله **ك** بطريقة أخرى. و*ثْرا* تعني، في جملة ما تعني، إهلاك، تدمير أي شكل من أشكال الأهمية الذاتية أو الفعل الذاتي. لكننا الآن جعلنا منه شيئًا سخيفًا: تراك تردِّد *منترا* " –رام رام"، أو "كوكاكولا"، أو هذا الشيء أو غيره – فيصير طفوليًّا!

س :هذا الهضم البطيء، إذن، هو عملية صيرورة؟

ك :طبعًا.

س :قد لا يكون كذلك.

ك :انظر إليها فقط، سيدي، إلى عملية الصيرورة البطيئة، سيرورة هضم التعاليم – لماذا ترى ذهني يتقبل ذلك؟ لماذا يتقبل ذهني فكرة التعلم البطيء هذه؟

س :قد لا أكون قادرًا على إدراك الأشياء فورًا.

ك :لماذا إذن؟

س :لأنه ذهن بطيء.

ك :لماذا، إذن، هو ذهن بطيء؟ لن أقبل ذهنًا بطيئًا. لماذا ذهني بطيء؟ على رسلك دقيقة! أهو الشرب؟ تريث، تريث، سأتوغل في الأمر. أهو الجنس؟ أهي هذه الشهوة الهائلة لأن أعرف وأعرف وأعرف، لأن أتشرَّب المعرفة؟

س :ربما لأن بعض الناس في الحياة سريعون، بينما غيرهم...

ك :لماذا أقبل سيرورة النمو أو الهضم البطيء هذه؟ لماذا أتقبَّلها؟

س :ما إنْ تضع كلمة "سيرورة" عليها، بالطبع، حتى يتغير الأمر برمته.

ك :ما فتئت السيرورة تُشرط الإنسان. عن نفسي، لن أتقبل فكرة السيرورة. يجب أن أتأنى هنا. لقد كابد ك خبرات نفسانية مزعومة؛[12] ولسوء الحظ، كُتب عن هذا كله؛ فلن أتطرق إليه. لقد فقدتُ فعلاً ذاكرة ذلك كله؛ لست أبالغ؛ إنه لا يهمني.

---

[10] كلمة سنسكريتية تعني لفظة أو عبارة ذات تأثير ذبذبي حين تُتلى عن قصد وفق إيقاع معين.

[11] كلمة سنسكريتية تعني "ذو الوزن" أو "كاشح الظلام" وتشير إلى المعلم الروحي.

[12] إشارة إلى الخبرات النفسانية القاسية التي كابدها كريشنامورتي قبل تحرُّره الروحي النهائي؛ وقد تواضع المقربون منه على تسميتها بـ"السيرورة " the process

والآن، يقرأ أحدهم شيئًا، وليكن، على سبيل المثال، "إنهاء الشقاء" أو "معرفة النفس أعظم حكمة في العالم". تراه يقول شيئًا من هذا القبيل. فلماذا لا أدركه على الفور؟ هل ذهني بليد يا ترى؟

تعرفون أن ألدوس هكسلي[13] كان صديقًا مقربًا. كان من عادته أن يرسم ويعزف على البيانو – كان إنسانًا رائع المواهب. وكان من عادته أن يقول: "عندي كمٌّ هائل من المعرفة، عن الفيدنتا، عن البوذية، عن المسيحية، عن العلم." وقال: "عندي كمُّ معرفة هو من الحجم بحيث إني لا أدري إنْ كنت أستطيع يومًا أن أختبر الشيء الأصلي ".وهكذا تعاطى العقاقير ليختبر ذلك. كنت معارضًا لذلك كله.

وإذن، لماذا عليَّ – أنا الإنسان العادي، وقد سمعت شيئًا كهذا –، لماذا عليَّ أن أقبل التدرج، صفحة بعد صفحة، صفحة بعد صفحة؟...

س :نعم، ولكنْ هل يعني ذلك، إذن، أنك إما أن تفهم كل شيء في لمحة وإما أن لا تفهم شيئًا؟

ك :أجل، سيدي، هو ذاك فعلاً.

س :هو إما كل شيء وإما لاشيء؟

ك :لا، عاينْ فقط، سيدي، الأهمية...

س :إما أسود وإما أبيض؟

ك :لا. لا أسود هناك ولا أبيض. انظر إلى الأمر وحسب. أنا إنسان عادي. أشربتُ على الكاثوليكية، نشأت على ذلك النحو. ثم تظهر أنت وتقول: "انظر، هناك هندوس يقاتلون مسلمين." تدلني على هذا كله. فلماذا لا أدركه سريعًا؟

س :عليَّ هذا سهل.

ك :لا. على رسلك! تريث. لماذا هو سهل؟

س :لأنه واضح طبعًا.

ك :حذار، حذار، حذار! لماذا ليس [الإدراك] الآخر واضحًا بالمقدار نفسه؟

س :ذاك ما أسأل عنه.

ك :لا، أنا أسأل" :لماذا؟" فلم لا تسأل أنت؟! لماذا لا يرى مخي الأمر كله في لمحة؟ عندي خارطة لأوروبا. أريد أن أذهب إلى رُوان، وما تبقى لا يهم. تراني لا أهتم حقًّا بموقع إكس–لا–شاپيل أو أي مكان آخر، بل أريد أن أذهب إلى رُوان. لذا فإن مخي موجَّه ويستبعد [الأماكن] الأخرى. فلماذا يفعل ذلك؟ لأن عندي هدفًا، عندي قصدًا، عندي شيئًا أريد نيله. لذا لا تشوِّشني الخارطة. فما الشيء الذي أريد نيله؟ ما الشيء الذي أريد الحصول عليه؟ لذا أتقصى ذلك .فإما أن أتقصاه تقصيًا بطيئًا، يومًا بعد يوم، ألتقط نتفًا صغيرة من هنا وهناك، لأن ذهني منشغل بزوجتي، أو بزوجي، أو بأمور أخرى ما، أو تراني أقول" :ليس عندي وقت لهذا؛ عندي مسؤوليات." لكن هذا الشيء فاعل هو الآخر، طوال الوقت. ولهذا السبب أسأل دومًا: "لماذا مخي بطيء إلى هذا الحد الرهيب؟ لماذا لا أرى الأمر رؤية واضحة، آنيًّا، ليس خارجيًّا فقط – الحرب وما شاكلها – بل داخليًّا؟"

---

[13] ألدوس هكسلي (1894–1963): كاتب إنكليزي لامع ووصاف ساخر للعالم الحديث، كما في روايته *عالم جديد جَسور*(1932). اهتم لاحقًا بالتراث الروحي العالمي، مبوبًا مختارات من نصوصه ومعلقًا عليها في كتاب بعنوان *الحكمة الخالدة* (1944)، وكتب مقدمة ممتازة لكتاب كريشنامورتي *الحرية الأولى والأخيرة* (1954). وصف خبرته مع العقار المبدِّل للوعي LSD في كتابين صغيرين :*أبواب الإدراك*(1954). و*النعيم والجحيم* (1956)، كما نظَّر تنظيرًا دقيقًا لما يجب أن يكون عليه المجتمع الطيب في "مدينة فاضلة" في روايته الرائعة *جزيرة*(1962).

س (الدنمرك): كريشناجي، أرى أن الصعوبة المركزية، فيما يخصني، هي قوة الماضي. إذا كانت عندي مشكلة، مثلاً، يتدخل الماضي. مادمت مركِّزًا عليها، واعيًا بها، هناك فَكاك معين، هناك مساحة في نفسي. لكني، ما إنْ أنشغل بشيء آخر حتى تستولي تلك السيرورة [على المساحة]، فأجد نفسي في المآل وسط كركبة كبيرة. لا أدري ماذا أفعل!

ك :نعم، سيدي. هل تأذن لي أن أشرح؟ لا توجد "أنا" تنظر إلى الوراء. أنت، "الأنا" هي الماضي؛ ما من انقسام. لا أدري إنْ كنت أوضح ما أعني. سيدي، بسِّط الأمر للغاية: هل أنا مختلف عن غضبي؟ هل أنا مختلف؟ أنا غاضب. هذه زوجتي، وأنا غاضب عليها .هل ذاك الغضب مختلف عني؟

س(الدنمرك): لا.

ك :فالغضب هو أنا.

س(الدنمرك): نعم.

ك :بمجرد أن أدرك ذلك مرة واحدة ينتهي الانقسام.

س(الدنمرك): فهمت. ومن ثم ليس على المرء أن يبذل الجهد طوال الوقت؟

ك :لا. إذا رأيتُ مرة واحدة نهائية أن الغضب هو أنا، فعلاً، ينعدم الانقسام عندئذ. إنه أنا .أعني، إذا فهمتُ حقًّا أن الإنسانية هي أنا، أنني لست منفصلاً عن الإنسانية، فهذا تطور هائل. الإنسانية هي أنا، لأنني غاضب، عنيف، وكذلك هو الرجل في قرية بالهند. *أنا* الإنسانية.

س (إيطاليا): ليست رؤية أن الغضب هو أنا بهذه السهولة لأن الغضب يذهب ويأتي، بينما أنا دومًا حاضر. لذا يراودني انطباع بأن...

ك :لا، فأنا أيضًا أذهب وآتي.

س(إيطاليا): أنا أيضًا أذهب مع الغضب؟

ك :طبعًا. ذات يوم أنا غاضب، وفي اليوم التالي أنا مسالم. إنه الشيء نفسه.

س(إيطاليا): ألا يوجد شيء آخر يبقى دومًا فيَّ؟

ك :عندما تتخطى هذا كله، يوجد شيء غير قابل للتحريك. وهو لا يأتي لأنك بين مدٍّ وجزر، مبتهج يومًا، مشاكس في اليوم الذي يليه.

س(الدنمرك): سيدي، لا أزال غير فاهم الفرق بين الصيرورة شيئًا والهضم البطيء. وأعني أن كلا الفهم البطيء والصيرورة شيئًا يستغرق زمنًا. لذا فإن العديد من الناس محتاجون إلى عامين أو ثلاثة، إلى عمر كامل ربما، لفهم التعاليم.

ك :سيدي، أنا بحاجة إلى زمن لتعلُّم لغة. لم أكن أفقه الإيطالية، لكني صرفت وقتًا، استمعت بانتباه شديد إلى السياسيين، قرأت القصص المصورة، إلخ، فتراني أجدت تعلُّم الإيطالية بعض الشيء. ذاك يستغرق زمنًا. تلك سيرورة جمع بطيء، لمختلف الأفعال، للأفعال الشاذة، إلى ما هنالك؛ وفي آخر المطاف، حصَّلتُ الكثير من الكلمات الإيطالية، وتراني أجيد الإيطالية. والآن، هل تجري تلك السيرورة نفسها في الداخل؟ هل أجمع *ببطء* مَن هو أنا؟ هل أفهم *ببطء* ما هو الحب؟ هل أبدأ *ببطء* باغتنام جمال شيء؟ هل هو كذلك؟ أشك في ذلك، لا أقبله. لكننا قبلنا ذلك، تقبَّلنا التطور بوصفه وسيلة للإنجاز.

س(الدنمرك): لكني كثيرًا ما يراودني انطباع بأني، عقليًّا، أفهم ما تقول.

ك :آ، هو ذاك. فهل أستطيع أن أصغي من دون العملية العقلية التي تتدخل دومًا؟ هل بوسعي أن أصغي إلى ما قلت لتوِّك الآن؟ أعني قولك لتوِّك الآن: "عقليًّا أفهم." لماذا؟ لماذا تقول: "عقليًّا أفهم"؟ ماذا تقصد بـ"عقليًّا"؟

س(الدنمرك): أرى منطقية ذلك.

ك :فلماذا ترى منطقيته فحسب؟ ترى منطقيته؛ فلم لا تتخطاها؟

س :ذاك صحيح. تلك هي اللحظة الآنية.

ك :أجل، سيدي. أنا أسأل: لماذا يتفق لي أن أفهم بأني يجب ألا أتشاحن مع زوجتي، لكني [مع ذلك [أتشاحن؟ لماذا؟ أهي العادة؟ أهي اللامبالاة التامة؟ أهو أنني منشغل بأمور هي من الكثرة بحيث إن زوجتي تستفزني؟ وإذن، علي أن أتقصى – المخ مستقصيًا ذاته –: "لماذا ترى المخ يتقبل أمورًا بعينها وينكر أمورًا بعينها؟" لماذا؟ أو لماذا لا ينحِّي المخ فكرة التقبل والإنكار هذه برمتها؟ إذا تقبلتَ شيئًا، فأنت تقاوم شيئًا آخر؛ إذا أنكرتَ شيئًا، فأنت تتقبل شيئًا آخر – ما يعني وجود مقاومة.

س(إيطاليا): أريد أن أطرح سؤالاً بسيطًا: لحصول هذه اللمحة من الفهم التام، ألا يمكن أن يوجد عمل تحضيري؟

ك :بالطبع لا.

س :لنقلْ إنك تقرأ شيئًا، تقرأ بعض أقوال كريشناجي – أنت بحاجة إلى سيرورتك العقلية لتقرأ، أليس كذلك؟

ك :طبعًا، سيدي، على رسلك دقيقة. أنا أقرأ. فهل أقرأ حقًّا، أو هل أقرأ ما وراء الكلمات؟

س :طيب، ذاك هو السؤال الذي أردت أن أسأله.

ك :على رسلك، تريث !أصغ، أصغ! هل أنا أقرأ صفحة بعد صفحة فحسب؟ هَبْ أني أقرأ رواية بوليسية، أعني رواية جيدة، أقرأ سريعًا: إنها كلها عن فتى، فتاة، خونة، تعرفون الحبكة القديمة إياها، الكثير من الجنس، فأجوز عنه. هكذا أقرأ رواية أو ما شابه. لكني *هنا* أقرأ ما يكمن وراء الكلمة؛ وأنا أصغي أيضًا إلى صوت الكلمة؛ ومخي كذلك يترجم ما يقال بما يلائمه. لذا أقول: "انظر إلى ما أنت فاعل: أنت لا تصغي، لا تتعلم، بل تتكيف، تتلاءم مع ما يقال." فأتوقف على الفور؛ أكف عن القراءة؛ فأنفذ إلى ذاك. أتوقف عن القراءة؛ أمضي وأراقب وأقول: "ماذا أفعل؟" أراني أترجم شيئًا قرأته بحسب ما يلائمني. وإذن أعود إلى نفسي؛ أجد الاهتمام بالنفس فاعلاً. لذا أقول: "بحق الآلهة، انظر إلى ما أفعل!" لا أكف عن المراقبة أبدًا.

س(إيطاليا): عندي إحساس عن الذهن. يلوح لي أن الذهن أشبه بالنافذة: أرى شيئًا في الخارج، وأرى الشيء الواحد بعد الآخر، لذا يبدو لي أن هناك زمنًا. لكني إذا استطعت أن أرى فورًا، إذا استطعت أن أشعر أن كل شيء يحدث في وقت واحد...

ك :لا، سيدي. هذا موضوع معقد نوعًا ما. هل المخ مختلف عن الذهن؟ لا، لا، لا تُجبْ. أنا أطرح عليك سؤالاً: هل المخ مختلف عن الذهن؟ أم أنهما متلازمان؟ هل الأمر كذلك؟ أو – دعنا من الذهن مؤقتًا – ما هو نشاط المخ؟ الحواس، الاستجابات...

س(إيطاليا): رؤية شيء واحد بعد آخر.

ك :لا، لا. انظر إلى المخ، سيدي. لستُ اختصاصيًّا في المخ، لكنْ انظر إليه. المخ هو مركز جميع ردود فعلنا العصبية، الأوتوماتيكية، الآلية، الاستجابات الجسمية، الاستجابات الغدِّية. إنه مركز جميع الانفعالات؛ إنه مركز جميع استجاباتنا وردود فعلنا. إنه مركز الفكر كله. إنه مركز نشاطنا كله – الأشغال، الترجمة، الكلام، الثرثرة، الجنس؛ إنه مركز وجودنا الجسماني كله. هل تقبل أن المخ هو مركز نشاطنا كله، سواء الانفعالي منه أو النفساني إلخ؟ يبدو أنه كذلك، وقد

أكون مخطئًا. وإذن، هل الذهن مثل ذلك أيضًا؟ أم أنه مختلف كليًّا؟ إذا كان كذلك، فهو مجرد ردِّ فعل جسماني، انفعالي، مركز لذلك كله. أرصد شجرة؛ أودُّ هذا [الشخص]، لكني لا أودُّ ذاك؛ سوف أصير رجل أعمال كبيرًا؛ لا، لا، سأكون متواضعًا، وذاك حسبي – هذه العملية مستمرة طوال الوقت. إذا كان الذهن جزءًا من ذلك، فما الفرق إذن؟ ومنه، لا بدَّ أنه شيء مختلف، صحيح؟ هل هو مختلف؟ لا يجوز لي أن أفترض.

لذا عليَّ أن أكتشف إذا كان بوسع المخ أن يكون هادئًا يومًا. هل يمكن للمخ يومًا أن يكون صامتًا، هادئًا، ساكنًا، ليس ممتلئًا بالموسيقى أو الثرثرة – كلمات، كلمات –، بل هادئ، هادئ هدوءًا مطلقًا؟ ذاك هو أول شيء سأسأله لنفسي – وانسْ ما قلنا عن الذهن إلى ما هنالك –، ذاك أول شيء سأسأله لنفسي. مادمت أرى ما يحدث من حولي، فيَّ، ذاك أول شيء سأسأله" :هل يمكن لهذا الشيء الذي هو بكل هذا النشاط – يراقب، يتعلم، يسمع، إلى ما هنالك –، هل يمكن لذاك أن يكون هادئًا؟" ليس هادئًا قسرًا، بالجهد، بالسيطرة – فتلك كلها أمور طفولية! –، بل هادئ بحدِّ ذاته.

زانن، 19 تموز 1985

وصــال

إذا لم تكن في وصال مع أي شيء، فأنت إنسان ميت. عليك أن تكون في وصال مع النهر، مع العصافير، مع الأشجار، مع الضوء المسائي الخارق، مع ضوء الصباح على صفحة الماء؛ عليك أن تكون في وصال مع جارك، مع زوجتك، مع أولادك، مع زوجك. وأعني بالـ*وصال* عدم تدخُّل الماضي، بحيث تنظر إلى كل شيء نظرة طازجة، جديدة، – وتلك هي الطريقة الوحيدة للوصال مع شيء ما، بحيث تموت عن كل شيء من الأمس. وهل هذا ممكن؟ على المرء أن يكتشفه، لا أن يسأل: "كيف لي أن أفعله؟" – فما أحمق هذا السؤال! الناس يسألون دومًا" :كيف لي أن أفعل هذا؟" وهذا يفضح ذهنيتهم: تراهم لم يفهموا، لكنهم يريدون أن يتوصلوا إلى نتيجة وحسب.

وإذن، فأنا أسألك إنْ كنت على صلة أصلاً مع أي شيء، وإنْ كنت على صلة أصلاً مع ذاتك – لا مع "ذاتك العليا" و"ذاتك الدنيا" وسائر التقسيمات التي لا عدَّ لها والتي اختلقها الإنسان للتهرب من الواقع. وعليك أن تكتشف – لا أن تلقَّن كيف تتوصل إلى هذا *الفعل الكلي* .إذ ليس هناك "كيف"، ليس هناك منهج، ليس هناك مذهب؛ لا يمكن تلقينك. عليك أن تعمل في سبيله. آسف، لا أقصد تلك الكلمة :*عمل*؛ فالناس يعشقون العمل – وذاك واحد من هواجسنا: أننا يجب أن *نعمل* للتوصل إلى شيء. إنك لا تستطيع أن تعمل؛ فحين تكون في حال وصال، ليس هناك عمل: الأمر حاضر؛ العطر حاضر، وليس عليك أن تعمل.

اسألْ نفسك إذن – إذا أجزت لي أن أطلب منك – لتكتشف بنفسك إنْ كنت في وصال مع أي شيء، إنْ كنت في وصال مع شجرة. هل اتفق لك يومًا أن تكون في وصال مع شجرة؟ هل تعرف ما معنى أن تنظر إلى شجرة، خالي البال من أية فكرة، من أية ذاكرة تتدخل في رصدك، – بشعورك، بحساسيتك، بحال انتباهك المرهفة، – بحيث لا توجد إلا الشجرة فقط، لا أنت الناظر إلى تلك الشجرة؟ أغلب الظن أنك لم تفعل هذا قط، لأن الشجرة بنظرك لا معنى لها. جمال الشجرة لا مدلول له عندك بتاتًا، لأن الجمال بنظرك يعني الجنس فقط. لذا فقد أغلقت بابك دون الشجرة، دون الطبيعة، النهر، الناس. وأنت لست على صلة مع أي شيء، ولا حتى مع نفسك. أنت على صلة مع أفكارك أنت، مع كلماتك أنت، شأنك شأن إنسان على صلة مع الرماد. أتراك تعلم ما يحدث حين تكون على صلة مع مجرد رماد؟ تكون ميتًا، تكون محترقًا عن آخرك.

وإذن فإن أول شيء لا بدَّ لك من إدراكه هو أن عليك أن تكتشف ما هو *الفعل الكلي* الذي لن يفتعل تناقضًا على أي مستوى من مستويات وجودك، ما هو أن تكون في وصال، وصال مع ذاتك، – لا مع الذات العليا، لا مع الآتمن [الذات الكلية]، أو مع إله، إلى ما هنالك، – بل أن تكون *فعليًّا* على صلة مع نفسك، – مع طمعك، حسدك، طموحك، وحشيتك، مخادعتك؛ – ومن ثم من هناك تنطلق. عندئذ ستكتشف بنفسك – *تكتشف*، ولا تلقَّن، فذلك لا معنى له – أن هناك فعلاً كليًّا فقط حين يكون صمتٌ ذهنيٌّ تامٌّ ينطلق منه الفعل.

في حالة غالبيتنا، كما تعلم، الذهن صاخب، لا ينفك أبدًا يثرثر مع نفسه، يناجي نفسه أو يلغو حول شيء ما، أو يحاول أن يكلِّم نفسه، أن يقنع نفسه بشيء ما؛ إنه دومًا متحرك، صاخب. ومن ذلك الصخب، نفعل. أيُّ فعل وليد الصخب ينتج المزيد من الصخب، المزيد من البلبلة. لكنك إذا رصدت وتعلمت ما هو معنى التواصل، صعوبة التواصل، عدم حشو الذهن بالألفاظ، – أن ذاك [الذهن] هو ما يتصل ويتلقى الاتصال، – إذ ذاك، بما أن الحياة حركة، ستراك، في فعلك، تتحرك قُدُمًا حركة طبيعية، حرة، سهلة، من غير أي جهد، نحو حال الوصال تلك. وفي حال الوصال تلك – إذا تقصيت تقصيًا أعمق – ستجد أنك لست في وصال مع الطبيعة، مع العالم، مع كل شيء من حولك وحسب، بل في وصال مع ذاتك أيضًا.

الوصال مع ذاتك يعني الصمت التام، بحيث إن الذهن يمكن له أن يكون في وصال صامت مع نفسه حول كل شيء. ومن هناك، يوجد فعل كلي. فمن الفراغ فقط ينبع الفعل الذي هو كلي وخلاق.

ڤارنسي، 22 تشرين الثاني 1964

وعيك هو وعي البشرية

الأزمة ليست اقتصادية – الحرب، القنبلة، رجال السياسة، العلماء –، الأزمة فينا، الأزمة في وعينا. فإلى أن نفهم فهمًا عميقًا جدًّا طبيعة ذاك الوعي، فنشكك ونغوص عميقًا فيه ونكتشف بأنفسنا إنْ كان بالمستطاع إحداث طفرة كلِّية في ذاك الوعي، سيواصل العالم اختلاق المزيد من البؤس، المزيد من البلبلة، المزيد من الرعب. ومنه، فإن مسؤوليتنا ليست نوعًا ما من العمل الغيري، السياسي أو الاقتصادي، بل الإحاطة بطبيعة كياننا: لماذا صرنا هكذا، نحن البشر الذين مافتئنا نعيش على هذه الأرض الجميلة البديعة.

فإذا كنتم مستعدين، إذا كانت المسؤولية مسؤوليتكم، بوسعنا أن ندرك، معًا، طبيعة وعينا، طبيعة كياننا. هذه ليست محاضرة، لكننا نحاول – أنتم والمتكلم معًا، غير منفصلين – أن نرصد حركة هذا الوعي وعلاقته بالعالم، سواء كان ذاك الوعي فرديًّا، منفصلاً، أو كان ذاك الوعي وعي النوع البشري بأسره. منذ الطفولة، نُربى على أن نكون أفرادًا، ذوي نفوس منفصلة – إذا اتفق لكم أن تؤمنوا بمثل هذا النوع من الأفكار. لقد دُرِّبتَ، رُبيتَ، أشرطتَّ على التفكير كفرد. فلأن لنا أسماء منفصلة، هيئات منفصلة – سُمر، شُقر، طوال، قِصار، بيض، سود، إلى آخره –، ولأننا نختص بميول وخبرات بعينها، ترانا نظن أننا أفراد منفصلون. لكننا الآن سنشكك في هذه الفكرة بالذات: هل نحن أفراد؟

لا يعني هذا أننا نوع من الكائنات الهلامية، ولكنْ، فعليًّا، هل نحن أفراد؟ يقول العالم أجمع، دينيًّا وبطُرُق أخرى على حدٍّ سواء، بأننا أفراد منفصلون. واعتبارًا من ذلك المفهوم، وربما من ذلك الوهم، إذ يحاول كل واحد منا أن ينجز، أن يصير شيئًا، فإنه ينافس الآخر، يقاتله .ومنه، إذا بقينا على أسلوب الحياة ذاك، لا بدَّ لنا حتمًا من التشبث بالجنسيات، بالقَبَلية، بالحرب. فلماذا نتمسك بالقومية وبالهوى الذي يحرضها، وهو ما يحدث الآن؟ لماذا نضفي كل هذه الأهمية الخارقة على القومية، وهي أساسًا قَبَلية؟ لماذا؟ ألأن في تمسُّكنا بالقبيلة، بالجماعة، نوعًا من الأمان؟ – لا الأمان المادي، بل الأمان النفسي، الإحساس الباطن بالاكتفاء، بالامتلاء. إذا كان الأمر على هذا النحو، فإن القبيلة الأخرى أيضًا تحس إحساسًا مماثلاً؛ ومنه ينجم الانقسام، تنجم الحرب، النزاع.

إذا رأى المرء حقيقة هذا فعليًّا، لا نظريًّا، وإذا شاء أن يعيش على هذه الأرض – وهي أرضنا جميعًا، لا أرضك أنت أو أرضي أنا، لا الأرض الأميركية أو الروسية أو الهندوسية –، إذ ذاك ليس هناك من قومية على الإطلاق، بل الوجود الإنساني فحسب. إنها حياة واحدة – ليست حياتك أنت أو حياتي أنا، بل الحياة في كليتها. لكن هذه الفردية الموروثة ما انفكت الأديان تُديمها، في الشرق وفي الغرب على حدٍّ سواء.

والآن، هل الأمر على هذا النحو؟ إنه لأمر جيد جدًّا، كما تعلمون، أن نشك، أمر جيد جدًّا أن نتصف بذهن يشكك، لا يقبل، ذهن يقول: لم يعد بإمكاننا أن نواصل الحياة هكذا، على هذا النحو الوحشي، العنيف. ومنه، فإن للشك، للتشكيك أهمية خارقة، لا الاكتفاء بتقبُّل أسلوب الحياة الذي اتبعناه ربما طوال ثلاثين عامًا، أو أسلوب الحياة الذي اتبعه الإنسان طوال مليون سنة. وإذن، فنحن نشكك في واقعية الفردية.

الوعي يعني التيقظ، المعرفة، الإدراك، الرصد. ومحتوى الوعي هو معتقدك، لذَّتك، خبرتك، المعرفة المعينة التي جمعتَها، سواء من خلال الخبرة الخارجية أو من خلال مخاوفك، تعلُّقاتك، ألمك، عذاب الوحشة، الأسى، البحث عن شيء أكثر من مجرد الوجود الجسماني – ذاك كله هو وعي المرء وما يحتويه. قوام الوعي هو محتواه. من غير محتوى، ينعدم الوعي كما نعرفه .ذاك الوعي – وهو معقد للغاية، متناقض، يتصف بحيوية خارقة – هل هو وعيك أنت؟ هل الفكر فكرك؟ أم أنه لا

يوجد سوى التفكير، وهو ليس من الشرق ولا من الغرب؟ يوجد التفكير وحسب، تشترك فيه البشرية جمعاء، أغنياؤها وفقراؤها على حدٍّ سواء. فالتقنيون، بمقدرتهم الخارقة، أو الرهبان الذين ينسحبون من العالم ويكرسون أنفسهم لفكرة ما، مازالوا يفكرون.

فهل تشترك البشرية جمعاء في هذا الوعي؟ أينما ذهب المرء، تراه يشهد الشقاء، الألم، القلق، الوحشة، الجنون، الخوف، إلحاح الرغبة .هذا كله مشترك بين الجميع؛ إنه الأرضية التي يقف عليها كل إنسان. وعيك أنت هو وعي البشرية، بقية البشر. إذا فهم المرء طبيعة هذا – أنك بقية النوع البشري، مع أن أسماءنا مختلفة، نعيش في أجزاء مختلفة من العالم، نُربى بطُرُق شتى، نكون ميسوري الحال أو مدقعي الفقر –، حين تنظر خلف القناع، تجدك مثل باقي البشر: عصابيًّا، موجوعًا، تعاني الوحشة والقنوط، تؤمن بوهم ما، إلى آخر ما هنالك. وسواء ذهبتَ إلى الشرق أو إلى الغرب، وجدتَ الأمر على هذا النحو. قد لا تستحبه، بل قد تستحب التفكير بأنك كلِّي الاستقلالية، حرٌّ، فرد. لكنك حين ترصد رصدًا عميقًا للغاية، تجد أنك بقية البشرية.

أوهَيْ، 1 أيار 1982

ثمانية حوارات

1

السائل :ليتني أجد نفسي، فجأة، في عالم مختلف تمامًا، رفيع الذكاء، سعيد، ذي حسٍّ عظيم بالمحبة. أود أن أكون على الشاطئ الآخر من النهر، لا أن أضطر إلى قطع طريقي جاهدًا، سائلاً الخبراء أن يدلوني على الطريق. لقد جُبْتُ العديد من أنحاء العالم المختلفة، ونظرت إلى مساعي الإنسان في مختلف مجالات الحياة. لا شيء جذبني إلا الدين. وإني مستعد لأن أفعل أي شيء للوصول إلى الشاطئ الآخر، للدخول إلى بُعد جديد ورؤية كل شيء كما لو للمرة الأولى بعينين صافيتين . أشعر شعورًا قويًّا جدًّا بأنه لا بدَّ من وجود اختراق مفاجئ لكل بهرجة الحياة هذه – لا بدَّ من وجوده!

حين كنتُ في الهند مؤخرًا، سمعتُ جرس معبد يرن، وكان له أثرٌ عجيب علي. شعرت فجأة بإحساس خارق بالوحدة والجمال كما لم أشعر به من قبل. كان حدوث الأمر من المفاجأة بحيث إنه أصابني بالدوار؛ وكان حقًّا، وليس من قبيل الشطح أو الوهم. ثم جاءني دليلٌ وسألني إنْ كان يستطيع أن يريني المعابد، وفي تلك اللحظة عدت إلى عالم الضجيج والابتذال من جديد .أريد أن أقبض عليه مرة أخرى، لكنه بالطبع، كما تقول، مجرد ذاكرة ميتة، ومن ثَمَّ لا قيمة له. فماذا أستطيع أن أفعل، أو لا أفعل، كي أصل إلى الشاطئ الآخر؟

كريشنامورتي :ما من طريق إلى الشاطئ الآخر. ما من عمل، ما من سلوك، ما من وصفة جاهزة تفتح الباب إلى الآخر. ليس الأمر سيرورة تطورية؛ إنه ليس نهاية طريقة؛ مُحالٌ شراؤه أو منحُه أو دعوتُه. إذا كان هذا واضحًا، إذا نسي الذهن نفسه ولم يعد يقول "الضفة الأخرى" أو "هذه الضفة"، إذا توقف الذهن عن تلمُّس طريقه والتفتيش، إذا كان هناك فراغ ومساحة تامَّان في الذهن نفسه، إذ ذاك، وإذ ذاك فقط، يكون هناك.

السائل :أفهم ما تقول لفظيًّا، لكني لا أستطيع الكف عن التلمُّس والحنين، لأني في أعماق سريرتي لا أؤمن بأنه ما من طريق، ما من طريقة، ما من عمل سوف ينقلني إلى الشاطئ الآخر.

كريشنامورتي :ماذا تعني بقولك "لا أؤمن بأنه ما من طريق؟" هل تعني أن معلِّمًا سوف يأخذ بيدك ويحملك إلى هناك؟

السائل :لا. غير أني آمل بأن أحدهم ممن يفهمون سوف يدل عليه مباشرة، لأنه لا بدَّ أن يكون موجودًا فعليًّا طوال الوقت، بما أنه حق.

كريشنامورتي :هذا كله قطعًا من قبيل الافتراض. لقد حصل لك ذاك الشعور المفاجئ بالحق حين سمعتَ جرس المعبد، لكن تلك ذاكرة، كما قلتَ، ومنها أنت تستنتج بأنه لا بدَّ أن يكون موجودًا دومًا لأنه حق. الحق شيء عجيب؛ إنه يكون موجودًا حين لا تنظر؛ لكنك حين تنظر جَشِعًا فإن ما تقبض عليه هو نفاية جشعك، وليس الحق .الحق شيء حي ولا يمكن القبض عليه، ولا يمكن لك أن تقول إنه دومًا موجود .هناك درب فقط إلى ما هو مستتب، إلى نقطة ثابتة، ساكنة. أما الشيء الحي، المتحرك على الدوام، الشيء الذي ليس له مكان يستقر فيه، فكيف يمكن أن يوجد دليل أو درب إليه؟ الذهن من التلهف إلى بلوغه، إلى القبض عليه، بحيث إنه يجعله شيئًا ميتًا. وإذن، هل تستطيع أن تنحِّي ذاكرة تلك الحالة التي حصلت لك؟ هل تستطيع أن تنحِّي المعلم، الدرب، الغاية، أن تنحِّيها تنحية تامة، بحيث يفرغ ذهنك من هذا السعي كله؟ إن ذهنك في الوقت الحاضر من الانشغال بهذا الطلب الغامر بحيث إن هذا الانشغال بالذات يصير عائقًا. أنت تطلب، تسأل،

تتوق إلى السير على الشاطئ الآخر. الشاطئ الآخر يقتضي وجود هذا الشاطئ، ومن هذا الشاطئ، للوصول إلى الشاطئ الآخر، هناك مكان وزمن. وهذا ما يكبحك ويجلب عليك هذا التوق الموجع إلى الشاطئ الآخر. وتلك هي المشكلة الحقيقية – الزمن الذي يجزِّئ، المكان الذي يفصل، الزمن الضروري للوصول إلى هناك، والمكان الذي هو المسافة بين هذا وذاك. هذا يريد أن يصير ذاك، فيجده غير ممكن بسبب المسافة والزمن المطلوب لقطع تلك المسافة. وفي هذا لا توجد المقارنة وحسب، بل القياس أيضًا، وذهن قادر على القياس ذهن قادر على *الوهم* أيضًا. هذا التقسيم للمكان والزمن بين هذا وذاك هو طريق الذهن، الذي هو الفكر. حين توجد المحبة، كما تعلم، يختفي المكان ويختفي الزمن. فقط حين يتدخل الفكر والرغبة توجد هوة زمنية لا بدَّ من ردمها. حين ترى هذا، يكون هذا هو ذاك.

السائل: لكني لا أراه. أشعر بأن ما تقوله صحيح، لكنه يتملص مني.

كريشنامورتي: سيدي، أنت شديد نفاد الصبر، وفي نفاد صبرك هذا تكمن عدوانيته نفسها. أنت تهاجم، تجزم. لستَ هادئًا لتنظر، لتسمع، لتشعر بعمق. تريد الوصول إلى الشاطئ الآخر بأي ثمن، فتسبح سباحة مسعورة، غير عالم أين يوجد الشاطئ الآخر. الشاطئ الآخر قد يكون *هذا* الشاطئ، وإذن فأنت تسبح مبتعدًا عنه. إذا أجزت لي أن أقترح، كفَّ عن السباحة. وهذا لا يعني أنك يجب أن تصير بليدًا، فتعيش عيشة خاملة ولا تفعل شيئًا، بل بالحري أنك يجب أن تكون منفعل الإدراك من غير أي اختيار، مهما كان، ولا قياس. ثم انظر ما يحدث. قد لا يحدث شيء، لكنك إذا كنت تتوقع من ذلك الجرس أن يرن مرة أخرى، إذا كنت تتوقع عودة ذلك الشعور والبهجة كلهما، فأنت تسبح في الاتجاه المعاكس. الهدوء يتطلب طاقة عظيمة؛ والسباحة تبدِّد تلك الطاقة. وأنت في حاجة إلى طاقتك كلها لصمت الذهن، وفقط في الفراغ، في الفراغ التام، يمكن لشيء جديد أن يكون.

2

السائل: لدى الناس المتدينين المزعومين جميعًا شيءٌ ما يشتركون فيه، وأرى هذا الشيء نفسه عند معظم الناس القادمين للاستماع إليك. إنهم جميعًا يفتشون عن شيء ما يسمونه بأسماء متنوعة: نيرڤانا، التحرر، الاستنارة، تحقيق الذات، الأبدية، أو الله. هدفهم معين سلفًا، يضعونه نُصْبَ أعينهم في تعاليم مختلفة، ولكلٍّ من هذه التعاليم، من هذه الطرق، مجموعته من الكتب المقدسة، مناهجه، معلِّموه، أخلاقياته، فلسفته، وعوده ووعيده – درب مستقيم ضيق يستبعد باقي العالم ويَعِدُ عند آخره بفردوس ما أو سواه. غالبية هؤلاء الطالبين يتنقلون من طريقة لأخرى، مبدِّلين آخر تعليم بالتعليم الذي تخلوا عنه مؤخرًا؛ يتنقلون من عربدة عاطفية إلى أخرى، غير متبصرين بأن العملية نفسها جارية في هذا البحث كله. بعضهم يبقى ضمن طريقة واحدة مع مجموعة بعينها ويرفض التزحزح؛ وبعضهم الآخر يحسب في آخر المطاف أنه حقق ما كان يريد تحقيقه، ومن ثم يصرف أيامه في غبطة منقطعة ما، مستدرجًا بدوره مجموعة تلامذة يبدءون الدورة برمتها من جديد. وفي هذا كله، نجد الجشع القسري لبلوغ تحقيق ما، وغالبًا، خيبة الإخفاق وإحباطه المريرين. هذا كله يبدو لي غير صحي للغاية. هؤلاء الناس يضحُّون بالعيش العادي في سبيل هدف متخيَّل ما، وهناك شعور كريه للغاية ينبعث من هذا النوع من الأوساط: تعصُّب، هستيريا، عنف، وغباء .ويندهش المرء حين يجد بينهم بعض الكتاب الجيدين الذين يبدون فيما عدا ذلك سليمي العقل نسبيًّا. هذا كله يسمى دينًا؛ والأمر كله يفوح منه النتن حتى السماء العليا! هذا هو بخور التقوى؛ ولقد رصدته في كل مكان. هذا البحث عن الاستنارة يسبب خرابًا هائلاً، والناس يضحَّى بهم في أعقابه. والآن أود أن أسألك: هل يوجد في الواقع شيء ما كالاستنارة، وإذا كان يوجد، ما هو؟

كريشنامورتي :إذا كان هروبًا من العيش اليومي – العيش اليومي بوصفه الحركة الخارقة للعلاقة – عندئذ فإن هذا التحقيق المزعوم، هذه الاستنارة المزعومة، أو أي اسم تود أن تطلقه عليه، هو وهم ونفاق. كل ما ينفي المحبة وفهم الحياة والعمل يؤدي لا محالة إلى إيقاع قدر كبير من الأذى. إنه يشوِّه الذهن، والحياة تغدو قضية مروِّعة. فإذا اتخذنا ذلك كمسلَّمة عندئذ قد نستطيع، ربما، أن نتابع لنكتشف فيما إذا كان يمكن للاستنارة – مهما يكن معناها – أن توجد في فعل العيش بذاته. فالعيش، في النهاية، أهم من أي فكرة أو هدف مثالي أو مبدأ. فلأننا لا نعرف ما هو العيش ترانا نخترع هذه المفاهيم الرؤيوية وغير الواقعية التي تتيح لنا الفرار. المسألة الحقيقية هي: هل يستطيع المرء أن يجد الاستنارة في العيش، في نشاطات الحياة اليومية، أم أن الأمر مخصص فقط للقلة الموهوبين قدرةً ما خارقةً على اكتشاف هذه الغبطة؟ الاستنارة تعني أن يكون المرء نورًا لذاته، لكنه نور ليس ذاتيَّ الإسقاط ولا متخيَّلاً، ليس مزاجيةً شخصيةً ما. ثم إن هذا مافتئ أبدًا تعليم الدين الصحيح، وإنْ لم يكن تعليم الاعتقاد والخوف المنظَّمين.

السائل :تقول تعليم الدين الصحيح! هذا على الفور يخلق معسكر المحترفين والاختصاصيين في مقابل باقي العالم. فهل تعني، إذن، أن الدين منفصل عن الحياة؟

كريشنامورتي :الدين ليس منفصلاً عن الحياة؛ إنه، بالعكس، *الحياة ذاتها* .إن هذا التفريق بين الدين والحياة هو الذي ولَّد هذا البؤس كله الذي تتحدث عنه. وهذا يعيدنا، إذن، إلى السؤال الأساسي حول إمكانية العيش في الحياة اليومية في حالة دعنا نسمِّها، مؤقتًا، الاستنارة.

السائل :مازلت لا أعلم ما تعنيه بالاستنارة.

كريشنامورتي :حالة نفي. النفي هو الفعل الأكثر إيجابية، لا الجزم الإيجابي. هذا أمر هام للغاية لا بدَّ من فهمه. أغلبنا يقبل العقيدة الإيجابية، يقبل معتقَدًا إيجابيًا بسهولة بالغة، لأننا نريد أن نكون آمنين، أن ننتمي، أن نتعلق، أن نتكل. الموقف الإيجابي يجزِّئ ويجلب الثنائية. وعندئذ يبدأ النزاع بين هذا الموقف وبين الآخرين. لكن نفي جميع القيم، جميع الأخلاقيات، جميع المعتقدات، بما أنه من غير حدود، فهو لا يمكن له أن يتعارض مع أي شيء .العبارة الإيجابية، من حيث تعريفها نفسه، تفصل، والفصل مقاومة. ونحن معتادون على هذا؛ هذا هو إشراطنا. إنكار هذا كله ليس منافيًا للأخلاق، بل إنكار كل تجزئة ومقاومة هو، بالعكس، ذروة الأخلاق. نفي كل ما اخترعه الإنسان، نفي قيمه وأخلاقه وآلهته جميعًا، هو أن تكون في حالة ذهنية لا ثنائية فيها، وبالتالي، لا مقاومة ولا نزاع بين الأضداد. ففي هذه الحالة لا توجد أضداد، وهذه الحالة ليست نقيض أي شيء آخر.

السائل :فكيف لنا أن نعرف ما هو الخير وما هو الشر؟ أم أنه لا يوجد خير وشر أصلاً؟ ماذا يحول بيني وبين الجريمة أو حتى القتل؟ إذا لم تكن عندي معايير، ماذا يحول بيني وبين يعلم الله أية ضلالات؟

كريشنامورتي :نفي هذا كله هو نفي المرء ذاتَه، والذات هي الكيان المشروط الذي يسعى سعيًا مستمرًّا إلى خير مشروط. يبدو النفي بنظر غالبيتنا وكأنه خواء لأننا لا نعرف النشاط إلا في سجن إشراطنا وخوفنا وبؤسنا. وانطلاقًا من ذلك، ننظر إلى النفي ونتخيل أنه حالة رهيبة ما من النسيان أو الفراغ. فبنظر الإنسان الذي نفى جميع إثباتات المجتمع والدين والثقافة والأخلاقيات، الإنسانُ الذي لا يزال قابعًا في سجن التبعية الاجتماعية هو إنسان شقي. النفي هو حالة استنارة فاعلة في جميع نشاطات إنسان قد تحرَّر من الماضي. فالماضي، بتقليده ومرجعيته، هو الذي يجب نفيُه. النفي حرية، والإنسان الحر هو الذي يحيا ويحب ويعرف ما معنى أن يموت.

السائل :هذا القدر واضح؛ لكنك لا تقول شيئًا عن أي إشعار بالمتعالي، بالإلهي، أو ما تشاء أن تطلق عليه من الأسماء.

كريشنامورتي :الإشعار بذاك لا يمكن له أن يوجد إلا في الحرية، وأي تصريح عنه إنما هو إنكار للحرية؛ أي تصريح عنه يصير تبليغًا لفظيًّا عديم المعنى. إنه موجود، لكنْ لا يمكن العثور عليه أو دعوته، ولا بالأحرى حبسه في أية طريقة، أو الإيقاع به بأية حيلة ذكية من حيل الذهن. إنه ليس في الكنائس ولا في المعابد ولا في المساجد. ما من درب إليه، ولا معلم، ولا طريقة تستطيع أن تكشف عن جماله؛ وَجْدُه يأتي فقط حين توجد المحبة. هذه هي الاستنارة.

السائل :فهل يجلب أي فهم جديد لطبيعة الكون أو الوعي أو الوجود؟ جميع النصوص الدينية تغص بهذا النوع من الأشياء.

كريشنامورتي :هذا أشبه ما يكون بسؤال المرء عن الضفة الأخرى بينما هو يعيش ويشقى على هذه الضفة. عندما تكون على الضفة الأخرى فأنت كل شيء ولاشيء، ولا تسأل أسئلة كهذه أبدًا. جميع الأسئلة المشابهة مصدرها هذه الضفة وحقًّا لا معنى لها بتاتًا. ابدأ بالعيش، وستجد نفسك هناك من غير سؤال، من غير سعي، من غير خوف.

3

السائل :أرى أهمية إنهاء الخوف، الأسى، الغضب، وكل كدح الإنسان. أرى أن على المرء أن يحرص على وضع أسُس السلوك الطيب، الذي يدعى عمومًا بالاستقامة، وعلى أن لا توجد في ذلك كراهية ولا حسد ولا شيء من الوحشية التي يعيش فيها الإنسان. أرى كذلك أنه لا بدَّ من الحرية، لا بمعنى التحرر من شيء بعينه، بل *الحرية في ذاتها*، وأن المرء يجب ألا يبقى دومًا حبيس متطلباته ورغباته. أرى هذا كله رؤية واضحة جدًّا وأحاول – وإنْ تكن ربما قد لا تحب كلمة "محاولة" – أن أعيش على هدي من هذا الفهم. استغرقت في ذاتي إلى حدٍّ ما. لم يعد يقيدني أي شيء من أشياء هذا العالم، ولا أي دين من الأديان. والآن أود أن أسأل: إذا سلَّمنا جدلاً أن المرء حر، ليس خارجيًّا وحسب بل داخليًّا، من كل بؤس الحياة وبلبلتها، ماذا يوجد هناك فيما يتعدى الجدار؟ حين أقول "الجدار"، أعني الخوف، الأسى، والضغط الدائم للفكر. ماذا يوجد هناك مما يمكن أن يُرى حين يكون الذهن هادئًا، وليس ملتزمًا أيَّ نشاط بعينه؟

كريشنامورتي :ماذا تعني بقولك: "ماذا يوجد هناك"؟ أتعني شيئًا يُدرَك، يحَسُّ، يُختبَر، أو يُفهم؟ أتراك تسأل ما هي الاستنارة؟ أم أنك تسأل ماذا يوجد هناك حين يتوقف الذهن عن شروده كله ويؤول إلى الهدوء؟ هل تسأل ماذا يوجد هناك على الجانب الآخر حين يكون الذهن ساكنًا حقًّا؟

السائل :أسأل هذه الأشياء كلها. فحين يكون الذهن ساكنًا يبدو وكأنه لا يوجد شيء. لا بدَّ أن هناك شيئًا على جانب هائل من الأهمية يُكتشَف خلف الفكر كله. البوذا، وواحد أو اثنان سواه، تكلموا على شيء هو من الشساعة بحيث لم يكن بوسعهم التعبير عنه بكلمات. البوذا قال: "لا تقيسوا بالكلمات ما لا يقاس." كلنا عرفنا لحظات كان الذهن فيها ساكنًا سكونًا كاملاً، ولم يكن في الأمر حقًّا شيء بهذه العظمة كلها؛ كان مجرد فراغ. ومع ذلك، ينتاب المرءَ شعورٌ بأن هناك شيئًا شديد القرب، بمجرد أن يُكتشف، يحوِّل الحياة بأسرها. ولعله يبدو، مما قاله الناس، أن ذهنًا ساكنًا ضروري لاكتشاف هذا. أرى، كذلك، أن وحده ذهن غير مزدحم، ساكن، يستطيع أن يكون فعالاً ونافذ البصيرة بحق. لكنْ لا بدَّ أن هناك شيئًا أكثر من مجرد ذهن غير مزدحم، ساكن، شيئًا أكثر بكثير من ذهن طازج، ذهن بريء، أكثر حتى من ذهن مُحِب.

كريشنامورتي :فما هو السؤال الآن؟ لقد صرحتَ بأن ذهنًا هادئًا، حساسًا، يقظًا، ضروري، لا لتكون فعالاً وحسب، بل لتدرك الأشياء من حولك وفي نفسك أيضًا.

السائل :جميع الفلاسفة والعلماء يدركون شيئًا ما طوال الوقت. بعضهم ذكي ذكاءً ملحوظًا، والعديد منهم مستقيم حتى. لكنك حين تنظر في كل ما أدركوه أو اخترعوه أو عبروا عنه، تجده بلا قيمة تُذكَر، وليس فيه قطعًا أي إشعار بشيء إلهي.

كريشنامورتي :أتراك تسأل إنْ كان هناك شيء مقدس فيما يتعدى هذا كله؟ هل تسأل إنْ كان هناك بُعد مختلف يستطيع الذهن أن يحيا فيه ويدرك شيئًا ليس مجرد صياغة عقلية للمُكْر؟ هل تسأل بطريقة موارية إنْ كان يوجد شيء سام أو لا يوجد؟

السائل :لقد قال عدد كبير من الناس بأكثر ما يمكن من الإقناع بأن هناك كنزًا هائلاً هو منبع الوعي. جميعهم متفقون على أنه عصيٌّ على الوصف؛ لكنهم مختلفون على كيفية إدراكه. ويبدو أنهم جميعًا يعتقدون أن الفكر يجب أن يتوقف قبل أن يتاح له أن يتجلى. بعضهم يقول إنه المادة المصنوع منها الفكر بالذات، وهكذا دواليك .جميعهم متفق على أنك لا تحيا حقًّا ما لم تكتشفه. وأنت نفسك، على ما يبدو، تقول نوعًا ما الشيء نفسه. غير أني لا أتبع أية طريقة أو منهج أو گورو [معلِّم] أو معتقَد. لا أحتاج إلى أيٍّ من هذه الأمور لتخبرني بوجود شيء متعالٍ. حين تنظر إلى ورقة نبات أو إلى وجه، تراك تدرك أن هناك شيئًا أعظم بكثير من التفسيرات العلمية أو البيولوجية للوجود. يبدو أنك شربت من هذا الينبوع. نحن نستمع إلى ما تقول. وأنت حريص على تبيين تفاهة الفكر ومحدوديته. ونحن نستمع، نتفكر، ونقع على سكون جديد. النزاع ينتهي فعلاً .ولكن ماذا بعد؟

كريشنامورتي :لماذا تسأل هذا؟

السائل :أنت تسأل رجلاً أعمى لماذا يريد أن يبصر!

كريشنامورتي :لم يُسأل السؤال كمناورة ذكية، أو للفت النظر إلى أن ذهنًا صامتًا لا يسأل شيئًا بتاتًا، بل للتأكد من أنك تبحث فعلاً عن شيء متعالٍ. فإذا كنت تبحث، ما هو الدافع وراء ذلك البحث؟ – الفضول، إلحاح الاكتشاف، أو الرغبة في رؤية جمال لم ترَ مثيله من قبل. أليس مهمًّا بنظرك أن تكتشف بنفسك فيما إذا كنت تطلب المزيد، أم أنك تحاول أن ترى *الما*هو بالضبط؟ الإثنان متنافران. فإذا استطعت أن تنحِّي المزيد، فإننا عندئذٍ نكون مهتمَين فقط بال*ما*هو حين يكون الذهن صامتًا. ماذا يحدث فعليًّا حين يكون الذهن هادئًا حقًّا؟ ذلك هو السؤال الحقيقي، أليس كذلك، وليس ما هو متعالٍ أو ما يكمن أبعد؟

السائل :سؤالي هو عما يكمن أبعد.

كريشنامورتي :ما يكمن أبعد لا يمكن إيجاده إلا إذا كان الذهن ساكنًا. قد يكون هناك شيء، وقد لا يكون هناك شيء بتاتًا. وإذن فإن الشيء الوحيد المهم هو أن يكون الذهن ساكنًا. مرة أخرى، إذا كنتَ مهتمًّا بما يكمن أبعد، فأنت عندئذ لا تنظر إلى ماهية حالة السكون الفعلي. إذا لم يكن السكون بنظرك غير مجرد باب إلى ما يكمن أبعد، فأنت غير مهتم بذلك الباب، في حين أن المهم هو الباب بالذات، هو السكون بعينه. لذا لا يمكن لك أن تسأل ماذا يكمن أبعد. الشيء الوحيد المهم هو أن يكون الذهن ساكنًا. إذ ذاك ماذا يحدث؟ ذاك كل ما يهمُّنا، لا ما يكمن أبعد من الصمت.

السائل :أنت على حق. فليس للصمت من أهمية بنظري إلا كبوابة.

كريشنامورتي :كيف لك أن تعرف أنه بوابة وليس *الشيء* بحدِّ ذاته؟ *الوسيلة هي الغاية*، وهما ليستا شيئين منفصلين. الصمت هو الواقعة الوحيدة، وليس ما تكتشف من خلاله. فلنبقَ عند الواقعة، ولنرَ ما هي تلك الواقعة. من عظيم الأهمية – ولعله من أعظم الأهمية – أن يكون هذا الصمت صمتًا بحدِّ ذاته وليس شيئًا محرَّضًا كوسيلة إلى غاية، ليس شيئًا محرَّضًا من خلال المخدرات أو المنهج أو ترداد الكلمات.

السائل :الصمت يأتي من تلقاء ذاته، من غير دافع ومن غير سبب.

كريشنامورتي :لكنك تستعمله كوسيلة!

السائل :لا، فقد عرفتُ الصمت، وأجد أنه لا يحدث شيء.

كريشنامورتي :هذه هي المسألة برمتها. ليس هناك من واقعة أخرى غير الصمت الذي لم يُستدعَ، لم يحرَّض، لم يُسعَ إليه، بل هو النتيجة الطبيعية للرصد ولفهم المرء نفسَه والعالمَ حواليه. وفي هذا لم يكن هناك مِنْ دافع جَلَبَ الصمت. إذا وُجِدَ أي ظل أو شك في وجود دافع، إذ ذاك يكون هذا الصمت موجَّهًا ومتعمَّدًا، وبالتالي فهو ليس صمتًا على الإطلاق. إذا كنت تستطيع أن تقول صادقًا إن ذلك الصمت صمت حر، إذ ذاك فإن ما يحدث فعليًّا في ذلك الصمت هو همُّنا الوحيد. ما هي صفة ذلك الصمت وما هو جوهره؟ هل هو سطحي، عابر، قابل للقياس؟ هل أنت تعيه بعد أن ينتهي أو في أثناء الصمت؟ إذا وعيت أنك كنت صامتًا، فهي ذاكرة وحسب، وبالتالي ميتة. إذا وعيت الصمت وهو يحدث، هل هو صمت؟ إذا لم يكن هناك من راصد – أي ما من حزمة من الذاكرات – هل هو صمت؟ هل هو شيء متقطع يجيء ويذهب بحسب كيمياء جسمك؟ هل يجيء وأنت وحدك، أو مع الناس، أو عندما تحاول أن تتأمل؟ ما نحن نحاول أن نكتشفه هو طبيعة هذا الصمت. هل هو غني أم فقير؟ (لا أعني غنيًّا بالخبرة، أو فقيرًا لأنه غير متعلِّم). هل هو ممتلئ أم ضحل؟ هل هو بريء أم هو مركَّب؟ من شأن الذهن أن ينظر إلى واقعة ولا يرى جمال تلك الواقعة، عمقها، خاصيتها. فهل من الممكن رصد الصمت من غير الراصد؟ حين يوجد الصمت، هناك صمت وحسب، ولا شيء سواه. ثم في ذلك الصمت ماذا يحدث؟ أهذا ما تسأل؟

السائل :أجل.

كريشنامورتي :هل هناك رصد للصمت بالصمت في الصمت؟

السائل :هذا سؤال جديد.

كريشنامورتي :إنه ليس سؤالاً جديدًا لو أنك كنت تتابع. الدماغ بكامله، الذهن، المشاعر، الجسم، كل شيء هادئ. فهل يمكن لهذا الهدوء، لهذا السكون، أن ينظر إلى نفسه، لا كراصد ساكن؟ هل يمكن لكلِّية هذا الصمت أن تشاهد كلِّيتها هي؟ الصمت يصبح واعيًا لذاته. وفي هذا ليس هناك أي تقسيم بين راصد ومرصود. تلك هي المسألة الرئيسية. هذا الصمت لا يستعمل ذاته لاكتشاف شيء يتعداه. يوجد ذلك الصمت وحسب. والآن انظر ما يحدث.

4

السائل :عندي عادة واحدة مستحكمة؛ عندي عادات أخرى، لكنها ذات أهمية أقل. مازلت أكافح هذه العادة حصرًا منذ أن وعيت نفسي. أغلب الظن أنها تشكلت في طفولتي المبكرة، ويبدو أن لا أحد اهتم اهتمامًا كافيًا لتصحيحها آنذاك؛ وبالتدريج، مع تقدُّمي في السن، صارت متجذِّرة أكثر فأكثر عمقًا. وهي لا تختفي أحيانًا إلا لتعاود الظهور من جديد. ويبدو أني غير قادر على التخلص منها. أود أن أكون سيدًا عليها تمامًا؛ فقد صار التغلب عليها هوسًا عندي. فماذا يسعني أن أفعل؟

كريشنامورتي :يبدو مما تقول أنك استسلمت لعادة طوال سنين عديدة عديدة، وتراك نمَّيت عادة أخرى، عادة مكافحتها. وإذن فأنت تريد التخلص من عادة بتنمية عادة أخرى هي إنكار الأولى. أنت تكافح عادةً بعادة أخرى. وحين لا تقدر على التخلص من العادة الأولى تشعر بالذنب، بالعار، بالكآبة، وربما بالغضب من نفسك على ضعفك. لكن كلا العادة الأولى والثانية وجه من وجهَي العملة نفسها: من دون الأولى لا وجود للثانية؛ ومنه، فإن الثانية هي حقًّا استمرار للأولى كردٍّ فعل. وإذن فلديك الآن مشكلتان، في حين كانت لديك في البداية مشكلة واحدة فقط.

السائل :أعرف ما سوف تقول لأنني أعرف ما تقول عن الوعي، لكنني لا أستطيع أن أكون واعيًا طوال الوقت.

كريشنامورتي :وإذن فلديك الآن عدة أشياء في الوقت ذاته: لديك في البدء العادة الأصلية، ثم الرغبة في التخلص منها، ثم الشعور بالإحباط من فشلك، ثم العزم على أن تكون واعيًا طوال الوقت. وهذه الشبكة نشأت لأنك في قرارة نفسك تريد أن تتخلص من تلك العادة بالذات؛ ذلك هو دافعك الأوحد، وأنت تتأرجح طوال الوقت بين العادة وبين مكافحتها. لست ترى أن المشكلة الحقيقية هي في التعود أصلاً، حسنًا كان أو سيئًا، وليس في مجرد عادة واحدة بعينها. وإذن فإن المسألة حقًّا هي: هل من الممكن كسر عادة ما دون بذل أي جهد، دون تنمية ضدها، دون قهرها عبر المراقبة المستمرة، وهي مقاومة؟ فالمراقبة المستمرة هي ببساطة عادة أخرى، بما أنها تتولد من العادة التي تحاول هذه المراقبة التغلب عليها.

السائل :أتعني أنني أستطيع أن أتخلص من العادة من غير توليد هذه الشبكة المعقدة من ردود الفعل عليها؟

كريشنامورتي :مادمت تريد التخلص منها فإن تلك الشبكة المعقدة من ردود الفعل تعمل فعليًّا .إرادة التخلص منها هي تلك الشبكة الرجعية. وإذن فأنت حقًّا لم توقف ردَّ الفعل العبثي على العادة هذا.

السائل :لكني، مع ذلك، يجب أن أفعل شيئًا حيالها!

كريشنامورتي :ذاك يشير أنك محكوم بهذه الرغبة الواحدة. هذه الرغبة وردود الفعل عليها ليست مختلفة عن العادة؛ إذ إن بعضها يقتات ببعض. الرغبة في التفوق ليست مختلفة عن الدونية؛ فالمتفوق هو المتدني، القديس هو الخاطئ!

السائل :فهل يجب علي فقط ألا أفعل شيئًا حيالها بتاتًا؟

كريشنامورتي :ما أنت فاعله حيالها هو تنمية عادة أخرى في مقابل العادة القديمة.

السائل :فإذا لم أفعل شيئًا، سأظل على العادة، ونعود إلى حيث ابتدأنا!

كريشنامورتي :هل نعود فعلاً؟ حين تعي بأن ما تفعله لكسر العادة هو تنمية عادة أخرى، لا مجال عندك إلا لعمل واحد، وهو ألا تفعل شيئًا ضد تلك العادة بتاتًا. كل ما تفعل يقع ضمن قالب العادات، وبالتالي فإن عدم فعلك شيئًا، شعورك بأنك غير مضطر إلى مكافحتها، هو أعظم أفعال الذكاء. إذا فعلت أي شيء إيجابي فأنت واقع من جديد في مجال العادات. أما إذا رأيت هذا رؤية واضحة جدًّا، يكون هناك شعور فوري بارتياح عظيم وبخفة عظيمة. فأنت الآن ترى أن مكافحة العادة الواحدة بتنمية أخرى لا ينهي العادة الأولى، فتكف عن مكافحتها.

السائل :عندئذ وحدها العادة تبقى، وليس من مقاومة لها.

كريشنامورتي :أي شكل من أشكال المقاومة يغذي العادة – لكن هذا لا يعني أنك ستستمر على العادة. فأنت تصبح واعيًا للعادة ولتنمية ضدها – وهي عادة هي الأخرى– ، وهذا الوعي يبين لك أنك مهما فعلت حيال العادة هو من قبيل تشكيل عادة أخرى .فالآن، وقد رصدت هذه السيرورة برمتها، يقول ذكاؤك: "لا تفعل شيئًا حيال العادة، لا تولِها أي انتباه، لا تأبه لها، لأنك كلما أبهت لها صارت أكثر فاعلية." الذكاء الآن يعمل، وهو يشاهد. وهذه المشاهدة مختلفة اختلافًا تامًّا عن مراقبة مقاومة العادة، رد الفعل عليها. فإذا راودك الشعور بهذا الذكاء وهو يشاهد، إذ ذاك فإن هذا الشعور هو الذي سوف يعمل ويعالج العادة، لا رقابة التصميم والإرادة. وإذن فالمهم ليس العادة، بل *فهم* العادة الذي يولِّد الذكاء. وهذا الذكاء يبقى متيقظًا من غير وقود الرغبة، وهو الإرادة. في الحال الأولى تواجَه العادة بالمقاومة، وفي الحال الثانية لا تواجَه بتاتًا – وذلك هو الذكاء. فعل الذكاء يصعق المقاومة للعادة التي تتغذى عليها العادة.

السائل :هل يعني قولك أني تخلصت من عادتي؟

كريشنامورتي :تأنَّ، ولا تتسرع في افتراضك أنك تخلصت منها. فالأهم من العادة هو هذا الفهم، وهو الذكاء. هذا الذكاء *مقدس* ويجب، بالتالي، أن يُمسَّ بيدين طاهرتين، لا أن يُستغل في ألاعيب صغيرة تافهة. عادتك الصغيرة لا أهمية لها مطلقًا. إذا كان الذكاء حاضرًا فالعادة تافهة؛ أما إذا لم يحضر الذكاء فإن عجلة العادة هي كل ما لديك.

5

السائل :أجدني أتعلق بالناس تعلقًا مرعبًا وأتكل عليهم. وهذا التعلق يتطور في علاقاتي إلى نوع من التطلب الاستئثاري يولد شعورًا بالسيطرة. وإذ أراني متكلاً، مدركًا لإزعاج ذلك وللألم الناجم عنه، أحاول أن أكون غير متعلق. عندئذ أشعر بالوحشة شعورًا رهيبًا؛ وإذ أعجز عن مواجهة الوحشة، أتهرب منها عن طريق الشراب وبطُرُق أخرى. ومع ذلك، لا أريد لعلاقاتي أن تكون مجرد علاقات سطحية عابرة.

كريشنامورتي :هناك التعلق، ثم هناك الصراع لفك التعلق، ثم يتولد من هذا نزاع أعمق، هو الخوف من الوحشة. فما هي مشكلتك إذن، ما الذي تحاول أن تكتشفه، أن تتعلمه؟ هل هو أن كل علاقة هي قضية اتكال؟ أنت متكل على البيئة والناس. فهل من الممكن لك أن تكون حرًّا، لا من البيئة والناس وحسب، بل أن تكون حرًّا *في ذاتك*، بحيث لا تتكل على أي شيء أو أي أحد؟ هل من الممكن أن يوجد فرح ليس نتيجة البيئة أو الناس؟ البيئة تتغير، الناس تتغير، وإذا اتكلت عليهم فأنت واقع في مصيدتهم – وإلا فإنك تصير لامباليًا، عنيفًا، متهكمًا، قاسيًا. وإذن أليست القضية قضية إنْ كنت تستطيع أن تحيا حياةَ حريةٍ وفرح ليست نتيجة البيئة، بشريةً كانت أو غير ذلك؟ هذه مسألة هامة للغاية. أغلب البشر عبيد لأسرتهم أو لظروفهم، وهم يريدون تغيير الظروف والناس، آملين بذلك أن يجدوا الفرح، أن يحيوا حياة حرة وأكثر انفتاحًا. لكنهم حتى إذا

أوجدوا فعلاً بيئتهم الخاصة أو اختاروا علاقاتهم الخاصة، سرعان ما ينتهي بهم الأمر إلى الاتكال ثانيةً على البيئة الجديدة وعلى الأصدقاء الجدد. فهل الاتكال، مهما يكن شكله، يجلب الفرح؟ وهذا الاتكال هو أيضًا حافز المرء إلى التعبير، الحافز إلى أن يكون شيئًا. فصاحب موهبة أو قدرة بعينها يتكل عليها، وحين تنقص أو تزول برمتها تراه يرتبك ويصير بائسًا وقبيحًا. ومنه فإن الاتكال نفسانيًّا على أي شيء – الناس، الممتلكات، الأفكار، المواهب – مدعاةٌ للأسى. لذا يتساءل المرء: هل هناك فرح لا يتكل على أي شيء؟ هل هناك نور لا يضيئه آخر؟

السائل :فرحي إلى الآن أضاءه دومًا شيء أو أحد خارج ذاتي – فلا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال؛ ولعلي لا أجرؤ حتى على سؤاله، لأنني عند ذاك قد أضطر إلى تغيير أسلوب حياتي. أنا قطعًا متكل على الشراب والكتب والجنس والصحبة.

كريشنامورتي :لكنك حين ترى بنفسك، في وضوح، أن هذا الاتكال يولد مختلف أشكال الخوف والبؤس، ألا تسأل حتمًا السؤال الآخر، الذي ليس عن كيفية التحرر من البيئة والناس، بل بالحري عما إذا كان هناك فرح، غبطة، هي نور ذاتها؟

السائل :قد أسأله، لكنه لا قيمة له. بما أني واقع في شَرَك هذا كله، فهذا كل ما هو موجود فعليًّا لدي.

كريشنامورتي :ما يهمك هو الاتكال، بكل منطوياته، وهو أمر واقع. ثم هناك واقعة أعمق، هي الوحشة، ذلك الشعور بالعزلة. فحين نشعر بالوحشة، نتعلق بالناس، بالشراب، وبسائر أنواع المهارب الأخرى. التعلق مهرب من الوحشة. فهل يمكن لهذه الوحشة أن تُفهم، وهل يمكن للمرء أن يكتشف بنفسه ما يتعداها؟ هذه هي المسألة الحقيقية، لا ما يجب فعله بخصوص التعلق بالناس أو بالبيئة. هل يمكن تجاوُز هذا الإحساس العميق بالوحشة، بالفراغ؟ إن أية حركة بإطلاق بعيدًا عن الوحشة تعزز الوحشة، وبذلك تزداد الحاجة إلى الإفلات منها أكثر من ذي قبل. وهذا يعلِّل التعلق الذي يجلب مشكلاته الخاصة. إن مشكلات التعلق تشغل الذهن إلى حدٍّ أن الوحشة تغيب عن نظره فيستخف بها. بذا نستخف بالسبب وننشغل بالنتيجة. لكن الوحشة فاعلة طوال الوقت لأنه لا فرق بين السبب والنتيجة .هناك فقط *ما هو*؛ وهو لا يصير سببًا إلا حين يبتعد عن ذاته. لذا فمن المهم فهمُ أن هذه الحركة بعيدًا عن ذاته هي ذاته، ومن ثَمَّ فهي نتيجته .لا يوجد، بالتالي، سبب ولا نتيجة بتاتًا، لا حركة إلى أي مكان بتاتًا، بل فقط *ما هو* .أنت لا ترى *الما هو* لأنك تتشبث بالنتيجة. هناك وحشة، والحركة الظاهرة بعيدًا عن هذه الوحشة نحو التعلق؛ ثم يصير هذا التعلق، بكل منطوياته، من الأهمية، من السيطرة، بحيث يحول بين المرء وبين النظر إلى *ما هو* .والحركة بعيدًا عن *الما هو* هي الخوف، ونحن نحاول أن نصرفَه بمهرب آخر. هذه حركة مستديمة، تظهر وكأنها تبتعد عن *ما هو*، لكنْ فعليًّا ليس هناك حركة بتاتًا. وإذن فوحده ذهنٌ يرى *ما هو* ولا يتحرك بعيدًا عنه في أي اتجاه ذهنٌ متحرر من *الما هو* .وبما أن سلسلة السبب والنتيجة هذه هي فعل الوحشة، فمن الواضح أن الإنهاء الوحيد للوحشة هو إنهاء هذا الفعل.

السائل :سوف يتعين عليَّ أن أتمعن في هذا تمعنًا عميقًا جدًّا جدًّا.

كريشنامورتي :ولكنْ هذا أيضًا يمكن له أن يصير انشغالاً يصير بدوره مهربًا. إذا رأيت هذا كله في وضوح تام فرؤيتك أشبه بطيران النسر الذي لا يترك أثرًا في الجو.

6

السائل :جئتك لأكتشف لماذا يوجد انقسام، فصل، بين ذات المرء وبين كل شيء آخر، وحتى بين زوجة المرء وأولاده وبينه. حيثما يذهب المرء يجد هذا الفصل، ليس في ذاته وحسب، بل وفي كل واحد آخر. الناس يسرفون في الكلام على الوحدة والإخاء، لكني أتساءل إنْ كان من الممكن أصلاً التحرر حقًّا من هذا الانقسام، من هذا الفصل الموجع. بوسعي، عقليًّا، أن أدعي أنه لا يوجد فصل حقيقي؛ أستطيع أن أعلل لنفسي أسباب هذه الانقسامات، – ليس بين الإنسان والإنسان وحسب، بل وبين النظريات ومذاهب اللاهوت والحكومات، – لكني أعرف، فعليًّا في نفسي، أن هناك هذا الانقسام الذي لا يُحَلُّ، هذه الهوة الواسعة التي تفصلني عن الآخر. أشعر دومًا بأني واقف على هذه الضفة وبأن الآخرين جميعًا واقفون على الضفة الأخرى، وبأن هناك هذه المياه العميقة الفاصلة بيننا. وتلك هي مشكلتي: لماذا توجد هوة الفصل هذه؟

كريشنامورتي :لقد نسيتَ أن تذكر الفرق، التناقض، الهوة، بين الفكرة الواحدة والأخرى، بين الشعور الواحد والآخر، التناقض بين الأفعال، الانقسام بين الحياة والموت، دهليز الأضداد الذي لا ينتهي. وبعد تقرير هذا كلِّه، يكون سؤالنا: لماذا يوجد هذا الانقسام، هذه الشقة بين *ما هو* وبين ما كان أو ما يجب أن يكون؟ نحن نسأل لماذا عاش الإنسان في هذه الحالة الثنوية، لماذا فتَّتَ الحياة إلى قطع متنوعة؟ وهل نحن نسأل لنجد السبب، أم أننا نحاول أن نتخطى السبب والنتيجة معًا؟ هل هي عملية تحليلية أم هو إدراك، فهمٌ لحالة ذهنية لا يعود فيها الانقسام موجودًا؟ حتى نفهم حالة ذهنية كهذه، لا بدَّ لنا من النظر إلى بداية الفكر. علينا أن نعي الفكر وهو ينشأ، كما يجب أن نعي منشأه أيضًا. الفكر ينشأ من الماضي. الماضي هو الفكر. وحين نقول إننا يجب أن نعي الفكر وهو ينشأ، نعني أننا يجب أن نعي *المعنى الفعلي* للفكر، لا مجرد واقعة حدوث التفكير. إن معنى الفكر هو الماضي. ليس هناك فكر مجرد من معناه. الفكرة أشبه بخيط في قطعة قماش. لكن أغلبنا غير واعين للقماش كله – وهو الذهن ككل –، فنحاول أن نسيطر على معنى خيط واحد – وهو فكرة –، أن نشكِّله، أو نفهمه. علامَ يقوم نسيج الأفكار ككل؟ هل يقوم على جوهر ما؟ وإذا صحَّ ذلك، ما هو ذاك الجوهر؟ هل يقوم على فكر أعمق أم لا يقوم على شيء بتاتًا؟ وما خامة هذا النسيج؟

السائل :أنت تكثر من طرح الأسئلة. لم يخطر ببالي شيء من هذا من قبل، لذا عليَّ أن أتأنى نوعًا ما.

كريشنامورتي :هل الفكر هو سبب كل تقسيم، سبب كل تجزئة في الحياة؟ ممَّ الفكر مصنوع؟ ما هو جوهر قطع الخيوط تلك المنسوجة في ذلك القماش المركَّب الذي نسميه الذهن؟ الفكر مادة، وهو على الأرجح قابل للقياس. وهو حصيلة الذاكرة المتراكمة – وهي مادة – المختزَنة في المخ. يستمد الفكر أصله من الماضي، القريب أو البعيد. فهل يقدر المرء أن يعي الفكر وهو ينشأ من الماضي، من ذكريات الماضي، أفعال الماضي؟ وهل يقدر المرء أن يعي فيما يتعدى الماضي، وراء جدار الماضي؟ وهذا لا يعني التوغل رجوعًا في الزمن، بل يعني المساحة التي لم يمْسَسْها الزمن أو الذاكرة. فإلى أن نكتشف هذا، لا يمكن للذهن أن يرى ذاته بلغة أي شيء آخر غير الفكر، وهو الزمن. أنت لا تستطيع أن تنظر إلى الفكر بالفكر، ولا تستطيع أن تنظر إلى الزمن بالزمن. ومنه فإن كل ما يفعله الفكر، أو كل ما ينفيه، لا يزال ضمن حدوده القابلة للقياس.

للإجابة عن جميع الأسئلة التي طرحنا، لا بدَّ لنا من طرح سؤال إضافي: ما هو المفكر؟ هل المفكر منفصل عن الفكر؟ هل المختبر مختلف عن الشيء الذي يختبره؟ هل الراصد مختلف عن الشيء الذي يرصده؟ إذا كان الراصد مختلفًا عن الشيء الذي يرصده، عندئذ سيكون هناك دومًا انقسام، فصل، ومن ثَمَّ نزاع. فحتى نتخطى هذه الشقة، علينا أن نفهم ماهية

الراصد. من الواضح أنه هو الذي يفتعل هذا الانقسام. أنت، مَن يرصد، مفتعل هذا الانقسام، سواء كان بينك وبين زوجتك، أو الشجرة، أو أي شيء آخر.

والآن، ما هو هذا الراصد، أو المفكر، أو المختبر؟ الراصد هو الكيان الحي الذي لا يكف عن الحركة، الذي يعي الأشياء، ويعي وجوده هو .وهذا الوجود الذي يعيه هو علاقته بالأشياء، بالناس، وبالأفكار. هذا الراصد هو آلية الفكر برمتها، وهو الرصد أيضًا، وهو جهاز عصبي والإدراك الحسي أيضًا. الراصد هو اسم الراصد، إشراطه، وهو العلاقة بين ذلك الإشراط وبين الحياة. هذا كله هو الراصد. وهو فكرته عن نفسه أيضًا – وهي صورة مبنية هي الأخرى من الإشراط، من الماضي، من التراث. الراصد يفكر ويعمل. وعمله يتم دومًا وفقًا لصورته عن نفسه ولصورته عن العالم. وعمل الراصد هذا، في العلاقة، يولِّد الانقسام. هذا العمل هو العلاقة الوحيدة التي نعرفها. وهذا العمل ليس منفصلاً عن الراصد، بل هو الراصد بالذات. إن الراصد هو الذي يتحدث عن العالم وعن نفسه في العلاقة، فيخفق في رؤية أن علاقته هي عمله هو، ومن ثَمَّ هي هو بالذات. ومنه فإن سبب الانقسام كله هو عمل الراصد. الراصد نفسه هو العمل الذي يقسم الحياة إلى الشيء المرصود وإليه هو [الراصد] كشيء منفصل عن المرصود. هو ذا السبب الأساسي للانقسام، ومنه النزاع.

الانقسام في حياتنا هو بنية الفكر، التي هي عمل الراصد الذي يظن نفسه منفصلاً. وهو، إلى ذلك، يفكر في نفسه بوصفه المفكر، بوصفه شيئًا مختلفًا عن فكره. لكنْ ليس من الممكن لفكر أن يوجد من غير المفكر، ولا لمفكر أن يوجد من غير الفكر – وإذن فالاثنان في الواقع واحد. وهو المختبر أيضًا، وهو كذلك يفصل نفسه عن الشيء الذي يختبره. الراصد، المفكر، المختبر، ليسوا مختلفين عن المرصود، الفكر، المختبَر. وهذا ليس استنتاجًا لفظيًّا. فلو كان استنتاجًا، فهو عندئذ فكرة أخرى تصنع الانقسام مرة أخرى بين الاستنتاج وبين العمل الذي يُفترَض فيه أن يتبع ذلك الاستنتاج. حين يرى الذهن واقعية هذا الأمر، فإن الانقسام لا يمكن له أن يستمر بعدُ. هذا هو مدلول كلامنا كلِّه. كل نزاع فهو العراك بين الراصد والمرصود. وهذا أعظم شيء متاح فهمه .*الآن* فقط يمكن لنا أن نجيب عن أسئلتنا؛ *الآن* فقط نقدر أن نتخطى جدار الزمن والذاكرة – وهي الفكر – لأنه فقط *الآن* يمكن للفكر أن ينتهي؛ إذ إنه *الآن* فقط يعجز الفكر عن توليد الانقسام. أما الفكر الذي يقدر أن يعمل من أجل التواصل، الفعل، العمل، فهو نوع آخر من الفكر لا يولد الانقسام في العلاقة .الاستقامة هي الحياة من غير العمل الفاصل للراصد.

السائل :فما هو إذن، أين هو إذن ذلك الشيء الذي يوجد به نسيج الفكر؟

كريشنامورتي :إنه ذلك الشيء الذي ليس من عمل الراصد. وإدراك هذه الحقيقة هو محبة عظيمة. وهذا الإدراك ممكن فقط حين تفهم أن *الراصد ذاته هو المرصود* –وذلك هو التأمل.

7

السائل :أنا في نزاع حول أمور كثيرة جدًّا، لا على صعيد الخارج وحسب، بل وعلى صعيد الداخل أيضًا. بوسعي نوعًا ما أن أتعامل مع النزاعات الخارجية، لكني أريد أن أعرف كيف أقدر أن أنهي النزاع، تلك المعركة المتواصلة في نفسي معظم الوقت. أريد أن أنتهي منه. أريد، بطريقة أو بأخرى، أن أتحرر من هذا العراك كله. فماذا ينبغي لي أن أفعل؟ يبدو لي أحيانًا أن النزاع أمر محتوم: إذ إني أراه في الصراع على البقاء، حيث الكبير يقتات بالصغير، والعقل الكبير يسيطر على العقول الأصغر، والمعتقدات يقهر بعضها بعضًا ويحلُّ محلَّه، والأمم يحكم بعضها بعضًا، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية. أرى هذا وأقبله، لكنه بطريقة ما لا يبدو صوابًا؛ لا يبدو أنه يتصف بأي خاصية محبة، وأشعر أني إذا استطعت أن أنهي

هذا العراك في نفسي فقد تنجم المحبة عن هذا الإنهاء. لكني في ريبة شديدة، في لبس شديد من الأمر كله. جميع المعلمين الكبار قالوا بأن على المرء أن يجاهد، بأن الطريق إلى إيجاد الحقيقة، أو الله، يمرُّ عبر الانضباط والسيطرة والتضحية. وهذه المعركة، بشكل أو بآخر، يُضفى عليها التقديس. وها أنت ذا تقول بأن النزاع هو جذر الفوضى بعينه. فكيف لي أن أعرف ما هي حقيقة النزاع؟

كريشنامورتي :النزاع، أيًّا كان شكله، يشوِّه الذهن. هذه واقعة، وليست رأيًا أو حُكمًا ما يُطلَق من غير تروٍّ. إن أي نزاع بين شخصين يحول دون تفاهُمهما. فالنزاع يحول دون الإدراك. لذا فإن فهم *الماهو* هو وحده الشيء المهم، لا صياغة ما يجب أن يكون. وهذا التقسيم بين *ماهو* وبين ما يجب أن يكون هو أصل النزاع. كذلك فإن الفاصلة بين الفكرة والعمل تولد النزاع هي الأخرى. الواقعة والصورة شيئان مختلفان. والسعي وراء الصورة يقود إلى جميع أشكال النزاع والوهم والنفاق، بينما فهم *الماهو* –وهو الشيء الوحيد الذي في حوزتنا حقًّا – يقود إلى حالة ذهنية مختلفة تمامًا.

الدوافع المتناقضة تسبِّب النزاع؛ معارضة الإرادة الواحدة لشكل آخر من أشكال الرغبة هي نزاع. معارضة ذاكرة ما كان *للماهو* هي نزاع – وهذا هو الزمن. الصيرورة، الإنجاز، نزاع – وهذا هو الزمن .المحاكاة، الامتثال، الطاعة، اتخاذ نذر، الندم، الكبت – هذا كله يجلب النزاع بدرجات متفاوتة. إن بنية المخ نفسها، التي تطلب الأمن، الأمان، التي تتنبَّه للخطر، هي مصدر النزاع. لا يوجد شيء اسمه "أمن" أو "ديمومة". ومنه فإن كياننا برمَّته، علاقاتنا، نشاطاتنا، أفكارنا، أسلوب حياتنا، كلها مولد للصراع، للنزاع، للعراك. وها أنت ذا تسألني كيف يمكن لهذا أن ينتهي .القديس والراهب و*السنياسي*]الزاهد الجوال[يحاولون التهرب من النزاع، لكنهم لا يزالون في النزاع. إن كل علاقة، كما نعلم، هي نزاع – نزاع بين الصورة والواقع. ليست هناك علاقة بين شخصين، ولا حتى بين الصورتين اللتين يشكِّلانهما كلٌّ عن الآخر. يعيش كلٌّ منهما في عزلته، والعلاقة عبارة عن مجرد نظر من فوق الجدار. وإذن، فأينما نظر المرء، سواء نظر نظرة سطحية أو نظرة عميقة جدًّا، وَجَدَ عذاب العراك والوجع هذا. إن حقل الذهن برمته، في أشواقه، في رغبته في التغير، في قبوله *ماهو* وفي إرادته تخطِّيه، هو في حدِّ ذاته نزاع. ومنه فإن الذهن نفسه نزاع، الفكر نزاع؛ وحين يقول الفكر: "لن أفكر"، فهذا أيضًا نزاع. كل نشاط من نشاطات الذهن والمشاعر – وهي جزء من الذهن – نزاع. وحين تسأل كيف تقدر أن تنهي النزاع فأنت تسأل حقًّا كيف تقدر أن تنهي التفكير، كيف يمكن لذهنك أن يتخدر ليهدأ؟

السائل :لكني لا أريد ذهنًا مخدَّرًا، غبيًّا. أريده أن يكون عالي النشاط، مفعمًا بالطاقة، شغوفًا. فهل يتعين عليه أن يكون إما مخدَّرًا وإما في نزاع؟

كريشنامورتي :تريده أن يكون نشيطًا، مفعمًا بالطاقة، شغوفًا، وتريد مع ذلك أن تنهي النزاع؟

السائل :بالضبط، فحين يوجد نزاع فإنه لا يكون نشيطًا ولا شغوفًا. حين يوجد نزاع، فكأن الذهن يتأذى من جراء نشاطه ويفقد حساسيته.

كريشنامورتي :وإذن فقد صار واضحًا أن النزاع يدمر الشغف والطاقة والحساسية.

السائل :لا حاجة لك إلى إقناعي. فأنا *أعرف* ذلك، لكنه لا يمضي بي شوطًا أبعد.

كريشنامورتي :ماذا تعني بـ"المعرفة"؟

السائل :أعني أن حقيقة ما قلتَ بيِّنة. لكن هذا لا يمضي بالمرء شوطًا أبعد.

كريشنامورتي :هل تدرك حقيقة الأمر، أم تراك تدرك بنيته اللفظية فقط؟ أتدرك الواقعة الفعلية أم التفسير؟ لا بدَّ لنا من أن نكون واضحين للغاية بخصوص هذا الأمر، لأن التفسير ليس الواقعة، الوصف ليس الموصوف؛ وحين تقول "أعرف" قد يكون أنك لا تدرك إلا الوصف.

السائل :لا.

كريشنامورتي :رجاءً، لا تكن بهذا التسرع ونفاد الصبر! إذا لم يكن الوصف هو الموصوف، ليس هناك عندئذ غير *الموصوف* .والموصوف هو واقعة أن الشغف والحساسية والطاقة تضيع حين يوجد نزاع .والنزاع هو كلِّية التفكير والشعور، وهي الذهن برمته. الذهن كله عبارة عن ملذوذات ومكروهات، أحكام، تحامُل، إدانة، تبريرات، وهكذا. وواحد من نشاطات الذهن المهمة جدًّا هو الوصف، الذي يوقع الذهنَ في شِراكه: الذهن يرى وصفَه ويقع في شِراكه، فيظن أنه يرى الواقعة، بينما هو في الواقع محتجَز في نطاق حركته هو. وإذن، أين نحن الآن، حين لا يوجد إلا *ماهو* وليس الوصف؟

السائل :كنت تقول إن هناك النزاع، وهو أعمال الذهن كلها؛ وهذا النزاع يدمر حساسية الذهن نفسه وطاقته وشغفه. وبذا يتبلَّد الذهن بالنزاع، بالعمل ضد نفسه.

كريشنامورتي :فسؤالك إذن يصبح: كيف يقدر الذهن أن يكف عن العمل ضد نفسه؟

السائل :نعم.

كريشنامورتي :هل هذا السؤال إدانة، تبرير، مهرب إضافي آخر، واحد آخر من نشاطات الذهن المقحَمة هذه التي تجعله يعمل ضد نفسه؟ إذا كان كذلك فهو إذن مولِّد للنزاع. هل هذا السؤال محاولة للتخلص من النزاع؟ إذا كان كذلك فهو المزيد من النزاع، وأنت باق إلى الأبد في هذه الحلقة المفرغة. ومنه فإن السؤال الصحيح ليس عن *كيفية* إنهاء النزاع، بل رؤية حقيقة أنه حيثما توجد الحساسية والشغف يغيب النزاع. هل ترى هذا؟

السائل :نعم.

كريشنامورتي :وإذن فلم يعد يهمُّك إنهاء النزاع؛ فهو سوف يذوي من تلقاء ذاته. لكنه لن يذوي أبدًا مادام الفكر يغذيه. فما يهم هو الشغف والحساسية، لا إنهاء النزاع.

السائل :أرى هذا، لكنه لا يعني أن عندي الشغف؛ لا يعني أنني أنهيت النزاع.

كريشنامورتي :إذا رأيت هذا حقًّا، فإن *فعل الرؤية* ذاك بالذات هو الشغف، الحساسية، الطاقة. وفي هذه الرؤية لا يوجد نزاع.

8

السائل :لقد غادرتُ العالم – عالم احتراف الكتابة الذي يخصني – لأني أردت أن أحيا حياة روحية .هجرت جميع شهواتي ومطامحي إلى الشهرة، مع أني كنت أملك الموهبة الضرورية، وجئتك آملاً أن أجد الأسمى وأحقِّقه. لقد مكثت تحت شجرة البَنْيان [تين البنگال] العظيمة هذه مدة خمس سنوات حتى الآن، وأجدني فجأة بليدًا، مستنزَفًا، مستوحِشًا في الداخل،

ونوعًا ما بائسًا. أستيقظ في الصباح لأجد أنني لم أحقق شيئًا بتاتًا، أنني كنت، ربما، في حال أفضل مني الآن قبل حوالى سنتين، يوم كان عندي بعدُ شيء من الحَميَّة الدينية القوية. والآن لم يبق عندي من الحمية شيء، وإذ ضحيت بأشياء العالم لأجل الله، أجدني عديم كليهما. أشعر كأني برتقالة معصورة. فما هو المُلام – التعاليم، أنت، بيئتك، –أم أنني عديم القدرة على هذا الأمر، أنني لم أجد الشرخ في الجدار الذي سيكشف عن السماء؟ أم أن الأمر ببساطة هو أن هذا المسعى كله، من أوله إلى آخره، محض سراب، وأنه كان من الخير لي لو أني لم أفكر في الدين أصلاً، بل تمسكت بالملموس، بالإنجازات اليومية لحياتي السابقة؟ أين الخطأ في ذلك، وماذا يتعيَّن علي أن أفعل الآن؟ هل أترك الأمر كله؟ وإذا فعلت فمن أجل ماذا؟

كريشنامورتي :هل تشعر أن حياتك تحت شجرة البَنْيان هذه، أو أية شجرة أخرى، تدمرك، تمنعك من الفهم، من الرؤية؟ هل هذه البيئة تدمرك؟ إذا غادرتَ هذا العالم وعدت إلى ما كنت تفعل قبلاً – عالم الكتابة وأشياء الحياة اليومية كلها – ألن تدمرك أشياءُ تلك الحياة وتبلِّدك وتعصرك حتى الجفاف هناك أيضًا؟ أنت ترى هذه السيرورة المدمرة تتواصل في كل مكان لدى الناس الذين يطلبون النجاح، مهما كانوا يفعلون، ولأي سبب كان؛ تراها في الطبيب، في السياسي، في العالِم، في الفنان. هل ينجو أي واحد في أي مكان من هذا التدمير أصلاً؟

السائل :نعم، أرى أن الجميع يُعصرون حتى الجفاف. قد يتمتعون بالشهرة وبالثراء، لكنهم إذا نظروا إلى أنفسهم نظرة موضوعية لا مناص لهم من الاعتراف بأنهم ليسوا بالفعل شيئًا أكثر من واجهة مبهرجة من الأعمال والكلمات والصيغ والمفاهيم والمواقف والتفاهات والآمال والمخاوف – وتحتها يوجد الفراغ والتشويش، الهرم ومرارة الفشل.

كريشنامورتي :وهل ترى أيضًا أن المتدينين الذين تخلوا زعمًا عن العالم لا يزالون حقًّا فيه لأن سلوكهم محكوم بالمطامح نفسها، بالدافع نفسه إلى الإنجاز، إلى الصيرورة، إلى التحقيق، إلى الوصول، إلى الإمساك والتمسُّك؟ أغراض هذا الدافع توصف بأنها "روحية"، فتبدو وكأنها مختلفة عن أغراض الدافع في العالم، لكنها ليست مختلفة بتاتًا لأن الدافع إليها هو الحركة نفسها بالضبط. هؤلاء المتدينون هم أيضًا سجناء الصيغ والمُثُل والخيال والآمال واليقينيات المبهمة، التي ليست إلا معتقدات وحسب، وهم أيضًا يشيخون ويصيرون قبيحين ومجوفين. وإذن فالعالم ألف الذي غادروه هو عينه العالم باء – عالم الحياة الروحية المزعومة – بالضبط: ألف هو باء، وباء هو ألف. ففي هذا العالم الروحي المزعوم أنت مدمَّر تمامًا مثلما كنتَ مدمَّرًا في العالم اليومي الآخر ذاك.

فهل تظن أن هذا المَوات، هذا الدمار، آتٍ من بيئتك أم من نفسك؟ هل هو آتٍ من غيرك أم منك؟ هل هو شيء يُفعَل بك أم هو شيء تفعله أنت؟

السائل :كنت أظن أن هذا المَوات، هذا الدمار، كان نتيجة بيئتي، لكنك وقد بيَّنت كيف أنه يحصل في البيئات كلها، في كل مكان، ويستمر حتى عندما تغيِّر البيئة من ألف إلى باء، أو رجوعًا من باء إلى ألف من جديد، أجدني بدأت أرى أن هذا الدمار ليس نتيجة البيئة. هذا المَوات تدميرٌ ذاتي. إنه شيء أفعله بنفسي. أنا الذي أفعله، أنا هو المسئول، وهو لا يمتُّ بصِلة إلى الناس ولا إلى البيئة.

كريشنامورتي :هذه أهم نقطة يجب إدراكها. هذا التدمير يأتي منك، ولا يأتي من أحد أو من شيء آخر، لا من بيئتك، لا من الناس، لا من الأحداث أو الظروف. أنت المسئول عن تدمير نفسك وعن بؤسك، عن وحشتك، عن أمزجتك، عن خوائك الفارغ. وعندما تدرك هذا تصير إما مريرًا وإما متبلد الحس بالأمر كله، مدعيًا بأن كل شيء على ما يرام؛ أو تصير

عصابيًّا، تتأرجح بين ألف وباء، حاسبًا أن هناك فرقًا ما بينهما؛ أو تراك تدمن الشراب أو المخدرات، كما فعل أناس كثيرون جدًّا.

السائل :أفهم هذا الآن.

كريشنامورتي :في تلك الحالة، سوف تهجر كل أمل في إيجاد حلٍّ بمجرد تغيير البيئة الخارجية لحياتك، بمجرد التغيير من باء رجوعًا إلى ألف، لأنك سوف تعلم أن ألف وباء متماثلان: ففي كليهما توجد الرغبة في الإنجاز، في الوصول، في الفوز باللذة القصوى، سواء في الاستنارة المزعومة، في الله، في الحقيقة، في الحب، في رصيد مصرفي ضخم، أو في أي شكل آخر من أشكال الأمان.

السائل :أرى هذا، ولكن ماذا يتعين علي أن أفعل؟ لا أزال أموت، لا أزال أدمر نفسي. أشعر بأني ممصوص حتى الجفاف، فارغ، عديم النفع. فقدت كل ما كان عندي ولم أكسب مقابله شيئًا.

كريشنامورتي :فأنت لم تفهم إذن! حين تشعر بذلك وتقوله، فأنت لا تزال تسلك الطريق نفسه الذي تكلمنا عليه، طريق الإنجاز الذاتي ذاك في أيٍّ من ألف أو باء. ذاك الطريق هو مقتل الذات، ذاك الطريق هو عامل المَوات. شعورك بأنك فقدت كل شيء ولم تكسب لقاءه شيئًا هو سلوكك ذاك الطريق؛ ذاك الطريق هو الدمار: الطريق بالذات هو غاية نفسه، وهي دمار الذات، الإحباط، الوحشة، عدم النضج. وإذن فإن السؤال الآن هو: هل أدرت ظهرك حقًّا لذاك الطريق؟

السائل :كيف لي أن أعلم إنْ كنت أدرت ظهري له أم لا؟

كريشنامورتي :أنت لا تعلم، لكنك إذا رأيت ماهية ذاك الطريق فعليًّا، لا نهايته وحسب، بل بدايته – وهي مثل نهايته –، إذ ذاك من المحال عليك أن تسلكه. قد يتفق لك، وأنت تعرف خطره، أن تشرد أحيانًا فيه في لحظة عدم انتباه، ثم تباغت نفسك فيه. لكن رؤية الطريق وإقفاره هي إنهاء ذاك الطريق – وذلك هو الفعل الأوحد .لا تقل: "أنا لا أفهم ذلك، يجب أن أفكر فيه، يجب أن أشتغل عليه، يجب أن أتمرن على الوعي، يجب أن أكتشف ماهية الانتباه، يجب أن أتأمل وأتعمق فيه"، بل تبيَّنْ أن كل حركة تحقُّق أو إنجاز أو اتكال في الحياة هي ذاك الطريق .إن رؤيتك هذا الأمر هي هجرٌ لذاك الطريق. حين ترى الخطر فإنك لا تُحدث لغطًا كثيرًا محاولاً أن تقرر ما يجب عليك فعلُه بخصوصه. إذا قلت، وأنت تواجه الخطر، "يجب أن أتأمل فيه، أن أعيه، أن أتعمق فيه، أن أفهمه"، فأنت هالك، وقد فات الأوان. وإذن فما يجب عليك فعلُه ببساطة هو *رؤية* هذا الطريق، ماهيته، إلى أين يؤدي، وما تشعر حياله، فتكون أصلاً سالكًا في اتجاه مختلف.

هذا ما نعنيه حين نتكلم على *الوعي* :نعني وعي الطريق وكل مغزى ذاك الطريق، وعي سائر الحركات المختلفة في الحياة التي توجد على الطريق نفسه. إذا حاولت أن ترى "الطريق الآخر" أو تسلكه فأنت لا تزال على الطريق القديم نفسه.

السائل :كيف أقدر أن أتيقن من أنني أرى ما يجب فعلُه؟

كريشنامورتي :لا تقدر أن ترى ما يجب فعلُه، بل تقدر أن ترى ما يجب عدم *فعله* فقط. فالنفي التام لذاك الطريق هو البداية الجديدة، الطريق الآخر. وهذا الطريق الآخر ليس على الخارطة، بل لا يمكن وضعه على أية خارطة أصلاً. كل خارطة فهي خارطة الطريق الخاطئ، الطريق القديم.

دور التربية

أتساءل فيما إذا سألنا أنفسنا يومًا عن معنى التربية .لماذا نذهب إلى المدرسة، لماذا نتعلم مواد متنوعة، لماذا نجتاز امتحانات ونتنافس فيما بيننا على درجات أفضل؟ ماذا تعني هذه التربية المزعومة، وما هو أساسها؟ هذه حقًّا مسألة هامة للغاية، ليس للطلاب وحسب، بل وللأهل والمدرسين أيضًا، ولكل مَن يحب هذه الأرض. لماذا نحتمل كل هذه المشقة في سبيل التعليم؟ هل نفعل لمجرد النجاح في بعض الامتحانات والحصول على وظيفة؟ أم أن دور التربية هو تأهيلنا، مادمنا في ريعان الصبا، لفهم سيرورة الحياة بأسرها؟ إن الحصول على وظيفة وكسب العيش أمر ضروري – ولكن هل ذلك كل شيء؟ هل نتربى من أجل ذلك فقط؟ الحياة ليست قطعًا مجرد وظيفة أو صنعة؛ الحياة شيء خارق الاتساع والعمق؛ إنها سرٌّ عظيم، مجال شاسع، نؤدي فيه دورنا كبشر .فإذا كنا نستعد لمجرد كسب العيش، سيفوتنا معنى الحياة ككل؛ وفهم الحياة أهم بكثير جدًّا من مجرد الاستعداد للامتحانات لنصير بارعين جدًّا في الرياضيات أو الفيزياء أو ما شئتم.

إذن، سواء كنا مدرسين أم طلابًا، أليس من المهم أن نسأل أنفسنا لماذا نربي الآخرين أو نتربى؟ وماذا تعني الحياة؟ أليست الحياة شيئًا خارقًا؟ الطيور، الأزهار، الأشجار المزدهرة، السماوات، النجوم، الأنهار وما تحويه من أسماك – هذه الأشياء كلها هي الحياة. والحياة هي الفقراء والأغنياء؛ الحياة هي المعارك المستمرة بين الجماعات والأجناس والأمم؛ الحياة هي التأمل؛ الحياة هي ما نسميه الدين، كما أنها تشمل أيضًا تلك الأشياء الدقيقة الخفية للذهن – الحسد، الطموح، الأهواء، المخاوف، الإنجازات، القلق. هذه كلها وأكثر منها بكثير هي الحياة. لكننا عمومًا نستعد لفهم زاوية واحدة صغيرة منها فقط. نجتاز بعض الامتحانات، فنجد وظيفة، ثم نتزوج، وننجب أطفالاً، ومن ثَمَّ نصير أكثر فأكثر أشبه بالآلات. نظل خائفين، قلقين، مرعوبين من الحياة. إذن، هل دور التربية أن تساعدنا على فهم سيرورة الحياة بأسرها، أم مجرد تأهيلنا على مهنة، على أفضل وظيفة يمكن لنا أن نحصل عليها؟

ماذا سيحدث لنا جميعًا عندما ننمو لنصير رجالاً ونساء؟ هل سألتم أنفسكم يومًا ماذا ستفعلون عندما تكبرون؟ على الأرجح ستتزوجون، وقبل أن تعرفوا أين أنتم، ستجدون أنفسكم آباءً وأمهات؛ وعندئذ ستتقيدون بوظيفة ما، أو بالمطبخ، حيث ستذوون تدريجيًّا. أهذا ما ستكون عليه حياتكم *أنتم*؟ هل سألتم أنفسكم يومًا هذا السؤال؟ ألا يجب عليكم أن تسألوه؟ إذا كانت أسرتك ثرية فقد تضمن لنفسك سلفًا منصبًا جيدًا نوعًا ما، أو قد يدبِّر لك أبوك وظيفة مريحة، أو قد تصاهر أسرة غنية؛ لكنك هناك أيضًا ستتعفن وتفسد .أتدركون ذلك؟

بالتأكيد، لا معنى للتربية بتاتًا ما لم تساعدكم على فهم مدى الحياة الشاسع، بكل دقائقها، بجمالها الخارق، بأحزانها وأفراحها. قد تنالون شهادات، وقد يكون اسمكم مسبوقًا بسلسلة من الألقاب، فتتصيدون وظيفة مرموقة – لكن ماذا بعد؟ ما فائدة هذا كله إذا صار ذهنكم من جراء ذلك بليدًا، خاملاً، غبيًّا؟ وإذن، ألا يجدر بكم، مادمتم في ريعان الصبا، أن تبحثوا لتكتشفوا ما هو جوهر الحياة؟ ثم أليس دور التربية الحقيقي أن ينمي فيكم الذكاء الذي سيحاول أن يجد الإجابة عن هذه المسائل كلها؟ هل تعلمون ما هو الذكاء؟ إنه قطعًا القدرة على التفكير الحر، من غير خوف، من غير صيغة جاهزة، بحيث تبدأ بالاكتشاف بنفسك ما هو حقيقي، ما هو صحيح؛ لكنك إذا كنت خائفًا فلن تكون ذكيًّا أبدًا. إن أي شكل من أشكال الطموح، روحانيًّا كان أم دنيويًّا، يولد القلق والخوف؛ لذا فإن الطموح لا يساعد على إيجاد ذهن واضح، بسيط، مباشر، ومن ثَمَّ ذكي.

حقًّا إنه من المهم للغاية، كما تعلمون، أن تحيوا، مادمتم في ريعان الصبا، في بيئة لا خوف فيها. فأغلبنا، كلما تقدم بنا العمر، نصير خائفين: نخاف من العيش، من فقدان الوظيفة، نخاف من التقاليد، نخاف مما قد يقوله الجيران أو الزوجة أو

الزوج، نخاف من الموت. أغلبنا لديه خوف بشكل ما أو بآخر؛ وحيثما يوجد الخوف لا يوجد ذكاء. أفليس من الممكن لنا جميعًا، مادمنا في ريعان الصبا، أن نكون في بيئة لا خوف فيها، بل بالأحرى في جوٍّ من الحرية – الحرية، لا مجرد حرية أن نفعل ما يحلو لنا، بل حرية فهم سيرورة الحياة بأسرها؟ الحياة حقًّا جميلة جدًّا، وهي ليست هذا الشيء القبيح الذي صنعناه نحن بها؛ ولا يمكن لك أن تقدِّر غناها، عمقها، فتنتها الخارقة، إلا عندما تثور على كل شيء – على الدين المنظم، على التقاليد، على المجتمع الحالي العفن – بحيث تكتشف بنفسك أنت، كإنسان، ما هو حقيقي. لا أن تُقلِّد، بل أن تكتشف –*تلك* هي التربية، أليست كذلك؟ من السهل جدًّا أن تمتثل لما يأمرك به مجتمعك أو والداك ومدرسوك. هذه طريقة آمنة وسهلة للعيش؛ لكن هذه ليست الحياة، لأن فيها خوف، تحلُّل، موت .الحياة هي أن تكتشف بنفسك ما هو حقيقي، وتراك لا تستطيع أن تفعل هذا إلا عندما توجد حرية، عندما توجد ثورة داخلية مستمرة، في داخلك.

لكنكم لا تشجَّعون على فعل هذا؛ لا أحد يقول لكم أن تتساءلوا، أن تكتشفوا بأنفسكم ما هو الله، لأنكم إذا اتفق لكم أن تتمردوا صرتم خطرًا على كل ما هو زائف. أهلكم والمجتمع يريدونكم أن تعيشوا عيشة آمنة، وأنتم أيضًا تريدون عيشة آمنة. والعيشة الآمنة تعني عمومًا أن تعيشوا مقلِّدين، ومن ثَمَّ في خوف. دور التربية قطعًا هو مساعدة كلٍّ منا أن يعيش في حرية ومن غير خوف، أليس هذا دورها؟ وإيجاد جوٍّ لا خوف فيه يتطلب قدرًا كبيرًا من التفكر من جانبكم، كما ومن جانب المعلم أو المربي.

أتعرفون ماذا يعني هذا – أي شيء خارق هو إيجاد جوٍّ لا خوف فيه؟ ويجب علينا أن نوجِد مثل هذا الجو، لأننا نرى أن العالم مشتبك في حروب لا تنتهي؛ إنه عالم يقوده رجال سياسة يسعون دومًا إلى النفوذ؛ إنه عالم من المحامين ورجال الشرطة والجنود، عالم من الرجال والنساء الطموحين، كلهم يطلب المنصب ويتقاتل للحصول عليه. ثم هناك القديسون المزعومون، الگورو]المعلمون[الدينيون مع أتباعهم؛ وهم أيضًا يطلبون النفوذ والمنصب، سواء في هذه الدنيا أو في الآخرة. إنه عالم مجنون، مشوش تمامًا، يحارب فيه الشيوعيُّ الرأسمالي، ويقاوم الاشتراكيُّ كليهما، وكل واحد يعادي أحدًا آخر، كادحًا للوصول إلى مكان آمن أو منصب نافذ أو رخاء. العالم تمزِّقه معتقدات متنازعة، تمييزات طائفية وطبقية، انقسامات قومية، وسائر أشكال الحماقة والقسوة – وهذا هو العالم الذي تُربَون على التكيف معه. إنكم تشجَّعون على التكيف ضمن إطار هذا المجتمع الكارثي؛ أهلكم يريدونكم أن تفعلوا ذلك، وأنتم أيضًا تريدون التكيف معه.

والآن، هل دور التربية هو مجرد مساعدتكم على الامتثال لقالب هذا النظام الاجتماعي العفن، أم هو منحكم الحرية – الحرية المطلقة لتنموا وتخلقوا مجتمعًا مختلفًا، عالمًا جديدًا؟ نحن نريد نيل هذه الحرية، ليس في المستقبل، بل *الآن* –وإلا فقد ندمَّر جميعًا. لا بدَّ لنا فورًا من إيجاد جوٍّ من الحرية، بحيث يمكن لكم أن تحيوا وتكتشفوا بأنفسكم ما هو حقيقي، بحيث تصبحون أذكياء، بحيث تستطيعون مواجهة العالم وفهمه، وليس مجرد الامتثال له، بحيث تكونون داخليًّا، عمقيًّا، نفسيًّا، في ثورة دائمة؛ لأن أولئك الثائرين دومًا وحدهم يكتشفون ما هو حقيقي، وليس المرء الذي يمتثل أو يتبع تقليدًا ما. فقط حين تكون دائم الاستفسار، دائم الرصد، دائم التعلم، تراك تجد الحقيقة أو الله أو المحبة؛ لكنك لا تستطيع الاستفسار والرصد والتعلم، لا تستطيع أن تكون واعيًا وعيًا عميقًا، إذا كنت خائفًا. لذا فإن دور التربية، قطعًا، هو استئصال الخوف – داخليًّا وخارجيًّا على حدٍّ سواء –، هذا الخوف الذي يدمِّر الفكر الإنساني والعلاقة الإنسانية والمحبة.

سؤال :إذا ثار جميع الأفراد، ألا ترى أن ذلك قد يؤدي إلى تفشي الفوضى في العالم؟

كريشنامورتي :أصغوا إلى السؤال أولاً، لأن من المهم جدًّا فهم السؤال، لا مجرد انتظار إجابة .السؤال هو: إذا ثار جميع الأفراد، ألا يؤدى ذلك إلى حدوث فوضى في العالم؟ ولكن هل نظام المجتمع الحالي كامل أصلاً بحيث تنجم الفوضى إذا ثار جميع الناس عليه؟ أليست هناك فوضى *الآن*؟ هل كل شيء جميل، غير فاسد؟ هل يعيش الجميع حياة سعيدة، ممتلئة،

غنية؟ أليس الإنسان معاديًا للإنسان؟ أليس هناك طموح وتنافُس لا يرحم؟ إذن فالعالم أصلاً في فوضى – ذلك أول شيء لا بدَّ من إدراكه. لا تأخذوا قضية أن هذا المجتمع مجتمع منظَّم كقضية مسلَّم بها؛ لا تنبهروا بالكلمات. فسواء هنا أو في أوروبا، في أمريكا أو في روسيا، العالم داخل في طور انحطاط. فإذا كنتم ترون هذا الانحطاط فأمامكم تحدٍّ :والتحدي أمامكم هو أن تجدوا طريقة لحلِّ هذه المشكلة العاجلة. وكيفية استجابتكم لهذا التحدي هامة، أليست كذلك؟ إذا استجبتَ للتحدي كهندوسي أو كبوذي، كمسيحي أو كشيوعي، تكون استجابتك عندئذ محدودة للغاية – وهي مثل عدمها. تستطيع الاستجابة استجابة تامة وملائمة فقط عندما لا يكون فيك خوف، فقط عندما لا تفكر كهندوسي، كشيوعي أو رأسمالي، بل كإنسان كلِّي يحاول أن يحل هذه المشكلة؛ وأنت لا تستطيع حلها ما لم تكن أنت نفسك في ثورة على الوضع كله، على الجشع الطَّموح الذي يقوم عليه هذا المجتمع. عندما تكون أنت نفسك غير طموح، غير جشع، وغير متمسك بأمانك الشخصي، عندئذ فقط تستطيع أن تستجيب للتحدي وتخلق عالمًا جديدًا.

سؤال :الثورة، التعلم، المحبة – هل هذه ثلاث سيرورات منفصلة أم أنها تتم في آنٍ واحد؟

كريشنامورتي :بالطبع ليست ثلاث سيرورات منفصلة؛ إنها سيرورة متكاملة. من المهم، كما ترون، اكتشاف ما يعنيه السؤال. هذا السؤال قائم على التنظير، لا على الخبرة؛ إنه مجرد سؤال لفظي، عقلي، ومن ثَمَّ فلا يصلح. إنسان لا يعرف الخوف، ثائر حقًّا، مجاهد لاكتشاف ما يعنيه التعلم والمحبة – إنسان كهذا لا يسأل إنْ كانت سيرورة واحدة أو ثلاث سيرورات. إننا حاذقون جدًّا في استعمال الكلمات، ونظن أننا بمجرد تقديم تفسيرات نكون قد حللنا المشكلة.

هل تعرفون ما يعنيه التعلم؟ عندما تتعلمون حقًّا، فأنتم تتعلمون طوال حياتكم، ولا يوجد أستاذ خاص بعينه تتعلمون منه. إذ ذاك تتعلمون من كل شيء – من ورقة شجر ميتة، من طائر يحلق، من رائحة، من دمعة، من الأغنياء والفقراء، من الباكين، من ابتسامة امرأة، من غطرسة رجل. إنكم تتعلمون من كل شيء، ومن ثَمَّ ليس هناك مرشد، ولا فيلسوف، ولا *گورو* [معلم روحي]. الحياة نفسها تغدو معلِّمكم، وأنتم في حال تعلُّم دائم.

سؤال :صحيح أن المجتمع الحالي قائم على الجشع والطموح؛ ولكن إذا لم يكن عندنا طموح ألن نضمحل؟

كريشنامورتي :هذا سؤال هام للغاية حقًّا، وهو يحتاج إلى انتباه كبير.

هل تعرفون ما هو الانتباه؟ فلنكتشف معًا. في غرفة الصف، حين تحدق خارج النافذة أو تشد شعر أحدهم، يأمرك المدرس أن تنتبه. ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنك لست مهتمًّا بما تدرس، فيرغمك المدرس على الانتباه – وهذا ليس انتباهًا بتاتًا. الانتباه يأتي عندما تكون مهتمًّا بشيء ما اهتمامًا عميقًا، لأنك عندئذ تحب اكتشاف كل شيء عنه؛ عندئذ يكون ذهنك كله، كيانك كله، حاضرًا. بالمثل، فإنك لحظة تدرك أن هذا السؤال – إذا انعدم طموحنا ألن نضمحل؟ – سؤال هام للغاية حقًّا، تراك تهتم وتريد اكتشاف حقيقة الأمر.

والآن، أليس الإنسان الطَّموح مدمرًا نفسه؟ ذلك أول شيء لا بدَّ من اكتشافه، وليس السؤال عما إذا كان الطموح صوابًا أم خطأ. أنظر حواليك، لاحظ جميع الناس الطموحين. ماذا يحدث عندما تكون طَموحًا؟ تفكِّر في نفسك فقط، أليس كذلك؟ تكون عديم الرأفة، تنحِّي غيرك من الناس لأنك تسعى في تحقيق طموحك، تسعى في أن تصير شخصًا مهمًّا، فتوجِد بذلك في المجتمع النزاع بين الناجحين وبين المتخلِّفين عن الركب، فتنشب معركة دائمة بينك وبين الآخرين الساعين هم أيضًا في الحصول على ما تريد. فهل هذا النزاع منتج لحياة مبدعة؟ هل تفهم، أم أن هذا أصعب من أن تفهمه؟

هل تكون طَموحًا حين تحب أن تفعل شيئًا من أجل ذاته؟ حين تفعل شيئًا بكيانك كله، لا لأنك تبتغي الوصول إلى منصب ما، ولا لتحقق مزيدًا من الربح، أو نتائج أعظم، بل ببساطة لأنك تحب أن تفعله – في ذلك، لا وجود للطموح، أليس كذلك؟ في ذلك، لا وجود للتنافس: فأنت لا تصارع أحدًا على المركز الأول. ألا ينبغي للتربية أن تساعدك على اكتشاف ما تحب حقًّا أن تفعله، بحيث إنك، من بداية حياتك إلى نهايتها، تعمل على شيء تشعر أنه يستحق العناء وله بنظرك مغزى عميق؟ – وإلا فستكون بائسًا بقية عمرك. فما لم تكن تعرف ما تريد فعله حقًّا، يسقط ذهنك في رتابة بحتة ليس فيها إلا الضجر والاضمحلال والموت. لذلك فمن المهم للغاية أن تكتشفوا، مادمتم في ريعان صباكم، ما هو الشيء الذي *تحبون* حقًّا أن تفعلوه؛ وهذا هو السبيل الأوحد إلى خلق مجتمع جديد.

سؤال :في الهند، كما في معظم البلدان الأخرى، تخضع التربية لرقابة الحكومة. فهل من الممكن، في ظل ظروف كهذه، تنفيذ تجربة من النوع الذي تصفه؟

كريشنامورتي :إذا لم تكن هناك مساعدة من الحكومة، ترى هل من الممكن لمدرسة من هذا النوع أن تنجو؟ ذاك ما يسأله هذا السيد. إنه يرى أن كل شيء في العالم بأسره يصير أكثر فأكثر خضوعًا لرقابة الحكومات، رجال السياسة، أو الناس من ذوي النفوذ الذين يريدون تشكيل أذهاننا وقلوبنا، يريدوننا أن نفكر بطريقة معينة. الميل السائد، سواء في روسيا أو في أي بلد آخر، هو نحو الرقابة الحكومية على التربية؛ وهذا السيد يسأل عما إذا كان ممكنًا لمدرسة من النوع الذي أتكلم عليه أن تنشأ من دون دعم حكومي.

الآن، ماذا تقول *أنت*؟ أتدري، إذا اعتقدتَ أن شيئًا ما مهم، أنه يستحق العناء حقًّا، فإنك ستنذر له قلبك، بصرف النظر عن الحكومات وأحكام المجتمع – وعندئذ سوف ينجح. لكن أغلبنا لا ينذرون قلوبهم لأي شيء، ولهذا نطرح هذا النوع من الأسئلة. إذا كنا – أنت وأنا – نشعر شعورًا حيويًّا أن عالمًا جديدًا يمكن له أن يوجد، عندما يكون كل واحد منا في حالة ثورة تامة، داخليًّا ونفسيًّا وروحيًّا، – إذ ذاك سننذر قلوبنا وأذهاننا وأجسامنا في سبيل إنشاء مدرسة ليس فيها شيء يسمَّى الخوف، بكل منطوياته.

سيدي، إن أي شيء ثوري حقًّا يخلقه قلة يرون ما هو حقيقي وينذرون أنفسهم للحياة وفقًا لتلك الحقيقة. لكن اكتشاف ما هو حقيقي يتطلب التحرر من التقليد، ما يعني التحرر من المخاوف كلها.

مشكلة الحرية

أود أن أناقش معكم مشكلة الحرية. إنها مشكلة معقدة للغاية، تحتاج إلى دراسة وفهم عميقين. إننا نسمع كلامًا كثيرًا يقال حول الحرية، الحرية الدينية وحرية فعل المرء ما يحلو له أن يفعل. لقد كتب البحاثة في هذا كله مجلدات ضخمة. لكني أظن أننا نستطيع مقاربة الموضوع مقاربة بسيطة جدًّا ومباشرة، ولعل ذلك سيوصلنا إلى الحل الحقيقي.

أتساءل فيما إذا توقفتم يومًا لرصد الوهج الرائع في الغرب عند غروب الشمس، وهلال القمر الخجول يطل من فوق الأشجار؟ في تلك الساعة غالبًا ما يكون النهر هادئًا جدًّا، فينعكس عندئذ كل شيء على سطحه :الجسر، القطار الذي يسير فوقه، القمر الحنون، وكما هي الحال الآن، مع اشتداد الظلمة، النجوم أيضًا. هذا كله جميل للغاية. ولرصد شيء جميل ومشاهدته وإعطاء انتباهك كاملاً إليه، لا بدَّ لذهنك من أن يكون خاليًا من الانشغالات، أليس كذلك؟ يجب على الذهن ألا يكون مشغولاً بمشكلات أو هموم أو تخمينات. إذ فقط حين يكون الذهن هادئًا للغاية تستطيع أن ترصد حقًّا، لأن الذهن يكون عندئذ حساسًا للجمال الخارق. ولعل هاهنا دليلاً إلى مشكلتنا مع الحرية.

والآن، ما معنى أن يكون المرء حرًّا؟ هل الحرية هي قضية أن تفعل ما يتفق له أن يلائمك، أن تذهب إلى حيث يحلو لك، أو أن تفكر فيما تشاء؟ هذا ما تفعلونه في كل الأحوال. مجرد الحصول على الاستقلال، هل يعني ذلك الحرية؟ أناس كثيرون في العالم مستقلون، لكنْ قليلون جدًّا أحرار .الحرية تقتضي ذكاءً عظيمًا، ألا تقتضيه؟ أن تكون حرًّا هو أن تكون ذكيًّا؛ لكن الذكاء لا يوجد بمجرد تمني الحرية، بل يوجد فقط عندما تبدأ بفهم بيئتك كلها، بفهم المؤثرات الاجتماعية والدينية وتأثيرات الأبوين والتقاليد التي تضيِّق عليك الخناق باستمرار. لكن فهم هذه المؤثرات المختلفة – تأثير أبويك، حكومتك، المجتمع، الثقافة التي تنتمي إليها، تأثير معتقداتك، آلهتك وخرافاتك، تأثير التقاليد التي ترضخ لها من دون تفكير – إن فهم هذه المؤثرات كلها والتحرر منها يتطلب نفاذ بصيرة عميق؛ لكنك في الغالب تستسلم لها لأنك داخليًّا مرعوب: تراك تخشى عدم الحصول على منصب جيد في الحياة؛ تخشى ما سوف يقوله رجل الدين؛ تخشى عدم اتِّباع التقليد وعدم فعل الصواب . لكن الحرية في الحقيقة حالة ذهنية لا خوف فيها ولا إكراه، ولا دافع إلى الشعور بالأمن.

ألا يريد أغلبنا أن يشعروا بالأمان؟ ألا نريد أن يقال لنا: كم نحن أناس رائعون، كم نبدو محبَّبين، أو أي ذكاء خارق هو ذكاؤنا؟ – فلولا ذلك لما وضعنا ألقابًا قبل أسمائنا. تلك الأشياء من هذا النوع تمنحنا ثقة بالنفس، إحساسًا بالأهمية. نريد جميعًا أن نكون أناسًا مشهورين – وبمجرد أن نريد أن *نكون* ذوي شأن لا نعود أحرارًا.

أرجوكم أن تدركوا هذا، لأنه الدليل الحقيقي إلى فهم مشكلة الحرية. فسواء في عالم رجال السياسة والنفوذ والمناصب والسلطة هذا، أو فيما يُسمى "العالم الروحي"، حيث تتشوق إلى اكتساب الفضيلة أو النبل أو القداسة، بمجرد أن تريد أن تكون شخصية مرموقة لا تعود حرًّا. لكن الرجل أو المرأة الذي يرى عبثية هذه الأشياء كلها ويكون قلبه بالتالي بريئًا، وبالتالي غير مدفوع بالرغبة في أن يصبح شخصية مرموقة – شخص كهذا إنسان حر .إذا فهمتم بساطة الأمر سوف تدركون أيضًا جماله وعمقه الخارقين.

وفي الحاصل، وُضعت الامتحانات لذاك الغرض بعينه: لمنحك منصبًا، لجعلك شخصية مرموقة. الألقاب والمناصب والمعرفة تشجعك أن تكون ذا شأن. ألم تلحظ أن أبويك ومدرسيك يقولون لك إنك يجب أن تحصِّل شيئًا ما في الحياة، إنك يجب أن تكون ناجحًا مثل عمك أو جدك؟ أو تراك تحاول أن تقتدي ببطل ما، أن تكون مثل السادة المعلِّمين أو القديسين؛

ومنه فأنت لست حرًّا أبدًا. فسواء حذوت حذو سيد معلِّم أو قديس أو مدرس أو أحد أقاربك، أم التزمْتَ تقليدًا معينًا، ينطوي هذا كله على طلب من جانبك بأن *تكون* ذا شأن؛ وفقط عندما تفهم هذا الأمر حق فهمه توجد الحرية.

دور التربية، إذن، هو مساعدتك منذ الطفولة على أن لا تقلد أحدًا، بل أن تكون نفسك طوال الوقت. وهذا شيء فعلُه صعب للغاية: سواء كنت قبيحًا أو جميلاً، سواء كنت حسودًا أو غيورًا، أن تكون ما أنت إياه دومًا – على أن *تفهمه* .أن تكون نفسك هو شيء صعب جدًّا، لأنك تظن أن ما أنت إياه خسيس، وأنك إذا استطعت وحسب أن تغيِّر ما أنت إياه إلى شيء نبيل سيكون هذا رائعًا؛ لكن ذلك لا يحدث أبدًا. في حين أنك إذا نظرت إلى ما أنت إياه فعليًّا، *وفهمته*، فإن في ذلك الفهم بعينه تحولاً جذريًّا .وإذن فالحرية لا تكمن في محاولتك أن تصير شيئًا مختلفًا، ولا في فعل كل ما يتفق لك أن تشتهي فعله، ولا في اتِّباع سلطة التقاليد أو أبويك أو معلِّمك الروحي]*گورو*[، بل في فهم ما أنت إياه من لحظة للحظة.

وكما ترى، أنت لا تربَّى لهذه الغاية: فتربيتك تشجعك أن تصير هذا الشيء أو ذاك – لكن ذلك ليس فهم نفسك. إن "نفسـ"ـك شيء معقد جدًّا؛ إنها ليست فقط الكيان الذي يذهب إلى المدرسة، يتشاجر، يلعب ألعابًا، يخاف، لكنها أيضًا شيء خفي، ليس ظاهرًا. إنها ليست مركَّبة من كل الأفكار التي تفكر فيها وحسب، ولكن أيضًا من كل الأشياء التي وضعها الآخرون والكتب والجرائد والقادة في ذهنك؛ ومن الممكن فهم ذلك كله فقط عندما لا تريد أن تصبح شخصية مرموقة، عندما لا تقلد، عندما لا تتبع أحدًا – ما يعني، حقًّا، عندما تكون متمردًا على التقليد برمته الذي يحثك على أن تصير ذا شأن. تلك هي الثورة الحقيقية الوحيدة التي تؤدي إلى حرية خارقة. إن تنمية هذه الحرية هي دور التربية الحقيقي.

آباؤكم ومدرسوكم ورغباتكم الخاصة يريدونكم أن تتماهوا مع هذا الشيء أو ذاك من أجل أن تكونوا سعداء، آمنين. لكنكم، لكي تكونوا أذكياء، ألا يجب عليكم أن تخترقوا كل المؤثرات التي تستعبدكم وتسحقكم؟

الأمل في عالم جديد يكمن في أولئك منكم الذين يبدؤون في رؤية ما هو زائف ويتمردون عليه، ليس لفظيًّا وحسب، بل فعليًّا. ولذلك عليكم أن تطلبوا التربية الصحيحة؛ لأنه فقط عندما تنمون في حرية تستطيعون أن تخلقوا عالمًا جديدًا ليس قائمًا على التقاليد ولا مشكَّلاً بحسب رغبة الفيلسوف الفلاني أو مزاجية مفكر مثالي ما. ولكن لا مجال للحرية مادمت تحاول فقط أن تصير شخصية مرموقة أو تقلد مثالاً نبيلاً.

سؤال :ما هو الذكاء؟

كريشنامورتي :فلنغُصْ في المسألة بتأنٍّ وصبر، ولنكتشف. الاكتشاف ليس التوصل إلى نتيجة .لا أدري إنْ كنتم تدركون الفرق. لحظة تتوصل إلى نتيجة حول ماهية الذكاء تكف عن كونك ذكيًّا. ذلك ما تفعله غالبية الناس الأكبر سنًّا: لقد توصلوا إلى نتائج، وبالتالي كفوا عن كونهم أذكياء. وإذن فقد اكتشفتم في الحال شيئًا واحدًا: وهو أن الذهن الذكي ذهن يتعلم تعلمًا مستمرًّا، ولا يستنتج أبدًا.

ما هو الذكاء؟ أغلب الناس يكتفون بتعريف بماهية الذكاء .فهم إما يقولون: "هذا تفسير جيد"، وإما يفضلون تفسيرهم الخاص؛ وذهنٌ يكتفي بتفسير ما ذهنٌ سطحي للغاية، وبالتالي ليس ذكيًّا.

لقد بدأتم تدركون أن ذهنًا ذكيًّا ذهن لا يكتفي بالتفسيرات، بالاستنتاجات؛ ولا هو ذهن يسلِّم بمعتقد ما، لأن الاعتقاد هو أيضًا شكل آخر من الاستنتاج. الذهن الذكي هو ذهن دائم التقصي، ذهن يراقب، يتعلم، يدرس. ما يعني ماذا؟ ما يعني أن الذكاء يوجد فقط عندما ينعدم الخوف، عندما تكون مستعدًّا للتمرد، لمعارضة البنية الاجتماعية برمتها، لكي تكتشف ما هو الله، أو لتكتشف حقيقة أي شيء.

الذكاء ليس المعرفة. فحتى لو استطعت أن تقرأ كتب العالم كلها لما أعطاك هذا ذكاء. الذكاء شيء حاذق للغاية، وليس له مكان يرسو فيه .إنه يوجد فقط عندما تفهم سيرورة الذهن بكلِّيتها – لا الذهن بحسب رأي فيلسوف أو معلم ما، بل ذهنك *أنت* .فذهنك نتاج للبشرية جمعاء، وحين تفهمه، لست بحاجة لأن تدرس كتابًا واحدًا حتى، لأن الذهن يشتمل على معرفة الماضي بأسرها. وإذن، يوجد الذكاء مع فهمك نفسَك؛ وتستطيع فهم نفسك فقط في علاقتك مع عالم الناس والأشياء والأفكار. الذكاء ليس شيئًا تستطيع اكتسابه، كالتعلم؛ إنه ينبثق مع التمرد العظيم، أي عندما ينعدم الخوف – ما يعني، حقًّا، عندما يكون هناك شعور بالمحبة. فحيثما ينعدم الخوف توجد المحبة.

إذا كنت مهتمًّا بالتفسيرات وحسب، أخشى أنك ستشعر بأني لم أجبْ عن سؤالك. فالسؤال عن ماهية الذكاء كالسؤال عن ماهية الحياة .الحياة هي الدراسة، اللعب، الجنس، العمل، الشجار، الحسد، الطموح، الحب، الجمال، الحقيقة – الحياة هي كل شيء، أليست كذلك؟ ولكن، كما ترى، فإن غالبيتنا ليس لديهم الصبر الجاد والدءوب لمتابعة هذا التقصي.

سؤال :هل يمكن للذهن الفج أن يصبح حساسًا؟

كريشنامورتي :أصغ إلى السؤال، إلى المعنى وراء الكلمات. هل يمكن لذهن فج أن يصير حساسًا؟ إذا قلت إن ذهني فج وأحاول أن أصير حساسًا، فالجهد لأصير حساسًا بحدِّ ذاته هو الفجاجة بعينها. أرجوك أن تدرك هذا. لا تتعجب، بل عاينْه! في حين أنني، إذا أدركتُ أنني فج من غير أن أريد التغير، من غير أن أحاول أن أصير حساسًا، إذا بدأت أفهم ماهية الفجاجة، ورصدتها في حياتي من يوم ليوم، –الطريقة النهمة التي آكل بها، الفظاظة التي أعامل بها الناس، الغرور، التكبر، خشونة عاداتي وأفكاري، – عندئذ فإن هذا الرصد بعينه يحوِّل *الما*هو جذريًّا.

بالمثل، إذا كنت غبيًّا وقلت في نفسي إن علي أن أصير ذكيًّا، فالجهد لأصير ذكيًّا هو مجرد شكل أعظم من أشكال الغباء؛ لأن المهم هو فهم الغباء. فمهما حاولت أن أصير ذكيًّا فإن غبائي سيبقى. قد أكتسب طلاء الثقافة السطحي، قد أتمكن من اقتباس الكتب أو ترديد مقاطع من كتَّاب عظام، لكني سوف أظل من حيث الأساس غبيًّا. لكني إذا رأيت الغباء وفهمته كما يعبِّر عن ذاته في حياتي اليومية، – كيف أتعامل مع خادمي، كيف أنظر إلى جاري، إلى الرجل الفقير، إلى الرجل الغني، إلى الموظف، – إذ ذاك فإن ذلك الوعي نفسه يجلب تحطيم الغباء.

جرِّب هذا بنفسك: راقب نفسك وأنت تكلم خادمك، لاحظ الاحترام البالغ الذي تُعامِل به مسؤولاً حكوميًّا وقلة الاحترام التي تبديها للرجل الذي ليس لديه شيء يعطيكه. عندئذ تبدأ باكتشاف مقدار غبائك؛ وفي فهم ذلك الغباء ذكاء، حساسية. لستَ مضطرًّا لأن *تصير* حساسًا. فالمرء الذي يحاول أن يكون ذا شأن امرؤ قبيح، غير حساس؛ إنه شخص فج.

سؤال :كيف يستطيع الطفل اكتشاف ما هو دون مساعدة أبويه ومدرِّسيه؟

كريشنامورتي :هل قلتُ إنه يستطيع، أم أن هذا تأويلك أنت لما قلتُ؟ سيكتشف الطفل أمورًا عن نفسه إذا كانت البيئة التي يحيا فيها تساعده على فعل ذلك. إذا كان الأبوان والمدرسون مهتمين حقًّا بأن يكتشف الشخص الفتي ما هو، لن يجبروه على شيء، بل سيوجِدون له بيئة يتوصل فيها إلى معرفة نفسه.

لقد سألتَ أنت هذا السؤال؛ لكن هل هي مشكلة حيوية بنظرك؟ لو كنت تشعر شعورًا عميقًا أن من المهم للطفل أن يكتشف أمورًا عن نفسه، وأنه لا يستطيع أن يفعل هذا مادامت تسيطر عليه سلطة ما، ألن تساعد في إيجاد البيئة الصحيحة؟ إنه مرة أخرى الموقف القديم إياه: قل لي ماذا أفعل وسأفعله. نحن لا نقول: "هيا نتشارك في حل الأمر معًا." مشكلة كيفية إيجاد بيئة يستطيع الطفل فيها تحصيل معرفة عن نفسه قضية تخص الجميع – الآباء والمدرسين والأطفال

أنفسهم. لكن معرفة الذات لا يمكن فرضُها، الفهم لا يمكن الإجبار عليه؛ وإذا كانت هذه مسألة حيوية بنظرك وبنظري، بنظر الآباء وبنظر المدرسين، فإننا معًا سوف ننشئ مدارس من النوع الصحيح.

سؤال :أخبرني الأطفال أنهم رأوا في القرى بعض الظواهر العجيبة، كالتلبُّس، وأنهم خائفون من الأشباح والأرواح وما شابه. وهم يسألون أيضًا عن الموت. فماذا ينبغي أن يقال في هذا كله؟

كريشنامورتي :في الوقت المناسب سنتقصى ماهية الموت. ولكن، كما ترون، الخوف شيء عجيب. لقد أخبركم، أيها الأطفال، آباؤكم وكبار السن عن الأشباح – ولولا ذلك على الأرجح لما رأيتم أشباحًا. لقد أخبركم أحدهم عن تلبُّس الأرواح. أنتم أصغر من أن تدروا بتلك الأمور. إنها ليست خبرتكم الشخصية، بل هي انعكاس لما أخبركم به الكبار. والكبار أنفسهم غالبًا ما لا يفقهون شيئًا عن هذه الأمور؛ لقد قرأوا عنها في بعض الكتب وحسب، ويظنون أنهم فهموها. وهذا يثير سؤالاً مختلفًا تمامًا: هل هناك خبرة لا يشوبها الماضي؟ إذا كانت الخبرة مشوبة بالماضي فهي مجرد استمرار للماضي، وبالتالي ليست خبرة أصيلة.

المهم هو أن على أولئك منكم الذين يتعاملون مع الأطفال ألا يفرضوا عليهم أضاليلهم، مفاهيمهم الشخصية عن الأشباح، أفكارهم وخبراتهم الخاصة. هذا شيء من الصعب تفاديه، لأن الكبار يطيلون الكلام على كل هذه الأمور غير الجوهرية التي لا أهمية لها في الحياة؛ وبذا يلقنون الأطفال تدريجيًّا قلقهم ومخاوفهم وخرافاتهم، وبالطبع يكرِّر الأطفال ما سمعوه. من المهم للكبار، الذين عمومًا لا يفقهون شيئًا عن هذه الأمور، ألا يتكلموا عنها أمام الأطفال، بل أن يساعدوا، بدلاً من ذلك، في إيجاد مناخ يستطيع فيه الأطفال أن ينموا في حرية وبلا خوف.

الحرية والمحبة

ربما لم يفهم بعضكم كل ما قلت حول الحرية كل الفهم؛ ولكن، كما سبق لي أن أشرت، من المهم جدًّا أن تكونوا عرضة لأفكار جديدة، لشيء لعلكم لم تتعوَّدوه. رؤية أشياء الحياة الجميلة أمر حسن، لكنكم يجب كذلك أن ترصدوا أشياءها القبيحة أيضًا، ينبغي لكم أن تكونوا متيقظين لكل شيء. بالمثل، ينبغي لكم أن تكونوا عرضة لأشياء لعلكم لا تفهمونها بعدُ تمام الفهم؛ فكلما تفكرتم في هذه الأمور التي قد تصعب عليكم نوعًا ما وتدبرتموها، زادت قدرتكم على عيش حياة غنية.

لا أدرى إنْ كان أحدكم قد لحظ، في الصباح الباكر، ضوء الشمس على سطح المياه: أية لطافة خارقة هي لطافته، وكيف تتراقص المياه الداكنة، ونجمة الصبح تطل من فوق الأشجار، تلك النجمة الوحيدة في السماء .أتراكم تلحظون أي شيء من ذلك أبدًا؟ أم أنكم من الانهماك، من الانشغال بروتينكم اليومي، بحيث إنكم تنسون، أو لم تعرفوا قط، كم هو غني جمال هذه الأرض؟ – هذه الأرض التي علينا أن نعيش عليها جميعًا. فسواء سمينا أنفسنا شيوعيين أم رأسماليين، هندوسًا أم بوذيين، مسلمين أم مسيحيين، سواء كنا عُميًا، عُرجًا، أم أصحاء وسعداء، فهذه الأرض لنا. هل تفهمون؟ إنها أرضنا، لا أرض سوانا؛ إنها ليست أرض الغني فقط، ولا هي ملك للحكام ذوي النفوذ أو لأشراف الإقطاعيين حصرًا، بل هي أرضنا جميعًا، أرضكم وأرضي. نحن نكرات، لكننا نحن أيضًا نعيش على هذه الأرض، وعلينا جميعًا أن نعيش سوية. إنها عالم الفقراء بقدر ما هي عالم الأغنياء، عالم الأميين وعالم المتعلمين على حدٍّ سواء؛ إنها *عالمنا*، وأرى أنه لفي غاية الأهمية أن نشعر بهذا وأن نحب الأرض، لا في بعض المناسبات وحسب، كأنْ نحبها في صباح رائق، بل طوال الوقت. ولا يمكن لنا أن نشعر بأنها عالمنا فنحبها إلا حين نفهم ماهية الحرية.

ليس هناك في الوقت الحاضر شيء يليق به اسمُ "حرية"؛ فنحن لا نعرف ما تعنيه الحرية. نود أن نكون أحرارًا، لكن جميع الناس، إذا لحظتم، – المدرس، الوالد، المحامي، الشرطي، الجندي، السياسي، رجل الأعمال، –يفعلون شيئًا ما، كلٌّ في زاويته الضيقة، للحيلولة دون تلك الحرية. الحرية ليست مجرد فعل ما يحلو لك، ولا هي القطيعة مع الظروف الخارجية التي تقيدك، بل فهم مشكلة الاتكال في كليتها. هل تدرون ما هو *الاتكال*؟ أنت متكل على أبويك، ألست كذلك؟ أنت تتكل على مدرِّسيك، تتكل على الطباخ، على ساعي البريد، على الرجل الذي يأتيك باللبن، وهكذا دواليك. ذاك النوع من الاتكال بوسع المرء أن يفهمه بسهولة إلى حدٍّ ما. لكن هناك نوعًا من الاتكال أعمق بكثير لا بدَّ للمرء من فهمه قبل أن يقدر أن يكون حرًّا: إنه اتكال المرء على سواه من أجل سعادته. هل تدري ما يعنيه اتكالك على أحدهم من أجل سعادتك؟ إن مجرد اتكالك المادي على سواك ليس هو ما يقيد بقدر ما هو اتكالك الداخلي، النفساني، الذي تستمد منه سعادة مزعومة؛ فحين تتكل على أحدهم بتلك الطريقة تصير عبدًا. إذا ظللت، وأنت تتقدم في العمر، متكلاً عاطفيًّا على أبويك، على الزوجة أو الزوج، على *گورو*]معلم روحي[، أو على فكرة ما، فبداية العبودية تكون موجودة سلفًا. نحن لا نفهم هذا – مع أن غالبيتنا، ولاسيما في ريعان الشباب، تتوق إلى الحرية.

لكي نكون أحرارًا لا بدَّ لنا من التمرد على صنوف الاتكال الداخلي كافة؛ وليس بوسعنا أن نتمرد إذا لم نفهم لماذا نحن متكلون .فما لم نفهم صنوف الاتكال الداخلي كلها، ونفلت منها حقًّا، لا نستطيع أن نكون أحرارًا أبدًا، لأن في ذلك الفهم وحده يمكن للحرية أن توجد. لكن الحرية ليست مجرد ردة فعل. هل تعرفون ما هي *ردة الفعل*؟ إذا قلت لك شيئًا جارحًا، إذا نعتُّك بصفة قبيحة فغضبت مني، فتلك ردة فعل – ردة فعل ناجمة عن الاتكال؛ والاستقلال هو الآخر مزيد من ردِّ الفعل. لكن الحرية ليست ردة فعل، وما لم نفهم ردة الفعل ونتجاوزها، لن نكون أحرارًا أبدًا.

هل تدري ما يعنيه أن تحب أحدهم؟ هل تدري معنى أن تحب شجرة، أو عصفورًا، أو حيوانًا أليفًا، بحيث تعتني به، تغذيه، ترعاه، مع أنه قد لا يعطيك شيئًا في المقابل، مع أنها قد لا تقدم لك الظل، مع أنه قد لا يتبعك، أو يتكل عليك؟ أغلبنا لا يحب على ذلك النحو، ونحن لا نعرف ما يعنيه ذلك بتاتًا لأن حبَّنا مطوَّق دومًا بالقلق، بالغيرة، بالخوف، – ما مضمونه أننا نتكل داخليًّا على سوانا، نريد أن نكون محبوبين. نحن لا نحب وحسب، ونكتفي بذلك، بل نطلب شيئًا لقاءه؛ وبمجرد أن نطلب نصير متكلين.

وإذن فالحرية والمحبة متلازمتان. المحبة ليست ردة فعل :إذا أحببتك لأنك تحبني فهي مجرد مقايضة، سلعة تُشترى في السوق؛ إنها ليست محبة. أن تحب هو أن لا تطلب شيئًا في المقابل، ولا أن تشعر حتى بأنك تعطي شيئًا – ووحدها محبة كهذه تستطيع أن تعرف الحرية. لكنكم، كما ترون، لا تربَّون على هذا: تعليمكم يقتصر على الرياضيات والكيمياء والجغرافيا والتاريخ فحسب، لأن شغل آبائكم الشاغل هو مساعدتكم على نيل وظيفة مناسبة وعلى إصابة النجاح في الحياة. وإذا اتفق لهم أن يكونوا من أصحاب المال فقد يرسلونكم إلى الخارج، لكن كل قصدهم، مثلهم كمثل باقي الناس في العالم، هو أن يوفروا لكم الغنى والحصول على مكانة محترمة على سلَّم المجتمع؛ وكلما أمعنتم في الصعود تسببتم في مزيد من البؤس للآخرين، لأن بلوغ تلك المكانة يضطركم إلى المنافسة، إلى عدم الشفقة. وهكذا يرسل الآباء أبناءهم إلى مدارس فيها الطموح والتنافس، لكنها تخلو تمامًا من المحبة؛ ولذلك فإن مجتمعًا كمجتمعنا يتدهور تدهورًا مستمرًّا، يعاني صراعًا دائمًا. ومع أن رجال السياسة والقضاة ونخبة القوم المزعومين يتكلمون على السلام، فإن كلامهم لا معنى له البتة.

و الآن، علينا، أنتم وأنا، أن نفهم مشكلة الحرية هذه في كلِّيتها. لا بدَّ لنا من أن نكتشف بأنفسنا ما تعنيه المحبة؛ لأننا ما لم نحب لن نستطيع أبدًا أن نكون مهتمين، منتبهين، لن نستطيع أبدًا أن نكون مبالين. هل تعرفون ما تعنيه *المبالاة*؟ كأنْ ترى حجرًا حادًّا على درب تطؤه أقدام حافية كثيرة فتزيله، لا لأن أحدهم طلب منك أن تفعل، بل لأنك تشعر بشعور سواك – لا همَّ مَن يكون، ولعلك لن تصادفه أبدًا؛ كأنْ تزرع شجرة وترعاها، تنظر إلى النهر وتستمتع بامتلاء الأرض، ترصد طائرًا يحلِّق وترى جمال طيرانه، تتصف بالحساسية وتكون منفتحًا على هذه الحركة الخارقة المسماة بالحياة – لحصول هذا كله لا بدَّ من الحرية؛ ولتكون حرًّا لا بدَّ لك من أن تحب. من دون محبة لا توجد حرية؛ من دون المحبة، تكون الحرية مجرد فكرة لا قيمة لها بتاتًا. وإذن، فوحدهم الذين يفهمون الاتكال الداخلي ويفلتون منه، ويعرفون، بالتالي، ما هي المحبة، – وحدهم هؤلاء بوسعهم أن يكونوا أحرارًا؛ وعلى أيديهم وحدهم سوف تقوم حضارة جديدة، عالم مختلف.

سؤال :ما أصل الرغبة، وكيف أقدر أن أتخلص منها؟

كريشنامورتي :إنه شاب يسأل السؤال – ولِمَ عليه له أن يتخلص من الرغبة أصلاً؟ أتفهمون؟ إنه لا يزال شابًّا، مفعمًا بالحياة، بالحيوية؛ فلِمَ عليه أن يتخلص من الرغبة؟ لقد قيل له إن التحرر من الرغبة من أعظم الفضائل، وإنه بالتحرر من الرغبة سيحقق الله أو ذلك الشيء الأسمى، مهما تكن تسميته؛ لذا تراه يسأل: "ما أصل الرغبة، وكيف يمكن لي أن أتخلص منها؟" لكن الدافع إلى التخلص من الرغبة بعينه لا يزال جزءًا من الرغبة، أليس كذلك؟ فالخوف في الواقع هو الذي يحض عليه.

ما هو أصل الرغبة، مصدرها، بدايتها؟ ترى شيئًا جذابًا، فتريده؛ ترى سيارة، أو قاربًا، فتريد امتلاكه؛ أو تراك تريد أن تبلغ منزلة رجل ثري، أو تصير *سنِّياسي*]ناسكًا زاهدًا[. هذا هو أصل الرغبة :الرؤية، التَّماس، ومنه ينشأ الإحساس، ومن الإحساس تتولد الرغبة. والآن، حالما تقر بأن الرغبة تجلب النزاع، تسأل: "كيف أقدر على التحرر من الرغبة؟ "وإذن فإن ما تريده حقًّا ليس التحرر من الرغبة، بل الخلاص من الهمِّ، القلق، الوجع الذي تسببه الرغبة. تراك تريد التحرر من ثمار الرغبة المُرَّة، لا من الرغبة ذاتها – وهذا شيء هام جدًّا لا مناص لك من فهمه .فلو أمكن لك أن تنتزع من الرغبة الوجع،

العذاب، الصراع، وسائر صنوف القلق والمخاوف المصاحبة لها، بحيث لا يبقى منها إلا اللذة، أتراك كنت تريد عندئذ أن تتحرر من الرغبة؟

مادامت باقيةً الرغبةُ في الكسب، في الإنجاز، في الصيرورة، على أي مستوى كانت، فهناك حتمًا القلق، الأسى، الخوف. فالطموح إلى الغنى، إلى أن نكون هذا أو ذاك، لا يتلاشى إلا عندما نرى نتانة الطموح ذاته وطبيعته المُفسدة. ولحظة نرى أن الرغبة في النفوذ، أيًّا كان شكله، –سواء كانت في نفوذ رئيس وزراء أو قاض أو كاهن أو گورو]معلم روحي[، –هي شر من حيث الأساس، تزول رغبتنا في أن نصير أصحاب نفوذ. لكننا لا نرى أن الطموح مُفسِد، أن الرغبة في النفوذ شريرة، بل نقول، على العكس، إننا سوف نستعمل النفوذ للخير – وهذا كله محض هراء. فالوسيلة الطالحة لا يمكن لها أن تُستعمل أبدًا لبلوغ غاية صالحة: إذا كانت الوسيلة شريرة فالغاية ستكون شريرة هي الأخرى. الخير ليس نقيض الشر؛ إنه يوجد فقط حين يبطل ما هو شرير تمامًا.

وإذن، إذا لم نفهم مدلول الرغبة بكلِّيته، بنتائجها وعواقبها، فإن مجرد محاولة التخلص من الرغبة لا معنى له.

سؤال :كيف نقدر أن نتحرر من الاتكال مادمنا نعيش في المجتمع؟

كريشنامورتي :هل تعلم ما هو المجتمع؟ المجتمع هو العلاقة بين الإنسان والإنسان، أليس كذلك؟ لا تعقِّد الأمر، لا تقتبس من كتب كثيرة؛ فكِّر فيه ببساطة شديدة، وسوف ترى أن المجتمع هو العلاقة بينك وبيني وبين الآخرين. العلاقة الإنسانية هي التي تصنع المجتمع؛ ومجتمعنا الحالي مبني على علاقة استحواذ، أليس كذلك؟ أغلبنا يريد المال، النفوذ، الأملاك، السلطة؛ على هذا المستوى أو ذاك، نريد المكانة والجاه، وبذا بنينا مجتمعًا استحواذيًّا. ومادمنا استحواذيين، مادمنا نريد مكانة وجاهًا ونفوذًا وما إلى ذلك، فإننا ننتمي إلى هذا المجتمع، وبالتالي، نتكل عليه. لكن المرء، إذا لم يكن يريد أيًّا من هذه الأشياء، وبقي ببساطة على ما هو عليه بتواضع عظيم، يكون عندئذ خارجه؛ إذ ذاك يتمرد المرء على المجتمع ويفلت منه.

التربية حاليًّا – لسوء الحظ – تهدف إلى جعلك تنصاع لهذا المجتمع الاستحواذي، تدخل في قالبه، وتتكيف معه. ذاك كل ما يشغل بال أبويك ومدرسيك وما تنص عليه كتبك. فمادمت تنصاع، مادمت طَموحًا، استحواذيًّا، تفسد الآخرين وتحطمهم في سعيك لتحصيل المكانة والنفوذ، فأنت تُعتبر مواطنًا "محترمًا". إنك تُربى على الدخول في قالب المجتمع؛ لكن ذلك ليس تربية، بل مجرد عملية تُشرطك على الانصياع لنموذج ما. لكن الدور الحقيقي للتربية ليس أن تحولك إلى موظف أو قاض أو رئيس وزراء، بل أن تساعدك على فهم بنيان هذا المجتمع العفن في كلِّيته وتتيح لك فسحة النمو في حرية، بحيث تفلت منه وتخلق مجتمعًا مختلفًا، عالمًا جديدًا. لا مناص من وجود مَن يتمردون، ليس تمردًا جزئيًّا، بل تمرد كلِّي على القديم البالي؛ فوحدهم أمثال هؤلاء الناس بوسعهم خلق عالم جديد – عالم لا يقوم على الاستحواذ، على النفوذ والجاه.

بوسعي أن أسمع كبار السن بينكم يقولون: "هذا ليس بالمستطاع أبدًا. فالطبيعة البشرية هي ما هي، وأنت تقول كلامًا فارغًا ".لكننا لم نفكر قط في إبطال إشراط الذهن الراشد، ولا في عدم إشراط الطفل .التربية قطعًا علاج ووقاية في آن معًا. أنتم، الطلاب الأكبر سنًّا، مُقَولَبون سلفًا، مشروطون سلفًا، طَموحون سلفًا؛ تراك تبتغي النجاح مثل أبيك، مثل الحاكم، أو أي واحد آخر. وإذن فدور التربية الحقيقي ليس مساعدتك على إبطال إشراطك وحسب، بل وعلى فهم سيرورة الحياة هذه من يوم ليوم في كلِّيتها، وذلك لكي تتمكن من النمو في حرية وتخلق عالمًا جديدًا – عالمًا يجب أن يكون مختلفًا كل الاختلاف عن العالم الحالي. لسوء الحظ، فإن آباءكم غير مهتمين لهذا، ولا أساتذتكم، ولا عموم الجمهور. لذا لا بدَّ للتربية من أن تكون سيرورة تربية للمربي وللطالب على حدٍّ سواء.

سؤال :لماذا يتعارك البشر؟

كريشنامورتي :لماذا يتعارك الصبية الصغار؟ أنت أيضًا تتعارك أحيانًا مع شقيقك، أو مع الصبية الآخرين هنا، ألا تفعل؟ لماذا؟ أنت تُعارك على لعبة. ربما أخذ صبي آخر كرتك، أو كتابك، ولهذا تُعارك. والراشدون يتعاركون للسبب نفسه بالضبط، إلا أن لعبتهم هي المكانة أو الغنى أو النفوذ. إذا كنت تريد النفوذ، وكنت أنا أيضًا أريد النفوذ، ترانا نتعارك، ولذلك تنشب الحروب بين الأمم. الأمر على هذا القدر من البساطة، إلا أن الفلاسفة والساسة ورجال الدين المزعومين يعقِّدونه. أتعرف، إنه لفنٌّ عظيم أن تتمتع بوفرة من المعرفة والخبرة، – أن تعرف غنى الحياة، جمال الوجود، الصراعات، البلايا، الضحك، الدموع، –وتحتفظ مع ذلك بذهنك بسيطًا للغاية؛ وليس بوسعك أن تتمتع بذهن بسيط إلا حين تعرف كيف تحب.

سؤال :ما هي الغيرة؟

كريشنامورتي :تتضمن الغيرة السخط على أنت عليه وحسد الآخرين، ألا تتضمنهما؟ عدم قناعتك بما أنت إياه هو بالذات بداية الحسد. تريد أن تكون مثل واحد آخر يفوقك معرفة أو جمالاً، أو عنده بيت أكبر، نفوذ أكثر، أو مكانة أفضل من مكانتك. أو لعلك تريد أن تكون أكثر فضيلة، تريد أن تعرف كيف تتأمل تأملاً أفضل، تريد أن تصل إلى الله، تريد أن تكون شيئًا مختلفًا عما أنت عليه؛ لذا تراك تحسد، تغار .إن فهمك ما أنت إياه أمر على قدر هائل من الصعوبة، لأنه يتطلب تحررًا تامًّا من كل رغبة في تغيير ما أنت إياه إلى شيء آخر. فالرغبة في تغيير نفسك تولد الحسد والغيرة؛ في حين أن فهمك ما أنت إياه يُحدث تحولاً في ما أنت إياه. ولكنْ، كما ترى، تربيتك كلها تحثك أن تحاول أن تكون مختلفًا عما أنت إياه. عندما تغار يقال لك: "لا تكن غيورًا، فالغيرة شيء فظيع." فتراك تجاهد كي لا تكون غيورًا؛ لكن تلك المجاهدة بعينها هي جزء من الغيرة، لأنك تريد أن تكون مختلفًا.

الوردة البديعة، كما تعلم، وردة بديعة؛ لكننا، نحن بني البشر، وُهبنا القدرة على التفكير، وترانا نسيء التفكير. معرفة *كيف* نفكر تتطلب قدرًا عظيمًا من النفاذ والفهم، لكن معرفة *ماذا* نفكر فيه سهلة بالمقارنة. تربيتنا الحالية تملي علينا *ماذا* نفكر فيه، لكنها لا تعلِّمنا *كيف* نفكر، كيف نتعمق، نستكشف؛ وفقط حين يعرف المدرس، ناهيك عن التلميذ، *كيف* يفكر، تكون المدرسة جديرة باسمها حقًّا.

سؤال :لماذا لا يرضيني شيء أبدًا؟

كريشنامورتي :طفلة صغيرة تسأل هذا السؤال، وأنا واثق من أنه لم يحضها على سؤاله أحد. إنها في ريعان عمرها، وتريد أن تعرف لماذا لا تشعر بالرضا أبدًا. فما قولكم، أيها الراشدون؟ هذا جنى أيديكم: لقد أوجدتم هذا العالم الذي تسأل فيه طفلة صغيرة لماذا لا يرضيها شيء أبدًا. يُفترَض فيكم أنكم مربون، لكنكم لا ترون مأساة هذا الأمر. إنكم تمارسون التأمل، لكنكم بليدون، منهكون، أموات في الداخل.

لماذا لا يرضى البشر أبدًا؟ أليس لأنهم يطلبون السعادة، ظانِّين أنهم، عبر التغيير الدائم، سيكونون سعداء؟ إنهم يتنقلون من عمل لآخر، من علاقة لأخرى، من ديانة أو إيديولوجيا لأخرى، ظنًّا منهم أنهم، عبر حركة التغيير الدائمة هذه، سوف يجدون السعادة – وإلا فإنهم يختارون بقعة حياة منعزلة وينتنون فيها. القناعة قطعًا شيء مختلف تمامًا. إنها توجد فقط حين ترى نفسك *كما أنت* من دون أية رغبة في التغير، من دون أية إدانة أو مقارنة، – الأمر الذي لا يعني أن تكتفي بتقبُّل ما ترى وتذهب للنوم. لكن الذهن، حين يكف عن المقارنة والحكم والتقييم، فيكون بالتالي قادرًا على رؤية *الماهو* من لحظة للحظة دون أن يريد تغييره – في ذلك الإدراك بالذات يوجد الأبدي.

سؤال :لماذا يجب علينا أن نقرأ؟

كريشنامورتي :لماذا يجب عليك أن تقرأ؟ أصغ بهدوء وحسب. أنت لا تسأل أبدًا لماذا يجب أن تلعب، لماذا يجب أن تأكل، لماذا يجب أن تنظر إلى النهر، لماذا فيك قسوة، – أم أنك تسأل؟ أنت لا تتمرد وتسأل لماذا يجب عليك أن تفعل شيئًا ما إلا عندما لا تستحب أن تفعله. لكن القراءة، اللعب، الضحك، القسوة، الطيبة، رؤية النهر، السحُب، – هذه كلها جزء من الحياة؛ وإذا كنت لا تجيد القراءة، إذا لم تكن تحسن المشي، إذا لم تكن قادرًا على تقدير جمال ورقة الشجر، فأنت لست حيًّا . لا بدَّ لك من فهم الحياة في كلِّيتها، لا مجرد جزء صغير واحد منها. لذلك يجب عليك أن تقرأ، لذلك يجب أن تنظر إلى السماوات، لذلك يجب أن تغني، وترقص، وتكتب القصائد، وتتألم، وتفهم، – فتلك كلها هي الحياة.

سؤال :ما هو الحياء؟

كريشنامورتي :ألا تشعر بالحياء حين تقابل شخصًا غريبًا؟ ألم تشعر بالحياء وأنت تسأل ذلك السؤال؟ أما كنت ستشعر بالحياء لو اضطررت إلى الجلوس على هذه المنصة، مثلي، وإلى مخاطبة جمهور؟ ألا تشعر بالحياء، ألا تشعر بشيء من الارتباك، فتود الوقوف ساكنًا، حين تقع عيناك فجأة على شجرة بديعة، أو زهرة رقيقة، أو عصفور جاثم على عشِّه؟ ألا ترى أنه أمر حسن أن تكون حَيِيًّا؟ لكن الحياء بنظر أغلبنا ينطوي على خجل بالنفس. عندما نقابل رجلاً مرموقًا – إنْ وُجد مثل هذا الشخص أصلاً – نصير خجلين بنفسنا. فترانا نفكر: "كم هو مهم، كم هو مشهور، وأنا نكرة!" وبذا نستحي، بمعنى أننا نخجل بنفسنا. لكن هناك نوعًا مختلفًا من الحياء، وهو أن يكون المرء لطيفًا حقًّا، حَيِيًّا؛ وفي ذلك ليس هناك أي خجل بالنفس.

تجديد الذهن

ذات صباح، منذ بضعة أيام، رأيت جثمانًا محمولاً في طريقه إلى المحرقة. كان ملفوفًا بقماش أرجواني زاه، يترنح على إيقاع الفانين الأربعة الذين يحملونه. تُرى ما نوع الانطباع الذي يتركه مشهد الجثمان فيك؟ ألا تتساءل لماذا يوجد التلف أصلاً؟ تراك تشتري محركًا جديدًا من الوكالة، وفي غضون بضع سنين يبلى. والبدن أيضًا يبلى؛ ولكن هل تُراك تستفسر أكثر قليلاً لتكتشف لماذا يتلف الذهن؟ الجسم ميت لا محالة، عاجلاً أو آجلاً، لكن أغلبنا أصحاب أذهان ميتة سلفًا؛ لقد جرى عليها التلف سلفًا – فلماذا يتلف الذهن؟ الجسم يتلف لأننا نستعمله دومًا، فيبلى الجهاز العضوي: المرض، الحوادث، الشيخوخة، الطعام الرديء، البنية الوراثية الضعيفة، – هذه هي العوامل التي تسبب تلف الجسم وموته. لكن لماذا يتعين على الذهن أن يتلف، يشيخ، يتثاقل، يتبلد؟

حين ترون جثمانًا، ألم تتساءلوا يومًا حول هذا الأمر؟ فمع أن أجسامنا فانية لا محالة، لماذا يتعين على الذهن أن يتلف أصلاً؟ ألم يخطر ببالكم هذا السؤال قط؟ إذ إن الذهن يتلف *فعلاً* –لا نرى الأمر عند كبار السن وحسب، بل عند الشباب أيضًا: نرى عند الشباب سلفًا كيف يصير الذهن متبلدًا، ثقيلاً، عديم الحساسية؛ ولو استطعنا معرفة سبب تلف الذهن لربما اكتشفنا عندئذ شيئًا لا يمسُّه الفناء حقًّا؛ وقد نفهم ما هي الحياة الأبدية، الحياة التي لا نهاية لها، الحياة التي لا تدخل في نطاق الزمن، الحياة التي لا تفسد ولا تتفسخ كالجثة التي تُحمل إلى الگَهَتْ]أرصفة مخصصة لحرق الجثث على ضفاف الگَنْگا[، فتُحرق ويُلقى بالبقايا في النهر.

والآن، لماذا يتلف الذهن؟ هل سبق لك أن تفكرت في الأمر يومًا؟ بما أنك في ريعان الصبا – على افتراض أن والديك والمجتمع والظروف لم تصيِّرك بليدًا سلفًا – فإن لديك ذهنًا نضرًا، متلهفًا، محبًّا للاستفسار .تراك تريد معرفة لماذا وُجدت النجوم، لماذا تموت الطيور، لماذا تتساقط أوراق الشجر، كيف تطير الطائرة النفاثة، – وما أكثر الأشياء التي تريد معرفتها! – لكن ذلك الدافع الحيوي إلى الاستقصاء، إلى الاكتشاف، سرعان ما يُخمَد، أليس كذلك؟ يُخمِده الخوف، عبء الموروث، عجزنا الشخصي عن مواجهة هذا الشيء الخارق الذي يسمى الحياة. ألم تلحظ بأية سرعة تتحطم لهفتك بكلمة جارحة، بإيماءة استخفاف، بالخوف من امتحان، أو بتهديد من أحد الوالدين؟ – ما معناه أن الحساسية تُنحَّى سلفًا والذهن يُصيَّر بليدًا.

والتقليد سبب آخر من أسباب البلادة. فالتراث يجعلك تقلِّد، عبء الماضي يدفعك إلى الانصياع، إلى التقيد بالقواعد؛ وعبر الانصياع، يشعر الذهن بالطمأنينة، بالأمان، فيستقر في أخدود جيد التشحيم بحيث يستطيع أن يجري جريانًا سلسًا من غير إزعاج، من غير أدنى رعشة شك .راقب الراشدين من حولك، وسوف ترى أن أذهانهم لا تريد أن يكدِّرها شيء؛ إنهم يريدون السلام، وإنْ يكن سلام الموت. لكن السلام الحقيقي شيء مختلف كل الاختلاف.

ألم تلحظوا أن الذهن، حين يستقر في أخدود، في قالب جاهز، مدفوع دومًا بالرغبة في الأمان؟ لذلك فإنه يتبع مثالاً، قدوة، *گورو*]معلمًا روحيًّا[. إنه يريد أن يكون مطمئنًّا، لا يكدِّره شيء، ولهذا يقلِّد. عندما تقرؤون في كتب تاريخكم عن قادة عظام، قديسين، محاربين، ألا تجدون أنفسكم راغبين في محاكاتهم؟ – لا بمعنى أنه لا يوجد في العالم أناس عظماء، لكننا نندفع بالغريزة إلى تقليد العظماء، فنحاول أن نتمثل بهم؛ وذلك عامل من عوامل التلف لأن الذهن عندئذ يضع نفسه في قالب.

وفوق ذلك، فإن المجتمع لا يريد أفرادًا أيقاظًا، متوقدين، ثوريين، لأن أمثال هؤلاء لن ينصاعوا للقالب الاجتماعي الموضوع، وقد يحطمونه. ولذلك فإن المجتمع يسعى في احتجاز ذهنك في قالبه، وتشجعك تربيتك المزعومة على التقليد، على الاتِّباع، على الانصياع.

والآن، هل بوسع الذهن أن يكف عن التقليد؟ بعبارة أخرى، هل بوسعه أن يكف عن تشكيل عادات؟ وهل بوسع الذهن، الواقع سلفًا في شَرَك العادة، أن يتحرر من العادة؟

الذهن هو نتاج العادة، أليس نتاجها؟ إنه نتاج الموروث، نتاج الزمن – الزمن بوصفه التكرار، بوصفه استمرارًا للماضي. فهل بوسع الذهن –ذهنك *أنت* –أن يتوقف عن التفكير بلغة ما كان، وبلغة ما سوف يكون، الذي هو حقًّا إسقاط لما كان؟ هل بوسع ذهنك أن يتحرر من العادات ومن ابتكار عادات؟ لو تعمقت متبحرًا في هذه المشكلة ستجد أن بوسعه ذلك؛ وعندما يتجدد الذهن من غير أن يشكل أنماطًا وعادات جديدة، من غير أن يقع مرة أخرى في أخدود التقليد، يبقى عندئذ نضرًا، فتيًّا، بريئًا، وبالتالي قادرًا على فهم لانهائي.

إن ذهنًا كهذا لا يعرف الموت لأنه لم تعد فيه سيرورة تراكُم. إن سيرورة التراكم هي التي تنشئ العادة، التقليد؛ والذهن الذي يُراكِم ذهن يتلف، يموت. لكن ذهنًا لا يُراكِم، لا يلملم، بل يموت كل يوم، كل دقيقة، – ذهنًا كهذا لا يعرف الموت. إن حاله حال فضاء لانهائي.

وإذن، فلا بدَّ للذهن من أن يموت عن كل ما لملم – عن العادات كلها، عن الفضائل المزيفة، عن كل ما اتكل عليه ليكفل له شعوره بالأمان. إذ ذاك لا يعود واقعًا في شباك تفكيره. فالذهن، إذ يموت عن الماضي من لحظة للحظة، يصبح نضرًا، وبالتالي لا يمكن له أن يتلف أبدًا أو أن يطلق موجة الظلام.

سؤال :كيف يمكن لنا وضع ما تقوله لنا موضع التطبيق؟

كريشنامورتي :تراك تسمع شيئًا تظنه صحيحًا، فتريد أن تطبِّقه على حياتك اليومية؛ وبذا توجِد فجوة بين ما تعتقد وبين ما تفعل، ألا توجِد؟ تعتقد شيئًا، فتفعل شيئًا آخر .لكنك تريد تطبيق ما تعتقد، فتحصل هذه الفجوة بين العمل والفكر؛ ومن ثَمَّ تسأل عن كيفية سدِّ الفجوة، عن كيفية الربط بين تفكيرك وعملك.

والآن، عندما تتحمس لفعل شيء ما، تراك تهبُّ لفعله، ألا تفعل؟ حين تريد الذهاب للَّعب بالكرة أو تفعل شيئًا آخر ما يهمك حقًّا، تراك تجد السبل والوسائل لفعله؛ إنك لا تسأل أبدًا عن كيفية تطبيقه. إنما تفعله لأنك متقد، لأن كيانك كله – ذهنًا وقلبًا – يكون فيه.

لكنك بخصوص هذه القضية الأخرى صرت ماكرًا للغاية، تعتقد شيئًا وتفعل شيئًا آخر. تراك تقول: "هذه فكرة ممتازة، أوافق عليها عقليًّا، لكنى لا أدري ما أفعل حيالها، فرجاءً قل لي كيف أضعها موضع الممارسة" – ما معناه أنك لا تريد أن تفعلها بتاتًا. ما تريده حقًّا هو تأجيل العمل، لأنك تستحب كونك حسودًا بعض الشيء، أو شيئًا من هذا القبيل، فتراك تقول: "الناس غيري كلهم يحسدون، فلم لا أكون مثلهم؟"، وتواصل حياتك كما في السابق وحسب .لكنك إذا كنت حقًّا لا تريد أن تكون حسودًا وترى حقيقة الحسد مثلما ترى حقيقة كوبرا [أفعى سامة]، إذ ذاك تكف عن الحسد وتنتهي منه، ولا تسأل أبدًا عن كيفية التحرر من الحسد.

وإذن، فالمهم هو رؤية *حقيقة* الشيء، وليس التساؤل عن كيفية تنفيذه – لأن سؤالك معناه حقًّا أنك لا ترى حقيقته. عندما تصادف كوبرا على الطريق لا تسأل: "ماذا علي أن أفعل؟" إنك تفهم جيدًا خطورة الأفعى فتتفاداها. لكنك لم تفحص أبدًا عن كل مضامين الحسد حقًّا، إذ لم يكلمك عنه أحدٌ قط أو تعمق معك فيه. لقد قيل لك إنك يجب ألا تكون حاسدًا، لكنك لم تمعن النظر في طبيعة الحسد، لم ترصد أبدًا كيف أن المجتمع وجميع الأديان المنظمة قائمة عليه، على الرغبة في أن تصير شخصًا مرموقًا. لكنك لحظة تتعمق في الحسد وترى حقيقته حقًّا، تراه يتلاشى على الفور.

سؤالك: "كيف لي أن أقوم بذلك؟" سؤال أرعن، لأنك عندما تكون مهتمًّا حقًّا بشيء لا تعلم كيف تقوم به، تراك تُعمِل ذهنك فيه، وسرعان ما تبدأ بالاكتشاف. أما إذا تقاعست وقلت: "دلَّني، أرجوك، على طريقة عملية للتخلص من الطمع"، ستظل على طمعك. لكنك لو تحريت عن الطمع بذهن يقظ، من دون أي حكم مسبق، وإذا أعملت كيانك كله في الأمر، ستكتشف بنفسك حقيقة الطمع – والحقيقة هي التي تحرِّرك، لا بحثك عن طريق للتحرر.

سؤال :لماذا لا تتحقق رغباتنا تحققًا تامًّا أبدًا؟ لماذا توجد دومًا عقبات تمنعنا من فعل كل ما نتمنى؟

كريشنامورتي :لو كانت رغبتك في فعل شيء ما رغبة تامة، وأعملت فيه كيانك برمته من دون أن تطلب نتيجة، من دون أن تريد إشباعًا – أي دون خوف –، إذ ذاك تنعدم العقبات .توجد العقبة، التناقض، فقط حين تكون رغبتك ناقصة، مشتتة: تريد فعل الشيء، وفي الوقت نفسه تخشى أن تفعله، أو تريد مناصفةً فعل شيء آخر. عدا عن ذلك، هل باستطاعتك يومًا تحقيق رغباتك تحقيقًا كاملاً؟ هل تفهم؟ سوف أشرح.

المجتمع – وهو العلاقة الجماعية بين الإنسان والإنسان – لا يريدك أن تكون لديك رغبة تامة لأنك، لو كانت لديك مثل هذه الرغبة، لغدوتَ مصدر إزعاج، خطرًا على المجتمع. إنما يُسمح لك برغبات "محترمة"، كالطموح والحسد، – فهذه لا ضير منها بتاتًا! فلأن المجتمع مؤلف من بشر حاسدين، طَموحين، يصدِّقون ويقلِّدون، يقبل المجتمع الحسد والطموح والتصديق والتقليد، على الرغم من أن هذه كلها تشي بالخوف. فمادامت رغباتك تتناسب مع النمط السائد فأنت مواطن "محترم"؛ لكن لحظة تكون لديك رغبة تامة، ليست من النمط السائد، تراك تصير خطرًا. وإذن، فالمجتمع يتربص بك على الدوام ليمنعك من أن تكون لديك رغبة تامة، رغبة تكون تعبيرًا عن كلية وجودك، فتُحدِث عملاً ثوريًّا.

العمل النابع من *الوجود* مختلف كل الاختلاف عن العمل الناتج عن الصيرورة. العمل النابع من الوجود هو من الثورية بحيث إن المجتمع ينبذه ويهتم حصرًا للعمل الناتج عن الصيرورة، وهو عمل "محترم" لأنه يتناسب مع النمط السائد. لكن أية رغبة تعبر عن نفسها في العمل الناتج عن الصيرورة – وهو شكل من أشكال الطموح – لا إشباع لها. لذا فإنها عاجلاً أو آجلاً تُخذَل، تعرقَل، تحبَط، فننتفض على هذا الإحباط بطرق مؤذية.

هذه مسألة من المهم جدًّا أن تتعمق فيها لأنك، وأنت تتقدم في العمر، ستجد أن رغباتك لا تُشبَع في الواقع أبدًا. ففي الإشباع ثمة دومًا ظل من الإحباط، وفي قلبك لا توجد أغنية بل صرخة. إن الرغبة في الصيرورة – في أن تصير رجلاً عظيمًا، قديسًا عظيمًا، هذا الشخص العظيم أو ذاك، – لا نهاية لها، وبالتالي لا إشباع؛ إن ما تطلبه أبدًا هو "الأكثر"، ومثل هذه الرغبة مولدة دومًا للكرب، للبؤس، للحروب. ولكنْ عندما يتحرر المرء من كل رغبة في الصيرورة، تستتب حالة وجود يكون العمل النابع منها مختلفًا كل الاختلاف. إنها موجودة؛ والموجود لا زمن له. إنه لا يفكر بلغة الإشباع؛ فوجوده بالذات هو إشباعه.

سؤال :أراني بليدًا، لكن آخرين غيري يقولون إني ذكي. فأيهما يجب أن يؤثر في: رؤيتي أم قولهم؟

كريشنامورتي :الآن، أصغ إلى السؤال في حرص شديد، في هدوء تام، لا تحاول أن تجد إجابة. إذا قلتَ لي إني رجل ذكي، بينما أعلم في قرارة نفسي جيدًا أنني بليد، هل سيؤثر فيَّ ما تقول؟ سيؤثر إذا كنت أحاول أن أكون ذكيًّا، ألن يؤثر؟ عندئذ سأعجب بنفسي، متأثرًا بملاحظتك. لكني إذا رأيت أن الشخص البليد ليس بوسعه أبدًا أن يكف عن بلادته بمجرد محاولته أن يكون ذكيًّا، ماذا يحدث عند ذاك؟

قطعًا، إذا كنت غبيًّا، وحاولت أ ن أكون ذكيًّا، سأظل على غبائي، لأن محاولتك أن تكون أو أن تصير شيئًا هي جزء من الغباء. قد يتفق للشخص الغبي أن يكتسب زركشة النباهة، وقد ينجح في بضعة امتحانات، فيحصل على وظيفة، لكنه بذلك لا يكف عن أن يكون غبيًّا. (تابعوا هذا، أرجوكم، فهو ليس بيانًا على سبيل التهكم.) لكن لحظة يعي المرء أنه بليد، غبي، وبدلاً من أن يحاول أن يكون ذكيًّا يبدأ بالفحص عن غبائه ويفهمه – في تلك اللحظة بالذات تكون يقظة الذكاء.

دونك الطمع. هل تعلم ما هو الطمع؟ إنه أكلك من الطعام أكثر من حاجتك، إرادتك أن تبزَّ الآخرين في الألعاب، إرادتك الحصول على مزيد من الأملاك، كسيارة أفخم من سيارة غيرك. ثم تقول إنك يجب أن *لا* تكون طماعًا، فتتمرس على اللاطمع – وهو أمر سخيف حقًّا، لأن الطمع لا يمكن له أن يتوقف بأن يحاول أن يصير لاطمعًا. لكنك إذا بدأت تفهم جميع منطويات الطمع، وبذلت ذهنك وقلبك لإيجاد حقيقته، فأنت عندئذ حرٌّ من الطمع ومن نقيضه على حدٍّ سواء. إذ ذاك تكون حقًّا إنسانًا ذكيًّا، لأنك تتصدى *لما هو* ولا تقلد ما يجب أن يكون.

وإذن، إذا كنتَ بليدًا، لا تحاولْ أن تكون ذكيًّا أو نبيهًا، بل افهمْ ما الذي يجعلك بليدًا: التقليد، الخوف، محاكاة أحدهم، اتباع قدوة أو مثال، – هذه كلها تجعل الذهن بليدًا. أما عندما تكف عن التبعية، عندما تتخلص من الخوف، عندما تكون قادرًا أن تفكر بنفسك تفكيرًا واضحًا، – أفَلستَ عندئذ ألمع البشر؟ لكنك إذا كنت بليدًا، وحاولت أن تكون نبيهًا، فستنضم إلى صفوف أولئك المتبلِّدين في نباهتهم.

سؤال :لماذا نتشاقى؟

كريشنامورتي :إذا سألت نفسك هذا السؤال وأنت تتشاقى يكون السؤال عندئذ ذا مغزى، ذا معنى .لكنك حين تغضب، على سبيل المثال، تراك لا تسأل أبدًا لماذا أنت غاضب، أم أنك تفعل؟ إنك لا تسأل هذا السؤال إلا لاحقًا وحسب. فبعد أن تغضب تقول: "ما أغباني! ما كان علي أن أغضب." في حين أنك، لو كنت واعيًا، حاضر البديهة لحظة الغضب، دون أن تدينه، لو كنت *حاضرًا بكليتك* عندما يطرأ الهيجان على ذهنك، سترى عندئذ بأية سرعة يتلاشى.

يتشاقى الأطفال في سن معينة – ويجب أن يتشاقوا – لأنهم مفعمون طاقةً وحيويةً ونشاطًا، ولا بدَّ لهذه من أن تتفجر في شكل ما أو آخر. ولكن هذه المسألة، كما ترون، مسألة معقدة حقًّا، لأن سبب التشاقي قد يكون الطعام الخاطئ أو قلة النوم أو الشعور بعدم الأمان وما إلى ذلك. فإذا لم تُفهم جميع العوامل الداخلة في المسألة حق فهمها، إذ ذاك فإن الشقاوة من جانب الأطفال تصير تمردًا ضمن المجتمع، ليس لهم فيه من متنفَّس.

هل تعلمون من هم الأطفال "الجانحون"؟ إنهم أطفال يفعلون أشياء مريعة من شتى الصنوف؛ إنهم في حال تمرُّد ضمن سجن المجتمع لأنهم لم يساعَدوا أبدًا على فهم مشكلة الوجود في كليتها. ما أشد حيويتهم، وبعضهم خارق الذكاء، وتمردهم هو طريقة للقول: "ساعدونا على الفهم، على اختراق هذا الإكراه، هذا الانصياع الرهيب." لذلك فإن هذه مسألة هامة للغاية بنظر المربي، الذي تفوق حاجته إلى التربية حاجة الأطفال إليها.

سؤال :تعودت شرب الشاي. يقول أحد المدرسين إنها عادة سيئة، بينما يقول مدرس آخر إنها لا ضير منها.

كريشنامورتي :ماذا ترى *أنت*؟ نحِّ مؤقتًا ما يقوله غيرك من الناس – فقد تكون أقوالهم من قبيل الحكم المسبق – وأصغ للسؤال. ما رأيك في فتى "يتعود" شيئًا سلفًا؟ – سواء كان شرب الشاي أو التدخين أو التنافس على الأكل، إلى ما هنالك. قد لا يكون هناك ضير من الوقوع في شَرَك عادة فعل شيء وأنت في السبعين من عمرك أو الثمانين، وإحدى قدميك في القبر؛ أما وأنك في مستهل عمرك، فإن تعوُّدك شيئًا سلفًا هو أمر فظيع، أليس كذلك؟ تلك هي المسألة المهمة، لا مسألة وجود ضير من شربك الشاي أو لا.

تراك حين تتعود شيئًا، يكون ذهنك في طريقه سلفًا إلى المقبرة. إذا فكرت كهندوسي أو كشيوعي أو ككاثوليكي أو كپروتستنتي، فإن ذهنك في طريقه سلفًا إلى الانحطاط والتلف. أما إذا كان ذهنك يقظًا، مستفسرًا ليكتشف لماذا أنت واقع في شَرَك عادة معينة، لماذا تفكر بطريقة بعينها، إذ ذاك فإن المسألة الثانوية حول وجود ضير من تدخينك أو شربك الشاي تغدو يسيرة المعالجة.

لماذا عليَّ أن أشعر بالمسؤولية

دأب ج. كريشنامورتي، في السنوات التي سبقت وفاته (1986)، على الاجتماع الدوري بأعضاء لجان مؤسسة كريشنامورتي الدولية في زانن بسويسرا، وذلك ليكلمهم ويناقش معهم رؤيته بخصوص صون تعليمه وشروط نشره الأمين وأفضل السبل لازدهار المدارس التي استلهمته في التربية بعد أن يغيب.

سنعمد في الشهور المقبلة إلى نشر ترجمات لمقتطفات من أحاديثه إلى اللجان الدولية وحواراته مع أفرادها، نقلاً عن نصوص مُعدة للقاءات مؤسسة كريشنامورتي الدولية في بروكوود پارك، إنكلترا، في أيار 2000.

* * *

كريشنامورتي :ليتكم تجيبون عن هذا السؤال! ليت بعضكم يصرف همَّته إليه، فلا يهدأ له بال حتى يجيب عنه. هَبْ أني أعمل في هذا كله، ومات **ك**، ما هي مسؤوليتي؟ لقد شعرتُ بشيء *مقدس*، لا في الشخص وحسب – وهو أمر خارج عن الموضوع –، بل وبشيء شعرتُ به شعورًا عميقًا للغاية، في كلامه، في حضوره. فماذا أنا فاعل يا ترى؟ كيف تراني سأحافظ على حرارة، على نار ذاك الشيء المقدس الذي شعرت به، فأصونها، أغذيها، حتى لا تخبو؟ وكذلك، ما هي مسؤوليتي نحو باقي الأفراد الذين يعملون في هذا الاتجاه، ومسؤوليتي الشخصية في حياتي اليومية؟ تلك هي مقاربتي للمسألة برمتها.

أتراني *أحيا* فعليًّا ما يجري الكلام عليه، أم أن الأمر لم يتعدَّ التفسير اللفظي والتحمس؟ هل تخطيتُ مجرد الألفاظ؟ وما هي مسؤوليتي الأولى حيال بقية الأفراد الذين يعملون معًا؟ هل عندي روح، صفة التعاون العميق الفعلية مع أيٍّ كان؟ هل عندي حسٌّ بالتواصل معهم؟ ذلك سيكون استفساري الأول عن مسؤوليتي: هل عندي يا ترى صلة حقيقية، لا مجرد صلة مادية عبر الرسائل أو عبر هذا النشاط أو ذاك، بل هل عندي صلة حقيقية مع غيري ممن يتحركون في الاتجاه نفسه؟

سؤال :لماذا علينا أن نتصف بذلك؟ لماذا علي أن أشعر بالمسؤولية؟

كريشنامورتي :مهلاً. أنا مسؤول لأنني *أشعر بأني العالم* .صحيح؟ لا أدري إنْ كنتَ قد فهمتَ ذلك. أشعر بأني مسؤول عن سائر العالم؛ مهما حدث في العالم فأنا مسؤول، سواء كان في بلفاست، في إنكلترا، أو كان تهديد الحرب في الشرق الأوسط، أو المجاعة في الهند، إلخ، إلخ. تراني كإنسان، هو جزء من سائر الإنسانية، أشعر بأني *مسؤول* –مسؤولية عميقة. إنها ليست مجرد نتيجة لفظية، بل تراني أشعر بذلك شعورًا قويًّا جدًّا. ولقد عملت معكم جميعًا، فأشعر بأني مسؤول عنكم جميعًا. وتراني لا أريد لتلك المسؤولية أن تخبو، تذوي، تموت. أريد أن ألتقيكم، أريد أن أتناقش معكم. ذلك كل ما أعنيه.

وما سيهمُّني أيضًا هو إنْ كانت مجرد مجموعة صغيرة هي التي تحمل الإناء الذي تنمو فيه الزهرة؛ ربما كان أفراد يحملونه في مجموعة صغيرة، لكني أريد أن أنثر البذور في العالم بأسره. تلك هي مسؤوليتي. لا يهمني مَن يفهم أو مَن لا يفهم، لكنها مسؤوليتي أن أزرع البذرة حيثما تقع – سواء على قطعة أرض بور أو في تربة خصبة. تلك هي مسؤوليتي، ذاك ما سيهمُّني إذا مات ك وكنت أعمل مثلكم جميعًا.

وسيهمُّني، كذلك، الحرصُ على الشيء الذي شعرت بأنه مافتئ مقدسًا وعلى صون حرمته. وإذن فإن جل اهتمامي سينصب على هذا. إذ إن البشرية باتت فاقدةً كل احترام لأي شيء. صحيح؟ لا يزال هناك بعض احترام متبقٍّ في الهند؛ إنه ضحل بعض الشيء، لكنْ لا يزال هناك بعض الاحترام. إنهم يشعرون باحترام نحو الشخص الديِّن. قد لا يفعلون أي شيء

حيال الأمر، فيكتفوا بتطويق رأسه بأطواق الزهور ولا يفعلوا شيئًا حيال الأمر؛ ما يقوله لا يهمك مادمت في حضرته، مادام عندك هذا الشعور بالاحترام. لا يزال ذلك موجودًا نوعًا ما في الهند. أما باقي العالم، فلا يصح فيه قولي هذا. ربما في الشرق لا يزال موجودًا بعض الشيء. أما في الغرب، فقد تلاشى، ولا أحد يحترم أحدًا.

فكيف لي أن أتصف بصفة الاحترام هذه لذاك الشيء المقدس الذي شعرت به، فأساعد على الحرص بأن يكون عند غيري من الناس حسُّ الاحترام هذا لما هو مقدس؟ لا أدري إن كنتُ أحسن نقلَ ما أشعر به. ذاك سيكون كل همي عندما يموت ك. لن ينصب عظيم اهتمامي على نفسي، على تقدُّمي، على سعادتي، لأن ذلك يتحقق بفهم تلك التعاليم. بطبيعة الحال، أنا أعمل على إذابة فوارقي كلها، خصوصيات مزاجي والحدود التي تميِّزني كلها. لكن بفعل الدراسة، بفعل الاستماع بالذات، تعلمت الكثير لأني استمعت إلى ذلك الرجل – ك – عددًا من السنين، فتشربت حسًّا معينًا بما هو عظيم ونبيل، إلى ما هنالك. فهذا بات جزءًا مني، بات في داخلي، كالجرثومة، كالبذرة النامية، المزهرة. فتراني أود أن ألتقي غيري من الناس الذين يتصفون بالحركة نفسها وأتناقش وأكون معهم .وهذا لا يعني بأننا سوف نصير عصبة، مجموعة صغيرة تهتم بذاك فحسب، فتحتفظ به لنفسها كالجوهرة، لا تجرؤ على عرضها لأنها نفيسة للغاية. فذاك تصرف شديد الضيق، شديد الزيف، شديد المحدودية. وإذن، لو كانت عندي موهبة الكلمة، موهبة الكتابة، أو أي موهبة أخرى، لعبَّرت عنه بقدر استطاعتي في الخارج، من دون أن أختلق كل التوافه عن عبادة الشخص والسلطة وسائر ما هنالك من سخافات.

كما ترون، كنت منذ الطفولة في جمعية، لعلكم تعرفونها، هي الجمعية الثيوصوفية. الدكتورة بيزانت[14]، التي كانت حقًّا إبان حياتها شخصية عظيمة جدًّا، فكريًّا وكخطيبة مفوهة، جعلت الجمعية شيئًا خارقًا، حيويًّا، حيًّا، في العالم بأسره. وعندما ماتت، انتهى الأمر إلى التبدد التدريجي. فكما في المنظمات كلها، عندما يغيب القائد يصير الشيء عقيمًا؛ قد يكون حَسَنَ التنظيم، لكن الحياة تغادره. لا أقول هذا بخصوص رادها بورنييه، الرئيسة الحالية للجمعية الثيوصوفية، لأني أعرفها حق المعرفة.

وإذن، أشعر بأن مؤسسة ك هذه في مختلف أرجاء العالم يجب ألا تختفي، ألا تفقد حيويتها. أعرف بأن مؤسسة ك مجرد تنظيم – جميعنا يعرف ذلك، ولستُ مضطرًّا إلى الخوض فيه مجددًا – لطباعة الكتب، لتنظيم الأحاديث؛ إنها ليست شكلاً جديدًا من الكنائس. لكني، على نحو ما، أشعر بأنه حين يموت ك هناك خاصية معينة في جميع هذه المدارس يجب صونها.

زانن، 17 تموز 1981

---

[14] هي آني بيزانت (1847–1933). بدأت حياتها الفكرية مناضلة في الحركة الاشتراكية الفابية، ثم تتلمذت في الثيوصوفيا على السيدة بلاڤاتسكيا. آلت إليها رئاسة الجمعية الثيوصوفية في العام 1907 وظلت على رأسها حتى وفاتها .شمل عملها في الهند مجالات التربية والإصلاح الاجتماعي والسياسي. هي التي أعلنت الفتى كريشنامورتي وعاءً لتجسد "المعلم العالمي"، فأقامت نفسها وصية عليه وعلى تربيته الروحية وتعليمه، وكانت له بمثابة الأم. لكنه في العام 1929، في أعقاب تحوله الروحي الحاسم، حل "أخوية النجمة" المعدة لاستقبال المعلم، واستقال من الجمعية الثيوصوفية، وأخذ تعليمه المستقل على عاتقه ومسؤوليته، معلنًا أن الحقيقة لا يحتويها أي معتقد ولا تقبل تنظيمًا من أي نوع. يُجمع مؤرخو سيرته أنه ظل على محبته لها واحترامه لذكراها.

خطاب إلى الأمم المتحدة

"نَحِّ الكتاب، الوصف، التقليد، المرجعية،
وامض في سبيلك مكتشفًا بمفردك". **ج. كريشنامورتي**

تقديم

ولد جِدُّو كريشنامورتي في قرية صغيرة من جنوب الهند في 12 مايو/أيار 1895 وتوفي في 17 فبراير/شباط 1986 في أوهَيْ، كاليفورنيا.

في العام 1929، تخلى كريشنامورتي عن الدور الذي أنيط به بوصفه "المعلم العالمي" المنتظَر، مفككًا التنظيمات "الروحية" التي طوقتْه، منطلقًا في مهمة، نذر لها حياتَه كلها، لـ"تحرير الإنسان تحريرًا مطلقًا غير مشروط" من القيود والإشراطات كافة، بما فيها القيود والإشراطات التي يفرضها الدين المنظم، ومن الاتكال على المرجعيات الدينية والروحية المختلفة، فجاب العالم طوال 65 سنة، ملقيًا العديد من الأحاديث والمطارحات العامة ومُجريًا لقاءات وحوارات خاصة مع آلاف الناس من جميع الأعمار والخلفيات والاختصاصات، مصرًّا دائمًا أنه فقط "من خلال تغيير كامل في قلوب الأفراد وعقولهم يمكن لتغيُّر في المجتمع وللسلام في العالم أن يحدث". وقد ظل على هذا حتى قبيل وفاته بأسابيع قليلة.

لم يعتنق كريشنامورتي أي مذهب، كما لم يبشر بأية عقيدة، بل صاغ تعليمه الفريد وحده، منصرفًا انصرافًا كليًّا إلى رصد دائم لآليات الذهن البشري في كتابات ومحاضرات ومحاورات ويوميات جُمعتْ في أكثر من 80 كتابًا وفي آلاف التسجيلات الصوتية والمرئية وتُرجمتْ إلى حوالى 50 لغة. والقضايا الدائمة التي تصدى لها، والتي تتناول أصل المشكلات البشرية والتحرر النفسي بالإدراك التام للعملية الذهنية، بوَّأتْه مكانةً خاصةً بوصفه واحدًا من أكثر متكلِّمي القرن العشرين وكتَّابه تشكيكًا في الفكر المستكين إلى يقينياته: إذ إن كريشنامورتي كان يريد تحرير البشر نفسيًّا لكي يكونوا على تناغُم مع أنفسهم وأشباههم ومع الطبيعة. وقد علَّم أن الإنسان هو صانع البيئة التي يعيش فيها وأن إيقاف كابوس العنف المستمر منذ آلاف السنين لا يتم إلا بتحول جذري في النفس البشرية. وقد اكتفى بإعطاء إشارات حول "فن" القيام بهذا التحول؛ إذ ما من طريق ولا منهج لبلوغه لأن "الحقيقة أرض بلا دروب": على كلِّ واحد أن يقوم بالعمل بمفرده، دون اللجوء إلى أي معلم أو مرجعية من أي صنف كانت؛ فالحياة بأسرها هي المعلم.

لهذه الأسباب مجتمعة، كانت التربية واحدة من اهتماماته الرئيسية: إذا استطاع الطفل أن يتعلم رؤية الإشراطات القومية والدينية والمذهبية والاجتماعية إلخ التي ينشأ عليها، والتي تقوده حتمًا إلى النزاع، فإنه يقدر عندئذٍ أن يعي أنه العالم وأن العالم فيه؛ ولعله يستطيع بذلك أن يصبح كائنًا بشريًّا يتصف بذكاء رفيع يلهمه السلوك السليم آنًا بآن. فالأحكام المسبقة وسائر المعتقدات تحول بين الذهن وبين لمس الحقيقة والحرية والمحبة.

شهد القرن الذي عاش فيه كريشنامورتي حربين عالميتين، عنفًا قوميًّا وطائفيًّا وسياسيًّا مستمرًّا، مجازر جماعية لم يسبق لها مثيل، تطورًا وتكاثرًا في أسلحة الدمار الشامل، بالإضافة إلى التضخم السكاني وانهيار البيئة الطبيعية وتفتُّت المؤسسات الاجتماعية. وهذه الكوارث كلها زرعت الخوف في قلوب البشر واليأس من قدرة الإنسان على حل مشكلاته. لذا خصَّ كريشنامورتي هذه الأزمة العالمية باهتمام كبير في أحاديثه كلِّها، داعيًا المستمعين إليه إلى أن يولوا انتباههم الجدِّي للبنى والاستعدادات النفسية التي تولد العنف والألم في حياتهم.

أصرَّ كريشنامورتي طوال عمره على أنه لا يريد أتباعًا؛ ولذلك لم يؤسس أية منظمة ولم يُحِطْ نفسه بجماعة من الأتباع أو المريدين، ولم يُجِزْ لأحد بعينه أن يخلفه أو يفسر تعاليمه أو يشرحها، بل اكتفى بأن يطلب من الذين يشاركونه اهتماماته الملحَّة هذه أن يحافظوا، بعد موته، على سجلٍّ أمين لأحاديثه وكتاباته للأجيال القادمة، بما يجعلها متوفرة للجمهور على أوسع نطاق.

بعد إلقاء الخطاب التالي من على منبر الأمم المتحدة، كان من المقرر تقليدُ كريشنامورتي وسامَ الأمم المتحدة للسلام للعام 1984، لكنه اعتذر عن قبوله انسجامًا مع تعاليمه التي لم يراع فيها التشريفات الدنيوية من أي نوع.

* * *

كريشنامورتي :مطلوب منِّي أن أتكلم على السلام العالمي فيما يتعدى الذكرى الأربعين لميلاد الأمم المتحدة.

عاش النوع البشري – الإنسان – على هذه الأرض طوال ما يزيد عن الخمسين ألف عام، وربما مدة أطول بكثير، أو مدة أقل. وإبان هذا التطور الطويل كلِّه، لم يجد الإنسانُ "السلام على الأرض :*السلام في الأرض*[15] ظل يبشِّر به، قبل المسيحية بوقت طويل، قدماءُ الهندوس والبوذيون. وإبان هذا الزمن كله، ما انفك الإنسان يعيش في نزاع، لا في نزاع مع جيرانه وحسب، بل ومع قومه هو، مع مجتمعه هو، مع أسرته؛ مافتئ يقاتل، يصارع ضد الإنسان، طوال الخمسة آلاف سنة الأخيرة، وربما أكثر. تاريخيًّا، ظلت الحروب تنشب عمليًّا كل عام. ونحن لا نزال في حالة حرب. أعتقد أن هناك أربعين حربًا مندلعة في الوقت الحالي. ورجال الدين – ليس الكاثوليك وحسب، بل الجماعات الأخرى أيضًا – تكلموا على "السلام في الأرض" وعلى النية الطيبة بين البشر؛ لكنه لم يحل قط – لم ننعم بالسلام على الأرض. تكلموا فقط على السلام عند الموت، حيث يذهب المرء إلى الجنة وينعم بالسلام هناك!

والمرء يتساءل، إذا كان على شيء من الجدية أصلاً، لماذا يقتل إنسانٌ إنسانًا آخر – باسم الله، باسم السلام، باسم إيديولوجيا ما، أو في سبيل "وطنه"، مهما يكن معنى هذه الكلمة، أو من أجل الملك أو الملكة، إلى آخر ما هنالك من مساخر. لعلنا جميعًا نعرف هذا الواقع: واقع أن الإنسان لم يعشْ قط في سلام على هذه الأرض، التي مافتئت تُدمَّر تدميرًا بطيئًا، ولماذا لا يستطيع الإنسان أن يحيا في سلام مع كائن إنساني آخر. و[نعرف [لماذا توجد أمم منفصلة – وهي في النهاية عصبية قبلية مضخَّمة. والأديان، سواء المسيحية أو الهندوسية أو البوذية، هي الأخرى يحارب بعضها بعضًا .الأمم تتحارب، الجماعات تتحارب، الإيديولوجيات جميعًا، سواء كانت الروسية أو الأمريكية أو أية فئة أخرى من الإيديولوجيات، في حرب، في نزاع، بعضها مع بعض. وبعد العيش على هذه الأرض طوال هذه القرون العديدة، ما الذي يحول دون الإنسان والحياة في سلام على هذه الأرض البديعة؟ ما انفك هذا السؤال يُطرَح مرارًا وتكرارًا. تم إنشاء منظمة كهذه [الأمم المتحدة] حول هذه الفكرة. فما هو مستقبل هذه المنظمة بالذات؟ بعد السنة الأربعين [على نشوئها]، ما الذي يخبئه المستقبل؟

الزمن عامل غريب في الحياة. الزمن هام جدًّا بنظرنا جميعًا. والمستقبل هو ما هو حاضر :*المستقبل هو الآن، لأن الحاضر، الذي هو الماضي أيضًا، معدَّلاً نفسه الآن، يصير المستقبل* .لا تزال دورة الزمن، مسار الزمن، هو هو. والآن، ليس فيما يتعدى الأربعين سنة من عمر هذه المنظمة، بل *الآن*، في الوقت الحاضر، إذا لم يحصل أي تغيير جذري، طفرة أساسية ما، سيكون المستقبل على ما هو الحاضر الآن. ذلك مبرهَن عليه تاريخيًّا، وبوسعنا أن نبرهن عليه في حياتنا اليومية.

إذن فالسؤال في الواقع هو: هل الكائنات البشرية، أنتم ونحن، الجالسون على المنصة، – وأعتذر عن مجلسي المرتفع هنا، – كائنات إنسانية حقًّا؟ فمادمنا – بعضنا مع بضع، أو الرجل مع المرأة – في نزاع دائم، لن يكون سلام على هذه الأرض. قد يتكلم المرء عليه إلى ما لا نهاية .الكنيسة الكاثوليكية الرومانية تتكلم على "السلام في الأرض"، لكنهم كانوا أيضًا مسئولين عن حروب مروِّعة في الماضي: مئة عام من الحرب والتعذيب وسائر ألوان الفظائع التي أساؤوا بها إلى الإنسان. هذه كلها حقائق، وقائع، وليست من بنات أفكار المتكلم. والأديان، بما فيها الإسلام والهندوس والبوذيون إلى آخرها، شنَّ كل منها نوعه الخاص من الحرب. وهكذا فإن المستقبل فيما يتعدى الذكرى الأربعين هو ما يجري الآن.

---

[15] باللاتينية في الخطاب :*pacem in terris* إشارة إلى تسبيح الملائكة مبشِّرين الرعاةَ بميلاد المسيح: "المجد لله في العلى، و*السلام في الأرض* للناس أهل رضاه" (إنجيل لوقا 2: 14)؛ وقد تسمَّتْ إحدى الجمعيات المنبثقة عن الأمم المتحدة بهذه العبارة.

يتساءل المرء عما إذا كان الناس يدركون ذلك. الحاضر ليس الماضي وحسب، بل هو ينطوي على المستقبل أيضًا: الماضي معدِّلاً نفسَه على الدوام عِبْرَ الحاضر ومُسقِطًا المستقبل. إذا لم نكف عن الخصومات والنزاعات والخلاف والكراهية *الآن* فسيظل الأمر على حاله غدًا. بوسعك أن تمدِّد ذلك الغد ألف سنة، لكنه مع ذلك سيظل الغد.

لذا يجب علينا أن نتساءل عما إذا كنا، كبشر، – أفرادًا أو طوائف، أو في أسرة، – عما إذا كنا نستطيع أن نحيا في سلام بعضنا مع بعض؟ المنظمات لم تحل هذه المشكلة. بوسعك أن تعيد التنظيم، لكن الحرب تظل مستمرة. المنظمات، إذن، سواء المنظمات العالمية أو أي صنف خاص من المنظمات الهادفة إلى إحلال السلام، مثل هذه المنظمات لن تفلح أبدًا لأن البشر، فرديًّا، جماعيًّا، قوميًّا، مافتئوا في نزاع. الأمم القوية، مثل أمريكا أو روسيا، في حرب بعضها على بعض – اقتصاديًّا وإيديولوجيًّا وفعليًّا – وإنْ لم يصل الأمر إلى سفك الدماء. إذن فالسلام لا يمكن له قطعًا أن يوجد على هذه الأرض بوجود قوميات، وهي، كما قلنا، *عصبية قبلية معظمة* .القوميات تمنح شيئًا من الأمان: الإنسان في حاجة إلى الأمان، فيستثمر في القومية، أو في إيديولوجيا أو معتقد معيَّن. المعتقدات، الإيديولوجيات، إلى ما هنالك، جزأت الإنسان. والمنظمات لا يمكن لها قطعًا أن تُحِلَّ السلامَ بين الإنسان والإنسان لأنه يؤمن بشيء معيَّن، يؤمن بإيديولوجيات معيَّنة، يؤمن بالله، فيما غيرُه لا يؤمن.

أتساءل إذا كان المرء قد انتبه يومًا إلى أن الأديان القائمة على كتاب – كالقرآن أو الكتاب المقدس – تصير متعصبة، ضيقة، وأصولية جدًّا. وأديانٌ مثل الدين الهندوسي والبوذي لديها عدد لا يُحصى من الكتب، تُعتبَر جميعًا مقدسة، حقيقية، نازلة رأسًا من فم الله! إنها ليست بهذا القدر من التعصب، إنها متسامحة، تستوعب. إذن، هناك هذا النزاع الدائر بين هؤلاء الذين يتكئون في إيمانهم على الكتب وبين أولئك الذين لا يتكئون في إيمانهم على أي كتاب؛ ونزاع، إذن، بين أهل الكتاب وبين الذين يقبلون كتبًا عديدة. أتساءل عما إذا كان المرء على وعي بهذا كله.

ونحن نتساءل في عمق، إذا كنتم على شيء من الجدية أصلاً، إنْ كنا – أنتم وأنا وأولئك المنخرطون في منظمات – نستطيع أن نحيا في سلام بعضنا مع بعض؟ السلام يتطلب قدرًا كبيرًا من *الفطنة*، وليس مجرد التظاهر ضد شكل معين من أشكال الحرب، ضد قنبلة نووية أو ذرية، إلى ما هنالك. تلك نواتج أذهان وأدمغة متحصنة بالقومية، بشكل معيَّن من الاعتقاد أو الإيديولوجيا؛ وبذا فإنها تزود بالأسلحة – الدول القوية، سواء روسيا أو أمريكا أو إنكلترا أو فرنسا – [تزود] بالأسلحة بقية دول العالم، وهي كذلك تتكلم على السلام، فيما هي تزود بالأسلحة!

إنه لعالم شاسع صفيق، والصفاقة لا يمكن لها أن تطيق العطف والرعاية والمحبة. أظننا فقدنا تلك الخاصية – صفة *الرحمة* .لا تحلِّلوا ماهية الرحمة – فهي يمكن تحليلها في سهولة بالغة. ليس بمقدوركم تحليل المحبة؛ فالمحبة لا تقع ضمن نطاق الدماغ، لأن الدماغ هو أداة الإحساس، هو مركز سائر ردود الأفعال والأفعال، ونحن نحاول أن نجد السلام والمحبة ضمن هذا النطاق المحدود. وهذا يعني أن *الفكر ليس المحبة لأن الفكر قائم على التجربة* –وهي محدودة – وعلى المعرفة – وهي دومًا محدودة، سواء الآن أو في المستقبل. المعرفة، إذن، محدودة دومًا. وبالحصول على المعرفة، المحتواة في الدماغ كذاكرة، ينبع الفكر من تلك الذاكرة. وهذا يمكن للمرء رصدُه في بساطة وسهولة بالغتين إذا فحص عن نفسه، إذا نظر في نشاط فكره وتجربته ومعرفته .ليس المرء مضطرًّا إلى قراءة أي كتاب أو إلى أن يصير اختصاصيًّا لكي يفهم.

الفكر، إذن، محدود دومًا، سواء الآن أو في المستقبل .ونحن نحاول أن نحل مشكلاتنا كلها، التكنولوجية والدينية والشخصية جميعًا، عِبْرَ نشاط الفكر. الفكر ليس المحبة جزمًا؛ فالمحبة ليست الإحساس أو اللذة، وهي ليست نتاجًا للرغبة؛ إنها شيء مختلف كل الاختلاف. فحتى يجد المرء تلك المحبة، التي هي الرحمة، والتي تتصف بفطنتها الخاصة، عليه أن يفهم نفسه، أن يفهم ما نحن – ليس من خلال التحليل، بل بفهم مآسينا نحن، ملذاتنا نحن، معتقداتنا نحن.

أينما ذهبتم في العالم قاطبة، كما تعلمون، تجدون البشرية، البشر، يتألمون، لأسباب متنوعة: قد تكون تافهة، أو تعود إلى حادثة ماضية عميقة جدًّا جدًّا تسببتْ في الألم أو الأسى. وكل إنسان على هذه الأرض يكابد هذا، بدرجة صغرى أو نتيجة حادثة هائلة، كالموت. الأسى قاسم مشترك بين البشر أجمعين؛ إنه ليس أساك أو أساي، بل هو أسى البشرية، جزع البشرية، وجعها، عزلتها، يأسها، عدوانيتها. إذن، أنتم ونحن بقيةُ البشرية؛ نفسانيًّا، لسنا كائنات بشرية منفصلة. قد تكون امرأة أو رجلاً، قد تكون طويلاً أو أسمر أو قصيرًا، إلى ما هنالك؛ لكننا داخليًّا، نفسانيًّا (وهو الأهم بكثير)، نحن بقية البشرية. أنت بقية البشرية: فإذا قتلتَ إنسانًا آخر، إذا تنازعت وإنسانًا آخر، فأنت مدمِّر نفسك لا محالة. تستطيع أن ترصد هذا في دقة شديدة جدًّا إذا نظرتَ إلى نفسكَ من دون مواربة.

إذن، لا يمكن أن يحل سلام إلا حين البشرية، حين أنت وأنا، يزول كل نزاع من أنفسنا. رُبَّ قائل يقول: "حين يحقق المرء، أو يضع حدًّا لكلِّ نزاع في نفسه، كيف سيؤثر هذا في بقية البشرية؟" هذا سؤال قديم جدًّا جدًّا. لقد طُرِحَ قبل المسيح – إنْ وُجِدَ أصلاً – بآلاف من السنين .وعلينا أن نسأل إن كان من الممكن للأسى والألم والجزع إلى ما هنالك أن تنتهي فينا يومًا؟ إذا انكبَّ المرء فاحصًا، راصدًا، في انتباه عظيم، كما تنظرين أنتِ في انتباه شديد، حين تمشطين شعركِ، أو أنتَ، حين تحلق ذقنك، بخاصية الانتباه تلك، محتدةً، تستطيع أن ترصد نفسك – بتلاوينها ودقائقها كلها. و*المرآة هي علاقتك بين البشر* :في تلك المرآة تستطيع أن ترى نفسك *كما أنت بالضبط* .لكن غالبيتنا ترتعب من رؤية ما نحن؛ وبهذا ننمي فينا بالتدريج المقاومة والإحساس بالذنب وسائر المساخر الأخرى. وبذلك لا نطلب أبدًا الحرية الكاملة –لا حرية أن تفعل ما يحلو لك، بل *التحرر من الاختيار* .فحيثما توجد خيارات متعددة توجد التباسات عديدة.

فهل بمقدورنا أن نحيا السلام على هذه الأرض في تفهُّم كبير للإنسانية؟ – وهو فهم نفسك فهمًا عميقًا للغاية، ليس بحسب عالِمِ نفس أو محلِّل ما (فهؤلاء أيضًا يحتاجون إلى تحليل!). إذن، نحن نستطيع، من دون اللجوء إلى المهنيين، بوصفنا أناسًا عاديين بسطاء، نستطيع أن نرصد أمزجتنا الخاصة، ميولنا. هل في إمكان دماغنا (والمتكلم ليس اختصاصيًّا في مادة المخ) – ودماغُنا مافتئ مشروطًا على الحرب، على الكره، على النزاع؛ إنه مشروط خلال هذه الفترة الطويلة من التطور – هل في إمكان ذلك المخ بخلاياه، التي تختزن الذاكرات كلها، أن يتحرر من إشراطه بالذات. من السهل جدًّا، كم تعلمون، الجواب عن مثل هذا السؤال. إذا طال بك الاتجاه شمالاً أيام حياتك كلها، مثلما أن البشرية طال بها المضي في اتجاه معيَّن، وهو نزاع، وأتاك أحدهم وقال: "هذا لا يقود إلا إلى طريق مسدود" – وهو جادٌّ، وربما كنت أنت جادًّا – ثم قال: "امض جنوبًا أو امض شرقًا أو إلى أية جهة أخرى غير هذه"، حين تتحول فعلاً عن تلك الجهة *تحدث طفرة في خلايا المخ نفسها لأنك تكون بذلك قد كسرت القالب* .وذلك القالب يجب أن يُكسَرَ *الآن*، وليس بعد أربعين سنة أو مئة.

فهل يمكن للبشر أن يتصفوا بالحيوية والطاقة على تحويل أنفسهم إلى كائنات إنسانية متحضرة، فلا يقتتلون؟

الرئيس :هل لنا أن نطرح أسئلة؟

ك :أجل، سيدي، اسألوا ما بدا لكم. يسرني ذلك!

الرئيس :الوقت متاح لنا لطرح بعض الأسئلة، والسيد كريشنامورتي تلطف بالموافقة على الإجابة عن أية أسئلة تطرحونها. حين تطرح سؤالاً الرجاء أن ترفع يدك لكي يتم توصيل الصوت. شكرًا.

سؤال :أنا أسأل سؤالاً يخص حاجتي إلى تعبير *روحي* أشعر أني متصل به. هل أنا مسموع؟ لا أظن ذلك. أشعر بإحساس بانعدام الصلة ما انفك يصلني. أتشوق إلى اتصال روحي، مع نفسي ومع غيري من الناس في هذه المجموعة،

يهبنا إحساسًا بالتسامي. هذا ما أتشوق إلى اختباره في هذه المحاضرة: إحساسًا روحيًّا أرقى بالوحدة، بدلاً من التعبير الفكري.

ك: بادئ ذي بدء، لا أفهم كلمة "روحي". هل الأمر عاطفي، رومانسي، إيديولوجي، أو شيء ما مبهم في الجو، أم هو مواجهة الواقع، ما يجري *الآن*، في أنفسنا وفي العالم جميعًا؟ ذلك أنكم *أنتم العالم*، لستم منفصلين عن العالم. نحن أوجدنا هذا المجتمع، وبالتالي، نحن ذلك المجتمع. ومهما تكن الخبرات التي تحصل للمرء – ما يُسمَّى الخبرات الدينية والروحية – عليه أن يشكك في تلك الخبرات بالذات؛ على المرء أن يتحرى، أن يكون شكاكًا. أتساءل إنْ كنتم تدركون أن كلمة "شكِّية" – التحري، الاستقصاء –لا تلقى تأييدًا في العالم المسيحي، بينما هي في البوذية والهندوسية واحدة من الأمور الجوهرية: عليك أن تشكك في كل شيء، حتى تكتشف تلك الحقيقة أو تقع عليها؛ وهي ليست حقيقتك أو حقيقة أيٍّ آخر كان، بل *الحقيقة*.

وهذا الاستقصاء ليس "فكريًّا". فالفكر ليس إلا جزءًا وحسب من البنية الإنسانية الكلِّية. *على المرء أن ينظر إلى العالم وإلى نفسه ككائن كلاني*. والحقيقة ليست شيئًا قيد الاختبار. إذا سمحتَ لي أن أنوِّه، مَن هو المختبر في معزل عن الخبرة؟ أليس المختبر جزءًا من الاختبار؟ لولا ذلك لما استطاع أن يعرف أية خبرة حصلت له. إذن، *المختبر هو الاختبار*؛ المفكِّر هو الفكرة؛ الراصد، بمعناه النفساني، هو المرصود. لا فرق ثمة. وحيثما وُجِدَ فرق، فَصْل، هناك يتسلَّل النزاع. ومع إنهاء النزاع ثمة *حرية* –وإذ ذاك فقط يمكن للحقيقة أن تتوجد. وهذا كله ليس "فكريًّا"، كرمى لله! هذا شيء يحياه المرء، ويكتشفه.

سؤال: شددتَ كثيرًا على الاستقصاء والتشكيك. أتساءل إن كنت تستطيع أن تخبرني إنْ كان *الإيمان* يلعب دورًا في ذلك أيضًا.

ك: ما هو الإيمان؟ بماذا تؤمن؟ يؤمن أحدهم بتجربة ما، فيما يؤمن آخر بمعتقد ما، أو برمز، إلى ما هنالك. لماذا يؤمن الإنسان أصلاً؟ هل يؤمن من جراء الخوف، من جراء عدم اليقين، من جراء إحساس بعدم الأمان؟ حين تؤمن، كهندوسي مثلاً، برمز من الرموز، وتتمسك بذلك الإيمان، أو بذلك الرمز، إذ ذاك تكون في حرب مع بقية العالم. أما الاستقصاء في رفق، في تؤدة، التحري، التساؤل، فمنه عندئذٍ ينبثق الوضوح. *ولا بدَّ من الوضوح لفهم ما هو أبدي*.

سؤال: في الختام قلتَ إننا في حاجة إلى كَسْر قالب النزاع بين البشر. وسؤالي لك هو: هل ترى ذلك كشيء أشبه بالسياق التطوري سيحصل لا محالة؟ أم تَراه كشيء علينا جميعًا أن نكدَّ كدًّا شديدًا في سبيل تحقيقه؟ وثمة عبارة تجري على مثل هذا النحو: "في أوقات الظلام تبدأ العين ترى". ولماذا تراني أطرح عليك هذا؟ – لأن الأمر، بمعنى ما، إما سوف يحصل، وإما لن يحصل. ولكن كيف تَراه سيحصل في نظرك؟

ك: لا أفهم سؤالك تمامًا، سيدي.

س: طيب. أنت تتحدث عن كَسْر القالب: للإنسان قالب، للمخ قالب، وعلى هذا القالب أن يُكسَر لكي يحلَّ سلام في العالم.

ك: جزمًا.

س: فهل ترى كَسْرَ ذلك القالب كحركة فاعلة أم كتقدم طبيعي في تطور الإنسان؟

ك :أترانا، سيدي، تطوَّرنا أصلاً؟

س :أظننا نتطور تطورًا متواصلاً.

ك :إذن، فأنت تقبل التطور – التطور النفساني، إذ نحن لا نتكلم عن التطور البيولوجي أو التطور التقني – التطور *النفساني* .بعد مليون سنة، بعد خمسين ألف سنة، هل تغيرنا تغيرًا عميقًا؟ ألسنا بدائيين جدًّا، همجيين؟ إذن، فأنا أسال إن كنت ستدقق في إمكانية وجود تطور نفساني أصلاً. أنا أشكك في ذلك. شخصيًّا، في نظر المتكلم، لا وجود لتطور نفساني: هناك فقط إنهاء الأسى، الألم، الجزع، العزلة، اليأس، إلى آخر ما هنالك. لقد تعايش الإنسانُ وذلك طوال مليون سنة. وإذا اتكلنا على الزمن، وهو الفكر، – فالزمن والفكر متواكبان – إذا اتكلنا على التطور، إذ ذاك فإن ألف سنة أو أكثر سوف تمضي، وسنبقى على ما نحن عليه من همجية!

سؤال :سؤالي هو: ماذا يجب أن يحصل حتى يمكن للتطور النفساني، كما يفهمه المتكلم، أن يبدأ؟

ك :ماذا عن التطور النفساني؟ لا أفهم السؤال تمامًا.

س :قلتَ إنك لا تعتقد بأن تطورًا نفسانيًّا قد حصل. سؤالي هو: ماذا يمكن أن يحصل حتى يكون، حتى يمكن لتطور نفساني أن يحصل؟

ك :سيدتي، أخشى ألا نكون قد فهمنا واحدنا الآخر. لقد عشنا على هذه الأرض، كما نعلم من التاريخ، كما ومن التحري القديم، – عشنا على هذه الأرض مدة خمسين ألف سنة أو أكثر أو أقل. وإبان فترة التطور الطويلة تلك، ظللنا، نفسانيًّا، داخليًّا، ذاتيًّا، همجيين إلى هذا الحد أو ذاك – نكره بعضنا بعضًا، نقتل بعضنا بعضًا. والزمن، بما هو التطور، لن يحلّ تلك المشكلة. فهل من الممكن، كما نسأل، لكل كائن إنساني، بما هو بقية العالم، – هل يمكن لتلك الحركة النفسانية أن تتوقف حتى نرى شيئًا جديدًا؟

سؤال :أردت أن أسألك السؤال نفسه في عبارة مختلفة: ماذا يجب علينا أن نفعل حتى نفعِّل هذه المقاومة حيال التطور؟ أود أن أقول شيئًا واحدًا آخر. كان الدكتور [ديڤيد] بوهم حاضرًا هنا في الشهر الماضي، وقال الشيء نفسه الذي تقوله أنت في عبارة أخرى؛ إنه عالِم، وقد شرح المشكلة نفسها. أتساءل عمَّا تظن أن في إمكاننا أن نفعله حالاً لكي نفعِّل هذا؟

ك :فهمت. ماذا يمكن لك أن تفعل حالاً؟ صحيح؟ تغيُّرْ تغيرًا تامًّا – !نفسانيًّا وخارجيًّا في آنٍ معًا. الثورة النفسانية أولاً – ليس التطور، بل *الثورة* –تغيُّرْ تمامًا. ذلك هو العمل الحقيقي للإنسانية، وليس محاولة التلهِّي عنه بأمور ثانوية.

سؤال :لقد قررتَ أن شرطًا هامًّا من شروط فهم البشرية هو البدء في فهم أنفسنا فهمًا واضحًا. هل تتوقع تحقُّق ذلك ضمن هذه الغرف، في غضون الأربعين سنة المقبلة، في الأمم المتحدة؟ – بحيث إن فهم البشرية، من خلال فهمنا أنفسَنا، سيصير جزءًا من صنع القرار على الصعيد العالمي.

ك :لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال لأنني لا أنتمي إلى المنظمة. اسأل الرؤساء!

س :أود أن أضيف نبرة أخرى – نبرة تشجيع أكبر ربما – إلى سؤالي. لقد أشرتَ إلى أن المنظمات قد لا تأتي بالجواب؛ وأشرتَ كذلك إلى أن تاريخ البشرية ينزع بك إلى التشاؤم حول المستقبل أو الخلاص. أعتقد أن الأمر يعتمد على طبيعة المنظمات وعلى ما إذا كانت هذه المنظمات تلبي مصالح البشرية وعلى استعدادها للتطور، كما تتطور الأمم المتحدة

وسواها من الجماعات، وكما يتطور البشر – على افتراض أننا لن نبيد أنفسنا عن بكرة أبينا، وعلى افتراض أننا نستطيع أن نتواصل بواسطة ذلك التعاطف والاحترام المدوَّنين في جيناتنا أيضًا. لا نهاية لما قد نستطيع أن نفعله على هذا الكوكب وخارجه. والمعنى المتضمن هنا، الذي أعتنقه، هو أننا تطورنا لأن لدينا المقدرة على الحب وعلى التعاون، وأننا لسنا هالكين ميئوسًا منهم لمجرد أننا نُظهر الكره والخوف والجشع وأننا استسلمنا في الماضي لمثل هذه الشرور. لكن لدينا في وجود الأمم المتحدة، في حدِّ ذاته، مثالاً على مقدرة الإنسان على النمو وعلى اتخاذ أهداف مشتركة. أعتقد أن الحاضر لا يتضمن المستقبل وأننا نستطيع، بالعمل النشيط في الحاضر، أن نؤثر في مستقبلنا وفي نجاتنا. لذا أسأل: ما هو الجواب عن السؤال الذي طرحتَه حول أن المرء، حين يحقق السلام في نفسه، كيف سيؤثر على بقية البشرية، بالنظر إلى المهلة الزمنية المحدودة؟

ك :ما هو السؤال، سيدي؟

س :سؤالي كان: حين يحقق المرء السلام في نفسه، كيف سيؤثر ذلك في بقية البشرية من دون وجود بُنى تنظيمية؟

ك :لقد شرحتُ ذلك، سيدي، شرحتُه. قولك: إذا تغيرتُ، كيف سيؤثر ذلك في البشرية، في بقية العالم؟ أليس هذا هو السؤال، سيدي؟ على رسلك، سيدي.

س :أجل، هذا هو السؤال.

ك :أعتقد، إذا أجزتَ لي أن أنوِّه بكلِّ احترام، أن هذا السؤال سؤال خاطئ. *تغيَّرْ، تَرَ ما يحدث* .هذا شيء هام للغاية حقًّا. علينا أن ننحِّي جانبًا جميع القضايا الجانبية .أرجوك أن تدرك هول هذا الأمر: أنك أنت بقية الإنسانية – نفسانيًّا .*أنت الإنسانية* .فسواء كنت تعيش في الهند، روسيا، الصين، أو في أمريكا أو أوروبا، أنت بقية الإنسانية، لأنك تتألم، ولأن الجميع على هذه الأرض يتألم بطريقته الخاصة .نحن نتشارك في هذا الألم؛ إنه ليس *ألمي* أنا. إذن، فأنت، حين تطرح سؤال: أي فارق سينجم عن تغيري أو تغيرك، إذا أجزت لي أن أنوِّه بكلِّ تواضع، ينم سؤالك هذا عن خطأ جوهري. أنت تتجنب القضية المركزية. ويبدو أننا لا نواجه أبدًا القضية المركزية، التحدي المركزي الذي يتطلب منا أن نحيا حياة مختلفة تمامًا، ليس كأمريكيين، روسيين، هنود، بوذيين، أو مسيحيين.

أتساءل فيما إذا كنتم تدركون أن المسيحيين كانوا مسئولين عن قتل بشر أكثر من أية ملة دينية أخرى بكثير. لا تغضبوا، أرجوكم! ثم جاء الإسلام، العالم الإسلامي؛ ثم الهندوس والبوذيون جاؤوا بعد ذلك بكثير. إذن، إذا قال المسيحيون المزعومون، بمَن فيهم الكاثوليك، – وهم حوالى ثمانمائة مليون إنسان، – إذا قال هؤلاء: "كفانا حروبًا"، سيكون لكم السلام على هذه الأرض. لكنهم لن يقولوا ذلك. وحدهما البوذية والهندوسية قالتا: "لا تقتل، لأنك إنْ قتلت – وهم يؤمنون بالتقمص – سوف تدفع الثمن في العمر التالي ."لذلك لا تقتل، لا تقتل أقل الأشياء ضآلة، باستثناء ما يجب عليك أن تتغذى به من خضار وما إليها، لكنْ لا تقتل. نحن، كبراهمة، لم ننشأ على هذا النحو، على ألا نقتل ذبابة، ألا نقتل الحيوانات لنقتات بها. لكن هذا كله مضى. لذا، أرجوكم، نحن ننوِّه بأن القضية المركزية لإيقاف الحروب هي أنك يجب أن تضع حدًّا لصراعاتك أنت، لنزاعاتك أنت، لبؤسك وألمك *أنت*.

لماذا نختار؟ – باستثناء الأشياء المادية – بين قماشين جيدين، ملبَسين، بين سيارتين. أنت تختار عندئذٍ بسبب وظيفة هذه الأشياء، سرعتها، إلى ما هنالك. لكنْ نفسانيًّا، لماذا تختار أصلاً؟ لماذا يوجد هذا الخيار؟ هناك خيار طبعًا: تستطيع أن تنتقل من بلدة إلى أخرى، من عمل إلى آخر – ليس في روسيا، ليس في العالم الاستبدادي؛ ففي العالم التوتاليتاري أنت

عالق في مكانك، لا يُسمَح لك بالتنقل إلا بموافقة رؤسائك[16]. وفي هذه البلاد، في مجتمع ديمقراطي مزعوم، لديك خيار في أن تفعل كلَّ ما يحلو لك – وأن تسمي ذلك حرية – أن تُشبع رغباتك، أن تصيب نجاحًا عظيمًا .لديك في ذلك خيارات لا تحصى! لكننا نتكلم على الخيار في المجال النفساني .إذا كنت ترى الأشياء رؤية واضحة جدًّا ينعدم الخيار. ومن سوء الحظ أننا لا نرى الأشياء رؤية واضحة. لا نرى في وضوح أن القومية أحد أسباب الحرب؛ لا نرى في وضوح أن الإيديولوجيات تتسل الحروب، سواء كانت الإيديولوجيات الماركسية، أو لينين، أو لونك الإيديولوجي الخاص. إذن فنحن نختار بين إيديولوجيا وأخرى، بين دين وآخر، بين مجموعة وأخرى – ونتوهم أننا أحرار !هذا، على العكس، يشي بالتشوش. وحين نكون مشوَّشين نتصرف تصرفات مشوَّشة، وبالتالي، نضاعف التشويش، كما يفعل السياسيون – سامحوني!

سؤال :لدينا هنا سؤال مكتوب للسيد كريشنامورتي: هل تؤمن بما يسمَّى الروح المتحققة؟

ك :هل تؤمن بما يُسمَّى أرواحًا متحققة؟ لا أعرف ماذا يعني ذلك. تمهَّل، سيدي.

سؤال :أنا آسف. أنت الآن تتكلم من على منبر عام، وحالما تنتهي هذه المحاضرة سوف تعود ربما إلى خلوة لعلها عزيزة جدًّا عليك. إذن، هناك عند الغالبية من الكائنات البشرية في هذا العالم فَصْلٌ بين الحياة العامة والحياة الخاصة .هل لك أن تعلِّق على هذا التقسيم؟ هل تشعر بأنه يقود إلى النزاع؟ هل هو ضروري؟

ك :بين الحياة العامة والحياة الخاصة؟ هل هذا هو السؤال؟ لماذا تفصل بينهما؟ لماذا نفصل بين الحياة العامة، وكأنها شيء ما في الخارج، وبين الحياة الخاصة؟ لو كان المرء يحيا حياة صحيحة، منضبطة، ليس فكريًّا، بل *كلانيًّا*، إذ ذاك لا تعود ثمة حياة خارجية وحياة خاصة .*كلانيًّا*، يعني أن تحيا *ككائن إنساني كلي*، ليس كطائفي، ليس كفرد، ليس كذهن، أو دماغ، ضئيل وضيع، يتصرف لمصلحتنا الذاتية. آسف إذا كنتُ بهذا الإلحاح. هل انتهينا، سيدي؟

الرئيس :هناك سؤالان آخران.

سؤال :إذا كنت تعيش في سلام، واتفق للطاغية أن يهجم، ألا تدافع؟

ك :ماذا ستفعل عند ذاك؟ إذا كنت تعيش في سلام وهاجمك طاغية أو لص، ماذا ستفعل؟ هذا هو السؤال. هل تحيا في سلام ليوم أو يومين فحسب، أم تحيا حياتك كلها في سلام؟ لو أنك عشت في سلام لسنوات عديدة، إذ ذاك سوف تتصرف التصرف السليم حين تُهاجَم.

أيها السادة، لقد دأب المتكلم على هذا الكلام طوال الستين سنة الأخيرة، وأكثر – في العالم أجمع، باستثناء ما وراء الستار الحديدي؛ فقبل الحرب كان يطوف أوروبا كلها – وهذه الأسئلة طُرِحَتْ على المتكلم طوال ستين عامًا. النموذج نفسه بات يكرِّره الجيلُ الشاب، تكرِّره مدنيةٌ فتية، مثل أمريكا؛ الأسئلة نفسها، بالنية نفسها: الإيقاع بالمتكلم، أو فهم المتكلم حقًّا، أو فهم أنفسهم. فلو أنك حظيت بسوء حظ – أو حسن حظ – الكلام طوال ستين سنة فستعرف الإجابات كلها والأسئلة كلها. ليس هناك فارق بين السؤال والجواب: إذا فهمتَ السؤال فهمًا عميقًا حقًّا لأدركتَ أن الجواب كامن في السؤال.

الرئيس :السيد روبرت ميللر يود أن يطرح سؤالاً.

[16] ألقى كريشنامورتي هذا الخطاب قبل انهيار جدار برلين وسقوط المنظومة الاشتراكية.

روبرت ميللر: طيب، لا أود أن أطرح سؤالاً، بل أن أهنئك على تصريحك، وأن أؤكد أنني، وقد عايشت هذه المنظمة ما يناهز الأربعين عامًا وبلغت من العمر أكثر من ستين عامًا، توصلت إلى النتيجة نفسها التي توصلت إليها أنت. نحن جميعًا مبرمَجون: نُبرمَج على أمَّة، على إيديولوجيا، على دين – وجميع هؤلاء كائنات بشرية متشظِّية. استغرقني الأمرُ أربعين سنة من الإقامة في هذا البيت لكي أبطِلَ برمجتي على الجنسيتين الاثنتين أو الثلاث التي فُرِضَتْ علي؛ وفي كلِّ مرة كنت أحصل كذلك على سلاح لكي أطلق في الاتجاه الآخر! وهاهنا، بعد أن قُدِّرَ لي أن أرى العالم في كلِّيته وأرى الإنسانية في كلِّيتها، استخلصت أن الأهم هو أن تكون *إنسانًا* من أن تكون يهوديًّا أو كاثوليكيًّا أو فرنسيًّا أو روسيًّا أو أبيض أو أسود.

ك: صحيح تمامًا.

ر م: وفي معتقدي أنه محرَّم عليَّ أن أقتل مهما كان السبب، لا في سبيل أمَّة، ولا في سبيل دين، ولا في سبيل إيديولوجيا. وهذه هي الخلاصة التي هي خلاصتك أنت أيضًا.

ك: هل هي خلاصة، سيدي، أم أنها واقع؟

ر م: هذا هو واقعي.

ك: هذا صحيح! ليست خلاصة.

ر م: لن أحاجج حول الأديان، بل سأذكِّر بأن "عينٌ بعين وسنٌّ بسن" ليست بالضبط وصية مسيحية. المسيح، على العكس، رأى أن الطريقة السلامية هي الاهتمام برفاقك البشر، واتصافنا بالرحمة والمحبة تجاه بعضنا بعضًا. لكني أود أن أعرف كيفية كَسْر قالب المواجهة هذا بين البشر. لا أتكلم على الدول، لأن الدول تتشكل من البشر، والحكومات أيضًا؛ فالبشر هم الذين يحكمون البلدان. كيف يمكن لنا أن نحطم هذا القالب؟ كيف لم تتمكن الإنسانية من ممارسة مبادئ بهذا الوهج كالتي كرز بها المسيح من أجلنا، ونصَّتْ عليها جميعُ الأديان أيضًا؟ أود فعلاً أن أتبين فيما إذا كنا نستطيع أن نجد صيغة أو حلاً لكَسْر قالب المواجهة والكره الرهيب ذاك، حتى بين الأسَر، كما نوَّه بذلك كريشنامورتي، لأن الأمر ليس مجرد حرب بين أمم وحسب. ثمة دومًا مواجهة، حتى بين الأطفال: ترى أحدهم مع ماما، فيما الآخر يريد أن يكون هو معها. ذلك القالب، كيف نكسره؟

ك: هل لي أن أجيب عن سؤالك؟ نحن مبرمَجون، كالكمبيوترات – نحن كاثوليك، بروتستانت، بوذيون، إلخ. فكما نوَّه السيد (؟)، نحن مبرمَجون. هل ندرك أو نرى فعليًّا، *فعليًّا*، وليس نظريًّا أو إيديولوجيًّا – هل نرى فعليًّا أننا مبرمَجون؟ أم أنه ليس إلا تصريحًا عَرَضيًّا؟ إذا رأيت أنك فعليًّا مبرمَج، هل تدرك عواقب كونك مبرمَجًا؟ واحدة من هذه العواقب كانت الكراهية، أو الحرب، أو فَصْلَ نفسك عن الآخرين. إذا أدرك المرء أنه مبرمَج، مضغوط، يُكال له الوعظ، وإذا رأى المرء ذلك حقًّا، فإنه يتخلَّى عنه وحسب، ولا يحتاج إلى "صيغة" له. حالما تشكِّل صيغةً فإنك تقع في شِراكها؛ وإذ ذاك فإنك تصير مبرمَجًا من جديد لأنك تملك برنامجك الخاص وذاك الآخر يعطيك برنامجًا آخر. المهم، إذن، هو إدراك واقع أنك مبرمَج، ليس فكريًّا، بل بدمك وطاقتك جميعًا.

الرئيس: بسبب ضيق الوقت، لن نتمكن من طرح المزيد من الأسئلة. بالنيابة عن "جمعية السلام في الأرض" وعن "الحركة من أجل عالم أفضل"، نود أن نشكر ضيفنا المحاضر الموقر والأخ الزميل والسفير باري، وهما الرئيسان الفخريان للجمعية، ونشكركم جميعًا على تجشمكم مشقة المجيء لحضور محاضرة اليوم.

يبقى عليَّ أن أؤدي مراسيم بسيطة جدًّا قبل أن تغادروا .كان السيد كريشنامورتي هنا في العام الماضي في 17 نيسان، حوالى الوقت الذي احتفلنا فيه بيوم "السلام في الأرض". وهذا العام حبانا حسنُ الطالع أن نستقبله بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين لـ"السلام في الأرض" – وقد سبق لكم أن سمعتم بالأمر. بالنيابة عن "جمعية السلام في الأرض" في الأمم المتحدة، نتشرف بتقليدك، سيد كريشنامورتي، أيها المعلِّم العالمي، وسامَ الأمم المتحدة للسلام للعام 1984.

المترجم عن الإنكليزية :**ديمتري أڤييرينوس**

جوهر تعاليم ج. كريشنامورتي

يتلخص في النص التالي الذي كتبه في 21 أكتوبر/تشرين الأول 1980

* * *

الحقيقة أرض بلا دروب. ليس بمستطاع الإنسان أن يدنو منها عبر أي تنظيم، عبر أي مذهب، عبر أي عقيدة أو كاهن أو طقس، ولا عبر أية معرفة فلسفية أو تقنية نفسانية. عليه أن يجدها عبر مرآة العلاقة، عبر فهم محتويات ذهنه، عبر الرصد، وليس عبر التحليل العقلي أو التشريح الاستبطاني.

لقد بنى الإنسان في نفسه صورًا جعلها سياج أمان – صورًا دينية وسياسية وشخصية. وتتجلى هذه الصور على هيئة رموز وأفكار ومعتقدات، فيسيطر عبؤها على تفكير الإنسان وعلاقاته وحياته اليومية .هذه الصور هي سبب مشكلاتنا، حيث إنها تفصل الإنسان عن الإنسان. إدراك الإنسان للحياة مشكَّل وفقًا للمفاهيم التي رسخت مسبقًا في ذهنه. محتوى وعيه هو وجوده كله، وهو يشترك في هذا المحتوى مع البشرية جمعاء. الفردية هي الاسم والشكل والثقافة السطحية التي يكتسبها من التقاليد والبيئة. لكن فرادة الإنسان ليست في السطحي، بل في التحرر التام من محتوى وعيه الذي يشترك فيه مع البشرية بأسرها. ومنه فإنه ليس فردًا.

الحرية ليست ردَّة فعل؛ الحرية ليست خيارًا. يزعم الإنسان أن تمتُّعه بالاختيار يجعله حرًّا. الحرية هي الرصد الصافي بلا اتجاه، بلا خوف من عقاب وثواب. الحرية مجردة من أي دافع؛ الحرية ليست عند نهاية تطور الإنسان، بل تكمن في الخطوة الأولى من وجوده. بالرصد يبدأ المرء باكتشاف انعدام حريته. توجد الحرية في وعينا غير الاختياري بوجودنا وبنشاطنا اليوميين.

الفكر هو الزمن. الفكر وليد التجربة والمعرفة الملازمتين للزمن وللماضي. الزمن هو العدو النفساني للإنسان .فعلُنا قائم على المعرفة، وبالتالي على الزمن، بحيث إن الإنسان عبد دومًا للماضي. الفكر محدود أبدًا، ولذلك نعيش في نزاع وصراع دائمين. ليس هناك تطور نفساني.

حين يغدو الإنسان واعيًا لحركة أفكاره، سوف يرى الانقسام بين المفكر والفكرة، بين الراصد والمرصود، بين الخبرة والمختبر، فيكتشف أن هذا الانقسام ما هو إلا وهم. عندئذ فقط يوجد الرصد المحض الذي هو بصيرة لا يشوبها ظلٌّ من الماضي أو الزمن. وهذه البصيرة اللازمنية تُحدِثُ طفرة جذرية عميقة في الذهن.

النفي المطلق هو جوهر الإيجاب. عندما يكون هناك نفي لكل تلك الأشياء التي أحدَثها الفكرُ نفسانيًّا، عندئذ فقط توجد المحبة، التي هي الرحمة والفطنة.

* * *

شبكة الفكر:

الحديث الأول

أرى بعضًا من أصدقائي القدامى بين الحضور، وأنا سعيد لرؤيتكم هنا. بما أننا سنلتقي سبع مرات، يجب علينا المضي بكثير من الدقة فيما أريد الحديث عنه وهو: الحياة، بكل مجالاتها ومحتوياتها. لذا ألتمس الصبر ممن سمعوا كلماتي هذه من قبل، لأن لما سوف أكرره بعض الأهمية.

هناك شيء مشترك يجمع الآراء المسبقة مع المفاهيم والمعتقدات والأفكار. إذ يفترض بنا أن نكون قادرين على التفكير معًا، إلا أن آراءنا المسبقة وتصوراتنا الذهنية تحدُّ من القدرة والطاقة الضروريتان للتفكير والملاحظة والاختبار المشترك، لنكشف لأنفسنا ما يستتر وراء كل الفوضى، والبؤس، الرعب والدمار والعنف المهول الموجود في هذا العالم. ولنفهم، ليس فقط الحقائق المجردة الظاهرة التي تحصل كل يوم، بل لنفهم أيضًا ما يجري على المستوى العميق، لنفهم معنى ما يجري، يجب أن نكون قادرين على تفحص الأمور معًا، وفهمها معًا، لا أن تفهمها أنت على هواك وأنا على هواي، ولكن أن نفهم معًا المعنى ذاته. سيعيقنا التشبث باعتاداتنا المسبقة وخبراتنا وفهمنا الخاص عن الملاحظة والفهم الصحيح للأمور. التفكير المشترك هام جدًا الآن، لأننا نواجه عالمًا ينحل بسرعة، ينحدر ويتحول إلى مكان لا أخلاق فيه، لا مُقدَّس فيه، حيث لا يحترم فيه الإنسان أخاه الإنسان. لكي نفهم جذور كل هذا، وليس بشكل سطحي، علينا الغوص فيه لإيجاد ما يقبع خلفه. يجب أن نسأل أنفسنا: لماذا تحوَّل الإنسان، أنت والعالم كلَّه، بعد ملايين السنين من التطور، إلى هذا العالم العنيف والقاسي والمدمر، المليء بالحروب وبالقنابل النووية المروعة؟ ربما كان التطور التكنولوجي للعالم أحد الأسباب التي تحوِّل الإنسان إلى هذا الكائن العنيف. لذا، دعونا نفكر معًا، ليس وفقًا لطريقتي، ليس وفقًا لطريقتكم، بل، بكل بساطة، عبر استعمال القدرة على التفكير.

الفكر هو القاسم مشترك بين البشر كلهم. لا يوجد شيء اسمه الفكر الشرقي، أو الفكر الغربي. هناك فقط القدرة المشتركة على التفكير. وسواء كان الإنسان فقير الحال أم غنياً سليلاً لعائلة ميسورة، سواء كان جراحًا أم نجارًا أم عاملاً في حقل أم شاعرًا عظيمًا، فإن الفكر thought هو العامل المشترك بيننا جميعًا. ويبدو أننا لا ندرك ذلك، إذ يفكر كل إنسان تبعًا لقدرته، لطاقته، لخبرته ومعارفه، بينما يفكر الآخر بشكل مختلف تبعًا لخبرته وحاله الخاص. نحن جميعًا أسرى في شبكة الفكر. وهذه حقيقة واقعية لا جدال فيها.

لقد تمت برمجتنا بيولوجيًا، جسديًا، ذهنيًا، وفكريًا أيضًا. يجب أن ندرك أننا مبرمجون، تمامًا كالحواسيب. وقد برمج الخبراء الحواسيب للحصول على النتائج التي يريدونها. وهذه الحواسيب ستتفوق على الإنسان في التفكير يومًا ما، لأنها تستطيع جمع الخبرات، ومن تلك التجارب ستتعلم وتكدس المعرفة حسب برنامجها تمامًا، ستتجاوز تفكيرنا بدقتها وسرعتها الفائقة. لن تكون قادرة على تأليف الموسيقى كبيتهوفن، أو كتابة الشعر مثل كيتس. لكنها ستتفوق علينا في قدرتها على التفكير.

لهذا، ما هو الإنسان؟ لقد تمت برمجته ليكون كاثوليكيًا، بروتستانتيًا، وليكون إيطاليًا أو بريطانيًا وهكذا. لقد تمت برمجته، لقرون، ليعتقد ويؤمن ويتبع عقائدَ معينةً، مبادئَ محددةً، ليكون وطنيًا بما فيه الكفاية ليقاتل في الحروب. لهذا تحول عقله

إلى ما يشبه الحاسوب دون أنْ تكونَ له قدرةُ الحاسوب على التفكير–الإبداع، لأن فكره محدود، بينما الحاسوب – رغم محدوديته أيضاً – قادر على التفكير بشكل أسرع بكثير من الإنسان، ويستطيع التفوق عليه بكل سهولة.

هذه حقائق، هذا ما يجري حقًا. والآن، بعد هذا كله، ماذا يبقى للإنسان؟ ماذا سيكون الإنسان؟ وإذا كانت الآلات والحواسيب قادرة على القيام بغالبية ما يفعله البشر فما هو شكل المجتمع المستقبلي للإنسان؟ إلى ماذا سيتحول الإنسان – ككائن اجتماعي – عندما ستصنع الآلات والحواسيب السيارات بشكل أفضل من البشر؟ هذه هي التساؤلات التي تواجهنا الآن بالإضافة إلى إشكالات أخرى. لم يعد بوسعك بعد الآن أن تفكر كمسيحي أو كبوذي أو كهندوسي أو كمسلم. فنحن نواجه أزمة هائلة لا يستطيع السياسيون حلَّها أبدًا، لأنهم مبرمجون على التفكير بطريقة معينة. كما لا يستطيع العلماء فهمها أو حلَّها، ولا رجال الأعمال الذين يعيشون في عالم المال. إن نقطة التحول أو القرار الصحيح، التحدي، ليس في السياسة أو في الدين أو في ميادين العلم، بل في وعينا. على المرء أن يفهم وعي البشرية الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه! وعليه أن يكون جديًا تمامًا في تعامله مع هذا الموضوع، لأننا نواجه حقًا وضعًا خطيرًا حول العالم، نواجه تكاثر القنابل النووية التي سيقوم مجنونٌ ما بتفجيرها. يجب أن ندرك هذا جميعًا وأن نفهمه.

على الإنسان أن يكون جديًا للغاية، وليس ثرثارًا فارغًا ولامباليًا، بل مهتمًا بحق، كي يفهم هذا السلوك ويفهم كيف أوصلنا الفكر الإنساني إلى هذه النقطة. علينا التقدم خطوة خطوة وبحذر شديد، وبملاحظة دقيقة، لنكشف معًا ما يجري خارجًا هناك، وداخلنا أيضًا. دائمًا تتغلب الفعالية السيكولوجية المنعكسة نحو الأعماق على الفعالية الخارجية، فمهما كانت القرارات والقوانين والأنظمة التي تتبناها خارجيًا، فهي في النهاية أمور تدمرها رغباتنا النفسية، تحطمها مخاوفنا وقلقنا ولهفتنا وتوقنا إلى الشعور بالأمان. وما لم نفهم هذا، ستتغلب الفوضى الداخلية باستمرار على أي نظام خارجي نسير وفقه في حياتنا، مهما بدا مطابقًا ومنضبطًا وملائمًا ظاهريًا لجميع القوانين. قد توجد مؤسسات مبنية بكل حذر وعناية (سياسية أو دينية أو اقتصادية)، ولكن مهما كان بناؤها متينًا ستكون عرضة للانهيار ما لم يكن وعينا الداخلي في حالة انتظام تام. لقد رأينا هذا في التاريخ، وها هو يحصل اليوم أمام أعيننا. هذه حقيقة.

تكمن نقطة التحول في وعينا. ووعينا مسألة معقدة للغاية، لهذا كتبت حوله المجلدات في الشرق وفي الغرب. نحن لسنا مدركين لوعينا. ولكي يختبر الفرد هذا الوعي المعقَّد عليه أن يكون حرًا في أن ينظر أنى يشاء وأن يدرك تحركات الوعي. لا أريدكم أن تفهموا أني أقصد الإنصات إلى جميع تحركات الوعي الداخلية بشكل خاص. فالوعي موجود لدى الناس جميعًا. في كلِّ أنحاء العالم يشعر الإنسان بالمعاناة داخليًا وخارجيًا. هناك قلق، شك، خيبة وإحباط من الوحدة. هناك شعور بانعدام الأمان، بالغيرة، بالجشع والحسد والعذاب. الوعي البشري كلٌّ واحد لا يتجزأ. لا يخصك وحدك أو يخصني وحدي. إنها حقيقة منطقية وعقلانية: أنَّى ذهبت، ومهما كان الطقس الذي تعيش فيه، وسواء كنت ميسورًا أم فقيرًا، سواء كنت مؤمنًا بالله أو بأي كيان آخر، فإن الإيمان والاعتقاد بوجود شيءٍ ما مشترك لدى جميع البشر – قد تختلف التصورات والرموز كليًا من مكان إلى آخر إلا أنها تنبع من المكنون المشترك لدى البشر جميعاً. هذا ليس مجرد حكم نظري. فإن اعتبرته كذلك، إن تعاملت معه كمجرد فكرة، أو كمفهوم، فإنك لن تتلمس المعنى العميق المتضمن فيه. وهذا يعني أن وعيك هو وعي البشرية كلها لأنك تعاني وتقلق وتشعر بالوحدة وبالخوف وبالارتباك تمامًا كالباقين، حتى لو كانوا يعيشون على بعد عشرات آلاف الأميال. إن إدراك هذه الحقيقة، والإحساس بها، الشعور بها في أعمق الأعماق، يختلف كليًا عن القبول بحرفيتها. وعندما تدرك أنك البشرية كلها ولستَ جزءًا واحدًا منها فقط ستشعر بطاقة عارمة تملؤك لأنك انعتقت من الحيز الفردي الضيق الذي تعيش فيه، من دائرة "الأنا" و"الأنت"، من مفاهيم "نحن" و"هم" المحدودة. نحن نشهدُ معًا تفتح الوعي الإنساني المعقد، لا الوعي الأوروبي، أو الآسيوي أو الشرق أوسطي، وهي عملية استثنائية كانت تجري في الوعي عبر الزمن لملايين السنين.

أرجوكم لا تقبلوا ما أقوله، لأن القبول وحده يفرغ كلامي من معناه. إذا لم تشك وتتساءل وتبحث لتجد بنفسك، إذا تمسكت بمعتقداتك الأصلية وإيمانك وتجربتك أو معارفك المتراكمة عبر السنوات، ستعتبر الموضوع تافهًا غير ذي أهمية أو معنى. وإذا فعلت ذلك، لن تواجه المسألة الهائلة التي تواجه الجنس البشري.

علينا أن نفهم حقًا ماهية الوعي، وأن الفكر وجميع تشكيلاته جزء من وعينا (الثقافة التي نشأنا ضمن شروطها والقيم الأخلاقية والضغوطات الاقتصادية والموروثات القومية). إذا كنت جراحًا أو نجارًا أو متخصصًا بمهنة ما فإن وعي تلك الجماعة جزء من وعيك. إذا كنت تعيش في بلد ما، له عاداته وموروثاته الدينية، فإن ذاك الوعي الجمعي هو جزء من وعيك. هذه حقائق. عليك التمتع ببعض المهارات إذا كنت نجارًا. عليك فهم طبيعة الخشب والتمرس في استعمال أدوات تلك المهنة حتى تنتمي بالتدريج إلى الجماعة التي حافظت على تلك المهنة ومهاراتها، ولهذا الوضع وعيه الخاص. وكذلك العالِم والاختصاصي في الآثار. لكل جماعة وعيها الخاص، كما للحيوانات وعي جمعي خاص بكل نوع منها. إذا كنتِ ربة منزل فلديكِ وعيكِ الجمعي الخاص الذي يضمك وكل ربات البيوت. لقد انتشر التحرر عبر العالم منطلقًا من أقاصي الغرب إلى كل أصقاع الدنيا. وهذه حركة وعي جماعية. هل تلمح معناها؟ اختبرها بنفسك، لأجلك، لترى ماذا تعني.

كذلك يتضمن الوعي مخاوفنا في أعمق أعماقه، لأن الإنسان عاش برفقة الخوف جيلاً بعد جيل. عاش برفقة المتعة والحسد وكل عذابات الوحدة والإحباط والتخبط، مع الحزن العظيم، مع ما يسميه حبًا، ومع خوفه الأزلي من الموت. يتكون وعي الإنسان من كل هذه الأشياء المألوفة لدى جميع البشر. هل تفهم ماذا يعني كل هذا؟ إنه يعني أنك لست فردًا منعزلاً وحيدًا كما كنت تعتقد. وهذا مفهوم لا نستوعبه بسهولة مطلقًا لأنه تمت برمجتنا كالحواسيب تمامًا لنعتقد أننا أفراد منفصلون عن بعضنا البعض. لقد بُرمجنا دينيًا لنعتقد أن لكلٍّ منا روح منفصلة عن بقية الأرواح الأخرى. وهكذا عمل الدماغ البشري قرنًا بعد آخر مُكررًا النمطَ نفسَه الذي بُرمج ليعمل به.

عندما يفهم الإنسان طبيعة الوعي تتحول معاناتي الخاصة (أناي المنفردة) إلى شيء جماعي، وعندها سيحصل شيء مختلف تمامًا. تلك هي الأزمة العالمية التي نمر بها اليوم. لقد تمت برمجتنا، ونحن لا نستطيع التعلم إلا لأننا مبرمجون (مارين بين الحين والآخر بومضة إلهام) مكررين أنفسنا المرة تلو الأخرى. فكر فقط بهذه الحقيقة: يكون الإنسان مسيحيًا أو بوذيًا أو هندوسيًا، وقد يكون معاديًا للشيوعية أو شيوعيًا أو ديمقراطيًا، وكلها أنماط مكررة. وفي خضم حالة التكرار هذه تحصل الصحوة.

لهذا نتساءل: كيف بوسع كائن بشري وحيد (والذي هو في الواقع البشرية بأكملها) أن يواجه الأزمة ونقطة التحول؟ كيف ستواجه أنت، يا إنسان، يا من تطورت ألفية تلو الأخرى، يا من تفكر كفرد وحيد – وهذا مفهوم وهمي ومضلل –، كيف ستواجه نقطة تحول مفصلية في وجودك؟ كيف ستعرف الحق وكيف ستتخذ مسارًا جديدًا مختلفًا بعيد اكتشافك للحقيقة؟

لنحاول أولاً أن نفهم معًا ماذا تعني الرؤية الحقة، بعين البصيرة، كي نرى ونفهم حقيقة الفكر. جميعكم تفكرون. ولهذا أنتم هنا. جميعكم تفكرون، والفكر يعبرعن نفسه بالكلمات أو بالإيماءات، من خلال نظرة، أو عبر لغة الجسد. وعلى اعتبار أن الكلام لغة مشتركة بيننا، نحن نفهم من خلال الكلمات معاني ما يقال. إلا أن الفكر عامل مشترك بين البشر جميعًا – هو شيء استثنائي يفوق تصوراتك إذا اكتشفته، وعندما تفعل ستعرف أنه ليس فكرك وحدك، وأنه لا يخصك وحدك. لأنه الفكر. علينا أن نتعلم كيف نرى الأشياء كما هي حقًا، وليس كما بُرمجت لتعتقد. هل ترى الفرق؟ هل نستطيع التحرر من برمجتنا والنظر؟ لو فكرت كمسيحي، أو كديمقراطي، أو كشيوعي، أو ككاثوليكي، أو كبروتستانتي – وهي جميعها تحيزات مسبقة – فلن تفهم مقدار الخطر الضخم، والأزمة التي نواجهها. إذا انتميت إلى فئة معينة، أو كنت تتبع معلمًا ما، أو كنت ملتزمًا بنوع معين من السلوك، فإنك لن تستطيع اكتناه الأمور كما هي حقًا لأنك تكون قد بُرمجت مسبقًا. بوسعك أن تلحظ الحقيقة

فقط إذا كنت حرًا وغير منتمٍ إلى أي منظمة أو جماعة أو ديانة أو جنسية. وإن كنت قد اكتسبت الكثير من المعرفة من الكتب والتجارب الحياتية، فإن دماغك الآن مترع، مزدحم بالتجارب والمواقف الخاصة، وكل هذا يمنعك من الفهم. هل بوسعنا التحرر من كل ما سبق لننظر إلى حقيقة ما يحصل حقًا في العالم ونفهمه، وإلى الإرهاب والجماعات الدينية الطائفية المتعصبة الرهيبة حيث نجد معلمًا أحمق يقف ضد معلم أحمق آخر، وإلى التفاهات التي تبطنها السلطة والمكانة والثروة؟ سنجد أنها مروعة. هل تستطيع النظر بنفسك لترى ذاتك كإنسان هو حقًا كل البشرية وليس مجرد كائن بشري منفصل؟ إن امتلاك هذا الشعور يعني أنك تمتلك محبة هائلة للبشر كلهم.

عندما تستطيع النظر بوضوح، ومن دون تشوهات في الرؤية، ستبدأ بالتساؤل وبتقصي طبيعة الوعي، بما في ذلك طبقاته العميقة جدًا. عليك أن تبحث في حركة الفكر بكاملها، لأن الفكر هو المسؤول عن كل محتويات الوعي، السطحي منه والعميق. لأنه إذا لم يكن لديك فكر فهذا يعني أنك بلا مخاوف، وبلا قدرة على الاستمتاع، وبلا زمان. لأن الفكر هو المسؤول. الفكر هو المسؤول عن جمال كاتدرائية عظيمة، لكنه مسؤول أيضًا عن كل الجنون الذي يجري تحت سقفها. كل إنجازات الرسامين العظام والشعراء والموسيقيين هي من إبداعات الفكر. يسمع المؤلف الصوت الرائع في داخله ويكتبه على الورق. هذه حركة من حركات الفكر. والفكر مسؤول عن كل الآلهة المعبودة على الأرض، عن كل المخلِّصين والمعلمين، وكل الطاعة وعن كل التكريس الموجود. لأن كل ما تراه حولك هو نتيجة الفكر الذي يتوق إلى الرضى والهرب من الوحدة. فالفكر هو العامل المشترك بين أبناء الجنس البشري. حيث يفكر أفقر قروي هندي كما يفكر أكبر المدراء التنفيذيين هنا، كما يفكر القائد الديني. هذه حقيقة يومية وعادية. إنها الأرضية التي يستند إليها كل البشر. لذلك لا تستطيع الهرب منها.

قام الفكر بكثير من الأمور الرائعة التي ساعدت الإنسان، لكنه جلب أيضًا الدمار الهائل والرعب للعالم. لذلك علينا أن نفهم طبيعة وحركات الفكر؛ لماذا تفكر بطريقة ما بعينها؛ لماذا تتشبث بأنواع محددة من التفكير؛ لماذا تتمسك بتجارب معينة؛ لماذا لم يفهم الفكر أبدًا طبيعة الموت؟ علينا أن نستقصي بنية الفكر ذاتها – ليس فكرك أنت وحدك، لأنه واضح المكونات، باعتبار أنك مبرمج. ولكن إذا تساءلت بجدية عن ماهية التفكير بحد ذاته فإنك ستلج بعدًا مختلفًا كليًا، وهو ليس بُعد مشكلتك الصغيرة المحددة. عليك أن تفهم تحركات الفكر المهولة، طبيعة التفكير – لا كفيلسوف، ولا كشخص متدين، ولا كفرد منتمٍ إلى مهنة معينة أو كربة منزل؛ بل نشاط التفكير العظيم الاتساع.

والفكر هو المسؤول عن كل الوحشية والحروب وأدواتها القاسية، عن كل القتل والرعب ورمي القنابل واحتجاز الرهائن باسم قضية أو بلا قضية. كما هو مسؤول أيضًا عن الكاتدرائيات وعن روعة بنائها وعن القصائد الشعرية البديعة، وعن التطور التقني والحاسوب وقدرته الفائقة على التعلم والتفوق على التفكير البشري. فما هو التفكير؟ إنه استجابة، ردة فعل الذاكرة. لأنك لو لم تمتلك ذاكرة لما كنت قادرًا على التفكير. يخزِّن الدماغ الذكريات كمعرفة، كنتيجة للتجربة. وهذه هي طريقة عمل أدمغتنا. في البدء كانت التجربة، والتجربة قد تعود لبداية وجود الإنسان على الأرض، وهي ما ورثناه. وهذه التجربة تنتج المعرفةَ التي يخزنها الدماغ؛ ومن المعرفة تلد الذاكرة ومنها يولد الفكر. والفكر يدفعك إلى التفاعل وإلى الفعل، ومن ذاك الفعل تتعلم المزيد. لهذا فأنت تدور باستمرار في الدائرة نفسها: الخبرة، المعرفة، الذاكرة، الفكر، الفعل، التعلم من الفعل وهلم جرا. هكذا تمت برمجتنا. وهذا ما نفعله: نحن نتذكر الألم، ولهذا نتفادى في المستقبل الشيء الذي سبَّب لنا هذا الألم، ما يعني أن هذا السبب قد تحول إلى معرفة ومن ثم أصبح يكرر. والمتعة الجنسية مثال آخر، يملي عليك الفكر أن تكررها. إنها حركة الفكر. هل ترى جمال الطريقة الميكانيكية التي يعمل الفكر وفقها؟ يقول الفكر لنفسه: أنا حر، وأعمل كما أشاء. إلا أنه ليس حرًا أبدًا لأنه مبني على المعرفة، والمعرفة محدودة دومًا، ويجب أن تكون محدودة دومًا لأنها بعض من الزمن. أريد أن أتعلم أكثر، وكي أتعلم أكثر يجب أن أحظى بالوقت. أنا لا أعرف الروسية لكني سأتعلمها، أحتاج إلى ستة

أشهر أو إلى عام أو إلى عمري كله. المعرفة هي حركة الزمان. والزمان والمعرفة والفكر والفعل هي الدائرة التي نعيش فيها. الفكر محدود، لهذا فإن كل فعل ناجم عنه محدود أيضًا، وهكذا محدودية تولد، بشكل حاسم، صراعًا.

لو قلت إني هندوسي، هندي، فأنا محدود بقولي هذا، وهذه المحدودية لا تجلب الدمار فقط بل الصراع أيضًا لأن آخرًا سيقول: أنا مسيحي، أو أنا بوذي. ولهذا ترانا نتناحر. وحياتنا من الولادة حتى الموت سلسلة من الصراعات والتمزقات التي نحاول التهرب منها دومًا وبلا انقطاع، مما يسبب مجددًا المزيد من الصراع. نولد ونعيش ونموت في قلب هذا الصراع المستمر والأبدي. لا نبحث أبدًا عن جذوره، التي هي الفكر، لأن الفكر هو المحدود. لكن أرجوكم لا تسألوا: كيف أوقف الفكر؟ فهذه ليست الغاية. إنما الغاية هي فهم طبيعة الفكر، فهمه كما هو حقًا.

12 تموز 1981

الحديث الثاني

كنا نقول إن الوعي متشابه لدى جميع البشر. وأينما كنت تعيش، في الشرق أو في الغرب، فإن الوعي يتألف من عدة طبقات هي المخاوف والأمور التي تدعونا للقلق والرغبات والآلام وكل أشكال الإيمان. وبين الحين والآخر نجد الحب أيضًا في الوعي، والحنان والشفقة، ومن هذا الحنان بالذات يتولد نوع مختلف تمامًا من الذكاء. أما الخوف من الاندثار، من الموت فهو موجود دومًا. ومنذ فجر التاريخ حاول الإنسان حول العالم أن يجد شيئًا مقدسًا يتجاوز كل فكر، شيئًا لا يفسد ولا يتخرَّب، شيئًا أزلي الوجود.

يوجد الوعي الجماعي لدى مختلف المجموعات، مثل وعي مجموعة رجال الأعمال، ووعي مجموعة العلماء والنجارين، وغيرهم. وهذه كلها تصوغ جزءًا من محتويات الوعي الكلي، وهي حتمًا نتيجة للفكر، حيث قام الفكر بخلق أمور رائعة الجمال من الحواسيب ذات التقنية الفائقة، إلى الاتصالات، إلى الآليين، وصولاً إلى أدق العمليات الجراحية والأدوية. وقام أيضًا باختراع الديانات، حيث أن كل المنظومات الدينية حول العالم موجودة وتتراكب مع بعضها بسبب الفكر.

اخترع الفكر الحاسوب، لهذا علينا أن نفهم تعقيداته وأن نحاول تصور مستقبله، لأنه سيتفوق على فكر الإنسان، وسيغير بنية المجتمعات والحكومات. وهذا ليس استنتاجًا مذهلاً مني، وليس فكرة خيالية، بل هو حقًا أمر يحدث الآن، وقد لا تكون على علم به. للحواسيب ذكاء ميكانيكي، فهي تستطيع التعلم والاختراع. كما سيجعل الحاسوب من جهد الإنسان أمرًا لا لزوم له عمليًا – ربما سيكون عمل الإنسان ساعتين مثلاً يوميًا. إن كل هذه تحولات قادمة دون شك. قد لا تحبذها، وقد تثور ضدها، لكنها قادمة دون شك.

لقد اخترع الفكر الحاسوب، لكن فكر الإنسان محدود والذكاء الميكانيكي للحاسوب سيتجاوز ذكاء صانعه، لهذا سيقوم بإحداث تغييرات ثورية في حياتنا. ولهذا أيضًا أسأل: ماذا يبقى للإنسان؟ ماذا سيحدث للإنسان في تلك الحالة؟ إن كل هذه الأمور حقائق، وهي ليست نتائج خاصة بالمتكلم.

عندما أفكر بمقدرة الحاسوب وقابليته وسعته أجد أننا يجب أن نسأل أنفسنا: ماذا يجب على الإنسان أن يفعل؟ وما الذي سيحصل للدماغ عندما يتولى الحاسوب القيام بمعظم نشاطاته؟ عندما يحتل الحاسوب أو الرجل الآلي حيز الإنسان ومكانته، فماذا سيبقى للإنسان؟ لقد تمت برمجتنا بيولوجيًا وذهنيًا وعاطفيًا ونفسيًا عبر ملايين السنين، وما نفعله هو أننا نكرر النمطَ المبرمج نفسه مرارًا وتكرارًا. لقد توقفنا عن التعلم، وعلينا التحقق من قدرة الدماغ، الذي بُرمج لقرون عديدة، على التعلم والاهتداء إلى بعد جديد. إذا لم نكن قادرين على ذلك سيتولى الحاسوب – الذي يمتلك قدرات وسرعة ودقة أكثر منا – مهام الدماغ ونشاطاته.

وهذا ليس أمرًا عابرًا وعاديًا. هذا موضوع هام جدًا جدًا. لأن الحاسوب قادر على اختراع دين جديد، حيث يستطيع باحث هندوسي خبير، أو كاثوليكي أو بروتستانتي أو مسلم، برمجته ليقوم بهذه المهمة، وقد ينتج عن ذلك دين جديد بديع البنية! ونحن، إن لم نكن واعين لما يجري، فإننا سنتبع تلك الرسالة الجديدة التي تمخض عنها الحاسوب. انظر إلى جدية كل هذا، أرجوك.

لقد تمت برمجة وعينا لآلاف وآلاف السنين بحيث نعتبر أنفسنا فرادى، كيانات منفصلة تجاهد في صراع يبدأ من لحظة الولادة ولا ينتهي سوى بالموت. هذا ما بُرمجنا لنعتقده. وهو ما نقبله عمومًا. لكننا لم نختبره أبدًا، ولم نسأل مرة عن احتمال العيش دون صراع. وبما أننا لم نسأل ذاك السؤال فإننا لن نتعلم شيئًا عن الإجابة. ونكرر، إن كياننا ووجودنا مفطور على

الصراع – فالطبيعة دومًا في حال من الصراع: هذه هي حجتنا. لذلك نحن لا نرى العملية التطورية إلا من منظور الصراع. لقد حافظت المؤسسات الدينية عبر التاريخ على فكرة الخلاص الفردي. ونتسائل بكل جدية: هل هناك وعي فردي؟ هل لديك – أنت كإنسان – وعي منفصل عن وعي بقية البشر؟ عليك أن تجيب على السؤال لا أن تحتال عليه.

وبما أننا رُبينا، وبُرمجنا، وكُيِّفنا لنكون فُرادى، فإن وعينا محدود بنشاط الفكر هذا. والخوف والسعي حثيثًا للحصول على السعادة هي إملاءات الفكر. المعاناة والقلق والشك والأسف الذي يملأ أعماقنا، والجراح، وأحمال القرون الماضية المثقلة بالندم، هذه كلها أجزاء من الفكر. إنه المسؤول عما نسميه الحب الذي تحول إلى متعة حسية بحتة، إلى شيء تتمناه وترغبه.

كما قلنا، وسنكرر المرة تلو الأخرى حتى نتأكد بشكل نهائي أننا نفكر معًا، لا يحاول المحاضر أن يملي عليكم ما يجب أن تفكروا به، فما يقوم به ليس دعاية على الإطلاق – فالدعاية أمر فظيع، إنه لا يحاول تعليمكم كيفية التصرف، ولا ما عليكم الإيمان به، ولكن معًا لنحاول استقصاء الكارثة التي تحصل في العالم الخارجي، تلك القسوة الرهيبة وذلك العنف الذي لا يرحم، بالإضافة إلى الصراع المهول الدائر في داخل كل إنسان. لنحاول معًا دراسة ما يجري، فالأمر ليس – كما قد يشير البعض – أنك تستمع إلى بعض الأفكار أو النتائج الجاهزة، فنحن لا نتحدث عن أفكار ونتائج أو معتقدات، نحن في الحقيقة نتقصى هذا العالم الذي صنعه البشر، فجميعنا مسؤولون عنه، وعلينا أن نفهم بوضوح – مهما كانت سوية استيعابنا وفهمنا، سواء كان هذا الفهم عقلانيًا حرفيًا أم فهمًا حقيقيًا للمعنى العميق ما يجعلنا قادرين على فهم الأفعال – أننا وصلنا إلى نقطة مفصلية توجب علينا اتخاذ قرار. وهذا لن يكون عن طريق الممارسة، إنما سيكون ذلك القرار الذي يأتي لوحده حين نبدأ بفهم الطبيعة الكلية لبنية العالم، الخارجي والداخلي معًا. ومثل هذا الفهم سينجم عنه قرار وفعل.

لقد خلق الفكر المعضلات المحيطة بنا، وتدرَّبت أدمغتنا وتعلَّمت وتكيفت لحلِّ هذه المشاكل. خلق الفكر معضلات كالنزاعات القومية. كما خلق الفكر النزاعات والصراعات بين البنى الاقتصادية المختلفة. وخلق الفكر الديانات المتباينة والاختلافات بينها، لهذا يوجد الصراع. وقد دُرِّب الدماغ ليحاول حلَّ تلك الصراعات الناتجة عن الفكر. لذلك فإن الفهم العميق لطبيعة التفكير وطبيعة ردود أفعالنا الناتجة عن تفكيرنا يعتبر أمرًا أساسيًا. يهيمن الفكر على حياتنا أيًّا كانت الأعمال التي نقوم بها. لهذا فإنه وراء كل أفعالنا. لهذا فإن الفكر يعمل دائمًا سواء كانت الفعالية حسية أم ذهنية أم بيولوجية. لقد بُرمج الدماغ وكيِّف بيولوجيًا طوال قرون (بينما يتصرف الجسد بطريقته الخاصة من خلال التنفس وضربات القلب وهكذا)، لذا، حين تكون كاثوليكيًا، هندوسيًا أو بوذيًا، فإنك تكرر تلك الإشراطات المسبقة مرة تلو الأخرى. الفكر سيرورة زمانية ومكانية. الفكر هو الذاكرة، وتذكُّر الماضي. الفكر هو الأفعال الناجمة عن المعرفة المتراكمة عبر ملايين السنين والمختزنة كذاكرة في الدماغ. لذلك فإنك إن راقبت نشاط تفكيرك لوجدت أن التجربة والمعرفة هما أسس حياتك. والمعرفة لا تنتهي أبدًا، وهي دومًا تترافق مع الجهالة. ونحن نعتقد أن المعرفة كفيلة بحلِّ كل مشاكلنا، فسواء كانت المعرفة هي معرفة القس أم المعلم أم العالِم أم الفيلسوف أم آخر الأطباء النفسيين. نحن لم نتساءل أبدًا عن إمكانية المعرفة في حلِّ أي من مشاكلنا – ما عدا ربما تلك التقنية منها.

وتتراكم المعرفة عبر الزمن. فلكي تتعلم لغةً ما تحتاجُ إلى الوقت. كما أن التمكن من مهارة ما كقيادة السيارة بكفاءة يتطلب وقتًا. وهذا ينطبق أيضًا على المجال السيكولوجي. فهناك أيضًا نقول: أحتاج إلى وقت كي أعرف ذاتي، أحتاج إلى وقت كي أغير نفسي مما أنا عليه الآن إلى ما يجب أن أكون عليه. إن تطبيق نشاط العالم الخارجي على العالم النفسي الداخلي يعني أن عامل الزمن هو عامل كبير الأهمية في حياتنا – المستقبل منه والماضي والحاضر. والزمن هو فكر. الزمن ضروري من أجل تحصيل المعارف عبر الخبرات، سواء في العالم الخارجي أو في داخل النفس. هكذا تمت برمجتنا.

ولأننا بُرمجنا بهذا الشكل، فإننا نعتبر أن الوقت هو عامل هام لإحداث تغيير أصيل عميق وأساسي في البنية البشرية. ونحن نستعمل الوقت كفكر. فكما تقول (أنا ذاك، أو سأكون كذا)، كذلك تقول في العالم التقني (لا أعرف كيفية بناء حاسوب لكنني سأتعلم). الوقت والمعرفة والذاكرة والفكر شيء واحد. هي ليست أبدًا نشاطات منفصلة بل إن حركتها واحدة. والفكر الناجم عن المعرفة سيبقى دائمًا غير مكتمل، لهذا فهو محدود كما أن المعرفة غير مكتملة. وكل ما هو غير مكتمل يولد الصراع حتمًا. القومية محدودة، الإيمان الديني محدود، التجارب التي مررت بها أو التي تتوق إلى تجربتها جميعها محدودة. كل تجربة مشروطة بمحدوديتها.

السائل: لماذا؟

كريشنامورتي: لأن هناك المزيد من التجارب. قد تكون لي تجربة جنسية، أو قد تكون لدي خبرة في جمع المال، أو خبرة في الزهد فأتخلى عنه وأذهب للعيش في دير. لكن هذه كلها تجارب محدودة. وبالتالي فإن الفكر محدود. وبما أن الفكر محدود فإنه يولد المشاكل على الدوام – مشاكل وطنية واقتصادية وانقسامات دينية –، ومن ثم يأتي ليقول: "عليَّ حلُّ هذه المسائل". وهكذا فإن الفكر مشغول دومًا بحل المشاكل. هل فهمت؟ أنا أتساءل إن كنت فهمت هذا؟ أمَّا الحاسوب (الذي تمت برمجته) فإنه يستطيع التفوق علينا جميعًا لأن لا مشاكل لديه، إنما هو يتطور، ويتعلم ويتحرك. لن أغوص الآن في هذا الموضوع.

لقد تمت برمجة وعينا بحيث يرى أنه وعي فردي، صحيح؟ ونحن نبحث اليوم فيما إذا كان هذا الوعي – الذي نسلِّم بفردانيته – فرديًا تمامًا. لا تقل: ما الذي سيحدث إذا لم أكن فردًا متميزًا؟ لأن ما قد يحصل هو شيء مختلف تمامًا. قد تكون لك تجربتك الخاصة، أو عملك الخاص في مهنة ما، وقد تكون جراحًا أو طبيبًا أو مهندسًا... إلخ، إلا أن كل ما سبق لا يجعل منك فرديًا. قد يكون لك اسمك الخاص المختلف، وشكلك الخاص المختلف، لكنها لا تعني فرديتك، كما لا يؤكدها أيضًا تسليم ذهنك بها وقبوله لها عبر الزمن قائلاً: "أنا ذو شخصية مميزة، وأرغب أن أتحقق عبر الصراع". فذلك الشيء الذي يسمى الوعي الفردي، ذلك الوعي الخاص بك وحدك، هو وعي الإنسانية جمعاء.

وإذا كان وعيك، الذي تعتبره منفصلاً، هو غير منفصل فما هي طبيعة وعيك؟ تشكِّل الاستجابات الحسية جزءًا منه، وهي استجابات مبرمجة من أجل الدفاع عن النفس بشكل طبيعي وبالضرورة، كالجوع فيما يتعلق بالبحث عن الطعام وكالتنفس اللاإرادي، لأنك مبرمج بيولوجيًا؛ كما يتضمن وعيك كل أذى وكل جرح تعرضت له منذ طفولتك المبكرة، وأشكال عديدة من مشاعر الذنب؛ ويتضمن الأفكار المختلفة والحقائق الخيالية والتجارب العديدة، الحسية منها والنفسية. هنا توجد أسس وجذور الخوف بأشكاله المتعددة. وإلى جانب الخوف، بشكل طبيعي، توجد الكراهية. وأنى وجد الخوف وجد العنف، والعداء، والاندفاع الرهيب للفوز في العالمين المادي والنفسي على حد سواء. كما يتضمن الوعي السعي إلى تحقيق السعادة والمتعة كمتعة الامتلاك، أو السيطرة، أو متعة امتلاك الثروة التي تعطي صاحبها السلطة، أو متعة الفيلسوف بمعرفته الضخمة أو متعة المعلِّم (الغورو) من خلال سيركه، لأن للمتعة أشكالاً لا تنتهي. كما يحتوي الوعي أيضًا على الألم والقلق والإحساس العميق بالوحدة وبالأسى. ولا يقتصر هذا على الأسى الشخصي بل يمتد ليشمل الألم الجماعي الهائل الذي تسببه الحروب والإهمال من خلال تلك السلسلة التي لا تنتهي، كاحتلال الجماعات لجماعات أخرى. إن هذا الوعي يحتوي على العنصرية والفئوية، وفي النهاية يحتوي على الموت.

هذا هو وعينا – إنه معتقداتنا، ويقينياتنا، وشكوكنا، وهواجسنا، ووحدتنا، وشقاؤنا اللانهائي. هذه حقائق. وبعد كل هذا نقول: هذا هو وعيي الفردي!. هل هو كذلك حقًا؟ اذهب إلى الشرق الأقصى أو الأدنى، إلى أميركا أو إلى أوروبا... إلى أي مكان يعيش فيه الناس، وستجد أنهم جميعًا معذبون، وقلقون، ووحيدون ومحبطون ومكتئبون، ويعيشون في حال صراع

ونضال دائم. سترى أنهم مثلك تمامًا. لذلك، هل يختلف وعيك عن وعيهم؟ أعرفُ أن قبول الناس لهذه الفكرة صعب جدًا – فقد يقبلها العقل وقد يقول المرء لنفسه: "نعم. ربما هذا صحيح"، لكن الإحساس بالوعي الإنساني الجماعي والكلي، والشعور بأنك البشرية بأكملها ولست جزءًا صغيرًا منها يتطلب مقدارًا هائلاً من الحساسية. إنها ليست مشكلة يتوجب عليك حلها. المشكلة ليست في أن عليك القبول بأنك لست شخصًا منفردًا، وأن عليك المجاهدة لتشعر بهذا الكيان البشري الكوني. لأنك لو فعلت ذلك فإنك ستحول ما تبتغيه إلى مشكلة أخرى يكون دماغك بالطبع فيها أكثر من جاهز لمحاولة حلها! ولكن، من ناحية أخرى، إن تمعنت بها بعقلك، ولمستها بقلبك، وحاولت إدراكها بكامل كيانك فإنك ستحطم البرنامج. سيتحطم بشكل طبيعي. ولكن إن قلت: "سأتخلص منها" فإنك ستجد نفسك أسيرًا للنمط نفسه. من يتحدث أمامكم هو حقيقة واقعية، وليس أمرًا نقبله كلاميًا لأنه يسرُّنا، إنه شيء واقعي. قد تفكر بهذه المسألة بشكل منطقي عقلاني لتجد أنها حقيقية. لكن دماغك الذي بُرمج ليشعر بالفردانية والانفصالية سيثور ضدها (وهذا ما يدور داخلك الآن)، لأن الدماغ لا يريد التعلُّم. الحاسوب سيتعلم لأنه لن يخسر شيئًا، أمَّا الإنسان فيخاف من فقدان شيء ما.

هل يستطيع الدماغ التعلُّم؟ تلك هي المسألة برمتها. لذلك سنخوض الآن في هذا السؤال الذي هو ماهية التعلم. لأن التعلم، كما يبدو للكثير منا، هو عملية اكتساب للمعرفة. فأنا لا أعرف اللغة الروسية لكني سأتعلمها. سأتعلم يومًا بعد يوم، سأحفظ، وأكتسب المفردات والعبارات وقواعد اللغة. وإن طوعت نفسي فإني سأكون قادرًا على تعلم أية لغة خلال وقت معين. بالنسبة لنا، ليس التعلم بشكل أساسي سوى تراكم المعارف أو المهارات. وأدمغتنا مشروطة بهذا النمط الذي هو مراكمة المعرفة ومن ثم الفعل. عندما أتعلم لغة فإنني أحتاج إلى المعرفة. ولكن، عندما أختبر نفسيًا محتوى ذهني، ووعيي، فهل يعني التعلم هنا البحث في كل سوية منه ومراكمة المعرفة عنه والتفاعل حياتيًا بناء على تلك المعرفة، بمعنى اتباع النمط نفسه وكأنني أتعلم لغة ما؟ إذا كرر الدماغ النمط نفسه لدى تعرفه على محتويات الوعي، فإن هذا يعني أنني أحتاج إلى الوقت لأكدس معرفتي لذاتي، ولوعيي. بعدها أحدد المصاعب التي تواجهني فيصبح دماغي قادرًا على وضع حلول لها – فهو مدرب على حل المعضلات. ما يعني أنه يكرر ذلك النمط الذي لا ينتهي والذي أسميه (التعلُّم). لكن هل يوجد تعلُّم آخر غير ذلك الذي تحدثنا عنه؟ هل توجد آلية مختلفة للتعلم غير هذه، آلية لا تتضمن تراكم المعرفة؟ هل ترون الفرق؟

فلأصغ كلامي بطريقة أخرى: نحن نحصل على المعرفة من خلال التجربة، مخزنين المعرفة بشكل ذاكرة، تستجيب الذاكرة من خلال الفكر، ومن الفكر ينتج الفعل، ومن الفعل والتفاعل نتعلم المزيد، تبدأ الدورة من جديد. هذا هو نمط حياتنا. وهذا الشكل من التعلم لن يحل مشاكلنا إطلاقًا لأنه مبني على التكرار. قد نحصِّل المزيد من المعرفة مما قد يقودنا إلى أفعال أفضل. لكن أفعالنا تبقى محدودة وهذا ما نكرره دومًا. لذا، لن يحلَّ الفعل الناتج عن تلك المعرفة مشاكلنا الإنسانية على الإطلاق. لأننا لم نحلها حقًا، وهذا واضح جدًا. ورغم مضي ملايين السنين نحن ما زلنا نعاني من المشاكل، وما زلنا نجز أعناق بعضنا، ونتنافس، ونكره بعضنا، ونريد النجاح. إننا نكرر النمط ذاته مذ وجد الإنسان الأول. وعبر تكرارنا للنمط ذاته لن نحل أي من مشكلاتنا، سواء كانت سياسية أم دينية أم اقتصادية، لأن من يعمل على حلها هو الفكر.

والآن، هل يوجد شكل آخر للتعلم، ونحن لا نقصد هنا التعلم بمعنى المعرفة، بل شكلاً آخر له، بمعنى التعلم الذي يعتمد على الفهم غير التراكمي؟ من أجل اكتشاف ذلك، علينا البحث في إمكانية استكشاف محتويات وعينا ومراقبة العالم من دون أدنى قدر من التحيز. هل هذا ممكن؟ لا تجب بالنفي. فقط اطرح السؤال. وتمعن هل بوسعك إن كنت متحاملاً أن ترصد بوضوح. وسترى أن ذلك مستحيل. وكذلك إذا كان لديك حكم مسبق عن الحياة، جملة من المعتقدات والمفاهيم والأفكار، وأردت رؤية ماهية العالم فإن كل تلك الانحيازات المسبقة، كل تلك النتائج والاعتقادات والأفكار والمفاهيم، ستمنعك من رؤيته بوضوح. والسؤال هنا ليس كيفية التخلص من آراءك المسبقة، بل كيفية الرؤية الصافية، والفهم الذكي. لأن أي شكل

من الانحياز لرأي ما، مهما كان نبيلاً أو وضيعًا، سيمنعك من الفهم الصحيح. عندما تفهم هذا سيتبخر الانحياز. فالمهم هو الرؤية الصافية وليس التخلص من الآراء المسبقة.

لن أستطيع أن أكون جراحًا ماهرًا إن كنت متحيزًا للجراحين، وحاملاً أفكار مسبقة عنهم. عليَّ ممارسة الجراحة كي أصبح جراحًا جيدًا. هل تتلمس معي أن نوعًا جديدًا من النشاط، والمعرفة اللاتراكمية جائز وممكن، معرفة ستوقف التكرار النمطي العام، كما ستكسر البرنامج، للتفاعل بشكل مختلف تمامًا؟

لم تكن الطريقة التي عشنا تبعًا لها ملايين السنين سوى تكرار للعملية نفسها من أجل اكتساب المعرفة والتفاعل بناء عليها. ولهذا كانت تلك المعرفة وذلك النشاط المبني عليها محدودين، وتلك المحدودية قادت إلى خلق المشكلات اعتاد الذهن على وضع حلول لها، وهي المشكلات نفسها التي داومت المعرفة على تكرار خلقها، وأصبح الدماغ أسير ذلك النمط، وهذا النمط لن يحل أيًا من مشكلاتنا الإنسانية مهما كانت الظروف. من الواضح أننا لم نحل مشكلاتنا بعد، لذلك لا بد من حدوث حركة مختلفة تمامًا، حركة معرفية مبنية على فهم غير تراكمي للأشياء. ما يعني التوقف عن اتخاذ أصنام من الآراء المسبقة، التجرد من كل أنواع المفاهيم والعقائد والمسلمات، لأنها كلها تسببت في دمار الإنسان، ولم تحل مشكلاته يومًا. لذا، هل لديك أي رأي مسبق؟ هل يشترك رأيك المسبق مع فكرة ما، أو هدف ما؟ طبعًا، لأن الغايات والأهداف هي ما نصبو إلى تحقيقه في المستقبل، والمعرفة هامة جدًا لتحقيق هذه الغايات. لذلك، هل بوسعك الرؤية دون مراكمة لمعارفك، ومن دون الطبيعة المدمرة للآراء المسبقة وللمفاهيم والمعتقدات وللاستنتاجات الشخصية المبنية على تجاربك الخاصة؟ يوجد وعي جماعي، وعي وطني، وعي لغوي، وعي حرفي، وعي عنصري، كما يوجد خوف وقلق وأسى ووحدة وسعي لتحقيق السعادة والحب، وأخيرًا يوجد الموت. لذلك إن تابعت الخوض في تلك الدائرة فإنك ستحافظ على الوعي الإنساني العالمي كما هو. حاول فقط أن تفهم حقيقة الأمر. لأنك جزء من هذا الوعي وأنت تعزز ذلك بقولك: أنا فرد، وآرائي هامة، وكذلك رغباتي ومفاهيمي أساسية، مكررًا الأمر ذاته مرارًا وتكرارًا. والآن، كلما صنتَ ذاك الوعي بتأكيدك عليه ازدهر وعاش بتكرارك له. ولكن عندما تنعتق من هذا الوعي فإنك ستدخل عليه كليًا عاملاً جديدًا.

والآن، إن فهمنا طبيعة وعينا، وتفحصنا الطريقة التي يعمل بها في قلب هذه الدائرة التي لا تنتهي (المعرفة ثم الفعل ثم الانقسام والتجزئة)، وهو وعي مدعم ومعزز منذ ألف عام، إن لاحظنا أن كل هذا هو شكل من الانحياز المسبق، حتى لو هربنا منه واستبدلنا عاملاً جديدًا بالعامل القديم، ما يعني أنك كإنسان، يحتوي على جزء من الوعي الكلي الإنساني، قادر على التخلص من نمط الطاعة والقبول القديمين قدم الزمن. وهذه هي نقطة التحول الحقيقية في حياتك. لأنه لا يمكن للإنسان الاستمرار في تكرار النمط القديم نفسه، لأن هذا النمط فقد معناه (في العالم النفسي على وجه الخصوص)، حيث من يهتم بتحقيقك لذاتك، ما أهمية أن تصبح قديسًا، بينما يؤثر ابتعادك الكامل عن هذه الأمور على وعي البشرية جمعاء.

14 تموز، 1981

الحديث الثالث

أكرر لكم أننا لا نحاول إقناعكم بأي شيء، يجب أن يكون هذا واضحًا، فنحن لا نحاول إقناعكم بقبول وجهة نظر معينة، ولا نحاول التأثير عليكم، كما لا نحاول الدعاية لأي شيء. نحن لا نتحدث عن شخصيات، كما لا نتساءل عمن هو المصيب ومن هو المخطئ، بل نحاول معًا فهم ورؤية ماهية العالم وماهية أنفسنا، ماذا فعلنا بالعالم وماذا فعلنا بأنفسنا. سنحاول معًا فهم داخل الإنسان وخارجه.

التحرر شرطُ الرؤية الواضحة الوحيد. حيث من الواضح أنه إذا ما تعلق المرء بتجربة معينة وأحكام وآراء مسبقة معينة فإنه لن يكون قادرًا على التفكير بصفاء. تدفعنا الأزمة العالمية الماثلة أمام أعيننا وتحثنا على التفكير معًا لنجد حلولاً لمشاكلنا الراهنة، ليس تبعًا لشخص معين، لفيلسوف أو لمعلم (غورو). نحن نحاول هنا أن نرى معًا، لأنه من الهام أن نتذكر دومًا أن المتحدث إليكم إنما يشير إلى شيء نختبره معًا، فهو ليس منحازًا إلى طرف معين، بل نحن نتعاون في محاولة للفهم، في رحلة تجمعنا، ولهذا فنحن نعمل مع بعضنا.

من المهم جدًا أن نفهم أن وعينا ليس وعيًا فرديًا يخصنا وحدنا، كما أنه لا يخص فئة خاصة أو جنسية معينة، بل هو أيضًا كل المخاض الإنساني المتضمن الصراع والشقاء والفوضى والألم. نختبر معًا ذلك الوعي الإنساني، وعينا الإنساني، ليس وعيك وحدك أو وعيي وحدي، بل وعينا جميعًا.

قدرة العقل هي أحد العوامل المطلوبة في هذا البحث. فالعقل هو القدرة على التبيان والفهم والتفريق، كما أنه القدرة على ملاحظة وموضعة كل ما جمعناه مع بعضه ثم الانطلاق من هنا تحديدًا. ومع ذلك، من الممكن أن يتعرض كل ما جمعناه بفطنتنا واكتناهنا للأمور وتفكرنا بها للإجحاف. إذ إن الذكاء ينتفي حين يكون هناك تحيُّز. عندما تتبع شخصًا آخر يُقصى عقلك بكل بساطة، فاتباع الآخر (مهما كان نبيلاً) يُنكر عليك قدراتك الذهنية وملاحظاتك الخاصة لتصبح مجرد تابع لشخص ما يخبرك ما تفعل ويملي عليك ما تفكر به. ولدى فعلك هذا يُمحى عقلك من الوجود، إذ عندما تختفي المراقبة، لا يبقى هناك فكر. يقتضي العقل الشك والتساؤل، لا التأثر بالآخرين وبحماسهم وطاقتهم. كما يقتضي أيضًا الدراسة المجردة الموضوعية. لا يعني العقل القدرة على فهم كل ما هو عقلاني ومنطقي فقط، بل يعني أيضًا تقصي كل ما يمكننا من معلومات، ونحن نعلم بأن كل المعلومات الموجودة في العالم غير مكتملة، ولن تكتمل يومًا في أي موضوع أو أي شيء. وأنى وجد العقل وجدت الحيرة والملاحظة والتفكير المجرد المنطقي. إن إدراك الإنسان ككل، وفهم كل تعقيداته واستجاباته الفيزيولوجية والعاطفية، وقدرته الذهنية، شغفه وآلامه، إن فهم كل ذلك بلمحة واحدة هو إدراك أسمى. ومع هذا، لم يتجاوز العقل حتى الآن مسألة الصراع والنزاع. لذا سنحاول أن نكتشف معًا هل بوسع العقل تجاوز الصراع. فالإنسان يعيش في صراع منذ اللحظة التي يولد فيها إلى لحظة موته. حيث توجد دائمًا معركة من أجل التحقق، من أجل أن تتحول – كما يقولون – روحيًا، أو نفسيًا، بمعنى أن تصبح ناجحًا في الحياة، وأن تتحقق. كلُّ هذا يشكل حركة التحقق: أي أن هذه هي حالي الآن لكنني سأصل مبتغاي، سأصل إلى المبدأ الأسمى مهما كان اسمه (الله، البراهمان، أو أي اسم آخر...). إن المحاولة المستمرة لأن تصبح – أو لأن تكون – هي الأمر عينه. ولكن عندما يحاول الإنسان أن يصبح شيئًا ما، باتجاهات مختلفة، فإنه في ذات الوقت ينكر وجوده. بينما عندما تحاول أن تكون فإنك تتحقق أيضًا. انظروا إلى حركة العقل، والفكر هذه: أنا أفكر، أنا موجود، ولأنني غير راض، وغير سعيد بما أنا عليه أحاول أن أثبت وجودي في مجال ما، وأتحرك بشكل مباشر في اتجاه هدف محدد؛ قد يؤلمني الطريق، لكني أعتقد أن الغاية مرضية. هناك صراع موجود دائمًا من أجل أن أكون وأن أتحقق.

جميعنا يحاول التحقق، جميعنا يريد بيتًا أفضل ومركزًا أكبر مع ما يحمله من سلطة أوسع، ومكانة أعلى. وإذا لم نكن بيولوجيًا بوضع جيد فإننا نسعى لأن نصبح بوضع أفضل. ونفسانيًا، تتولد كل المسارات الفكرية الداخلية وكل تطورات الوعي وجميع الدوافع من إدراك الإنسان أنه لا شيء في الحقيقة، وأنه بوسعه حين يصل تجاوز هذه الحالة نفسيًا، داخليًا، حيث هناك دومًا ذلك الهروب مما هو كائن، هروب دائم مما أنا عليه، من حالتي التي لا ترضيني إلى ما يرضيني. ومهما كانت أهدافي المنشودة، سواء كانت راحة داخلية عميقة أو سعادة أو تنَوُّرًا روحيًا (وهذا ليس سوى تصور فكري متحول) أو اكتساب معرفة أكبر، فإنها تبقى جميعًا مجرد رغبة في التحقق – بمعنى هذا أنا اليوم، وذاك ما سأصبحه غدًا. وهذه العملية تعتمد على الوقت، فالدماغ مبرمج على هذا الأساس. كل حضارتنا وتشريعاتنا الدينية وجميع ما يحيط بنا يقول: "تحقق". وهذه ظاهرة موجودة حول العالم. يحاول الجميع أن يصبح شيئًا ما. ليس في الغرب فقط بل في الشرق أيضًا. أن يكون، أو يتفادى أن يكون. والآن، هل هذا هو سبب الصراع، داخليًا وخارجيًا؟ داخليًا، هناك التقليد الأعمى والمنافسة ومحاولة مطابقة الذات مع المثال. أما خارجيًا فهناك التنافس بين ما يسمى بأفراد الجماعة الواحدة ضد جماعة أخرى، بين أمة وأخرى. أي أن هذه النزعة لأن أصبح، وأن أكون شيئًا ما، موجودة داخليًا وخارجيًا.

ونتسأل: هل هذا هو السبب الرئيسي للصراع؟ هل حُكم على الإنسان أن يعيش – طوال حياته على هذه الأرض الرائعة – في صراع مستمر؟ يستطيع الفرد منا أن يبرر ويمنطق الصراع قائلاً إن الطبيعة ذاتها في صراع، فالشجرة تصارع لأجل الوصول إلى أشعة الشمس، وإنه جزء من طبيعتنا، فقد تطورنا عبره، ونمونا وتحولنا إلى ذلك الكائن الرائع الذي هو الإنسان. وأنا لا أقول هذا ساخرًا. فدماغنا مبرمج ليتصارع. ولدينا مسألة لم نستطع حلَّها مطلقًا. فقد تستطيع الهروب ذهنيًا إلى وهم يسعدك، أو قد تتخيل أنك قد حققت شيئًا ما داخليًا وتسعد بذلك. لكن يجب على الذهن العاقل البحث في كل هذا. يجب أن يشعر بالشك والارتياب. لماذا عاشت المخلوقات البشرية منذ نشأتها ولملايين السنين وصولاً إلى الحاضر في حال من الصراع؟ لقد قبلنا به، واحتملناه، وقلنا إن التنافس جزء من طبيعتنا، كما هو العنف والتقليد والتكيف والخضوع. لقد قررنا أنه جزء من نموذج الحياة الأبدي.

لماذا يكون الإنسان المتطور إلى حد كبير في اتجاه ما غبيًا إلى هذه الدرجة في اتجاهات أخرى؟ هذا يدفعنا إلى التساؤل: هل ينتهي الصراع عبر المعرفة – معرفة الذات أو العالم، المادة والتعلم عن المجتمعات للوصول إلى تنظيمات ومراكز أفضل، للتوصل إلى معرفة أكبر فأكبر؟ هل يحل هذا صراعنا البشري؟ أم أن التحرر من الصراع لا علاقة له أبدًا بالمعرفة؟

نمتلك الكثير من المعرفة عن العالم والمادة والكون، كما لدينا الكثير من المعرفة التاريخية بأنفسنا. هل تستطيع هذه المعارف تحرير الإنسان من الصراع، أم أنه لا علاقة للتحرر من الصراع بتحليل واكتشاف الأسباب والعوامل المختلفة له؟ هل بوسع الاستكشاف التحليلي للأسباب تحرير الذهن من الصراع – ذلك الصراع الذي يدور داخلنا طوال نهارنا والمستمر أثناء نومنا؟ نستطيع دراسة وتفسير الأحلام، ونستطيع أن نسأل لِمَ يحلمُ الإنسانُ عمومًا، لكن هل يحل هذا ذلك الصراع؟ هل يستطيع الذهن التحليلي الذي يحلل بوضوح شديد وبمنطقية وعقلانية التوصلَ إلى تحديد أسباب الصراع، هل بوسعه إنهاء الصراع؟ أثناء عملية التحليل يحاول المحلل تحليل الصراع، وهكذا فإنه يفصل ذاته عن الصراع، هل يحل هذا الفعل الصراع؟ أم أن الحرية لا علاقة لها بأي من تلك العمليات؟ لو تبعت شخصًا يقول: "سأريك الطريق، لقد تحررت من الصراع، لذلك سأريك الطريق". هل يساعدك هذا؟ لقد كان هذا دور الكاهن، والمعلم (الغورو) وكل من يسمى بالشخص المستنير، أولئك الذين يقولون: "اتبعوني... سأنير لكم الدرب"، أو: "سأحدد لكم الهدف". لقد كرر التاريخ ذلك ألفية بعد أخرى، ومع ذلك لم يستطع الإنسان إيجاد حل للصراع المتجذر داخله.

دعونا نستكشف معًا – لا أن نوافق كما على مفهوم نظري مجرد – إن كان يوجد حقًا إدراك ما، فعل ما، قادر على إنهاء الصراع، حالاً وليس تدريجيًا، وما هي آثار ذلك؟ فالدماغ المبرمج على الصراع هو من دون شك أسير ذلك النمط. ونتساءل عن إمكانية إيقاف هذا النمط مباشرة، وليس بشكل تدريجي. قد تعتقد أنك قادر على الخلاص منه بالهروب عبر إدمان المخدرات أو الكحول أو الجنس أو أشكال عديدة أخرى من الضوابط، أو عبر استسلامك لشيء ما. لقد جرَّب الإنسان آلاف الطرق المختلفة للهروب من حالة الرعب التي يفرضها الصراع. ونحن نسأل الآن: هل يستطيع الدماغ المشروط الانعتاق من الشرطية بشكل فجائي ومرة واحدة؟ قد يكون هذا السؤال نظريًا وغير واقعي، قد تقول إنه مستحيل وإنه مجرد كلام، مجرد أمنية أو رغبة في التحرر من هذا الصراع. ولكن، إن فكرت في الموضوع بتعقل ومنطقية، مستخدمًا كامل قدراتك الذهنية، ستكتشف أن الزمن غير قادر على تخليصك من هذه الحالة. وأول ما يجب عليك إدراكه هو أنه لا يوجد غدٌ سيكولوجي. إن اكتشفت هذا حقًا، لا نظريًا، إنما بقلبك وعقلك، في أعمق أعماق وجودك فإنك ستكتشف أن الزمن ليس بوسعه حل هذه المعضلة. ومجرد إدراك هذا يعني أنك كسرت النمطَ وبدأتَ ترى شقوقًا وثغرات في النمط الذي فهمناه عن الوقت كوسيلة وكأداة لحل ألغاز هذا الدماغ المبرمج والانفصال عنها. وعندما تفهم ذلك في قرارة نفسك بوضوح وتعرف أن مرور الوقت لن يحررك حتمًا فستبدأ بلحظ التصدعات في السياج المحيط بالعقل. لقد قال العلماء والفلاسفة: "الوقت عامل أساسي للنمو البيولوجي واللغوي والتكنولوجي"، لكنهم لم يتعمقوا مطلقًا في محاولة فهم الطبيعة النفسية للزمن، لأن كل بحث يستهدف فهم الزمن من الناحية النفسية يعني البحث في مجمل عقدة التحقق السيكولوجي – هذا ما أنا عليه الآن، لكني سأصبح هكذا؛ أنا تعيس، لم أحقق شيئًا، وحيد بلا أمل، لكن غدي سيكون مختلفًا. إن مجرد فهمك بأن الوقت يُغذِّي الصراع هو بحد ذاته سلوك وقرار تم اتخاذه – ليس عليك أن تقرر – لأن الإدراك بحد ذاته هو في الوقت نفسه سلوك وقرار.

للصراع أشكال متعددة، إذ توجد آلاف الآراء ولهذا توجد آلاف الأشكال من الصراع. لكننا لا نتكلم عن أشكال عديدة منه، إنما عن الصراع بحدِّ ذاته. لا نتحدث عن صراعك الشخصي – مثل عدم توافقك مع زوجك، أو عدم راحتك في عملك، أو أي شيء آخر – ولكننا نتحدث عن صراع الذهن البشري في وجوده. هل يوجد إدراك – غير ناتج عن الذاكرة وتراكم المعرفة – يشمل الطبيعة بكليتها وبنية الصراع المتخلل فيها؟ هل يوجد إدراك يعي كل هذا؟ هل وجد أبدًا إدراك مماثل، غير تحليلي، أو ناتج عن الملاحظة العقلانية لأشكال الصراع المتعددة، أو بشكل استجابة انفعالية عاطفية للصراع بحد ذاته؟ هل يوجد إدراك غير ناتج عن الذاكرة، التي تعني الوقت، وتعني الفكر؟ هل يوجد إدراك غير ناتج عن الزمن أو الفكر وقادر على فهم الطبيعة الكلية للصراع، وقادر بسبب ذاك الفهم على الخروج بنتيجة تُنهي الصراع؟ الفكر هو الزمن. الفكر هو التجربة والمعرفة اللتان تتجمعان في الدماغ على شكل ذاكرة. وهذه الذاكرة من نتاج الزمن – فأنا لم أكن أعرف قبل أسبوع لكنني أعرف الآن. إن ازدياد المعارف وتوسعها وتعمقها ناتج عن الزمن، لذلك فإن الفكر هو الزمن – وهذا ينطبق على كل نشاط نفسي. كما أنني أحتاج الوقت إذا قررت الذهاب إلى مدينة أخرى، أو قررت تعلم لغة جديدة، أو أردت لقاء أحدهم في مكان بعيد. كل هذا المنهج الخارجي موجود داخليًا، فأنا لم أصبح، لكنني سأكون. لذلك فإن الفكر هو الزمن، ونحن لا نستطيع فصلهما أبدًا.

وها نحن نسأل: أيوجد إدراك غير متمخض عن الفكر والزمن – إدراك مختلف كليًا عن النمط المألوف الذي اعتاده الدماغ؟ هل يوجد شيء مماثل قادر ربما على حل هذه المشكلة؟ لم نتخلص من هذه المشكلة على مدى ملايين الأعوام من الصراع، وما زلنا نكرر النمط ذاته. يجب أن نبحث بعقلنا وبكل رويَّة عن طريقة، وعن إدراك يغطي الصراع بأكمله. عن فهم يكسر النمط وتكراره. لقد وضع المتحدث هذا السؤال أمامكم. ونتساءل الآن: كيف نستطيع التصدي لهذا معًا؟ قد أكون مخطئًا، ولاعقلانيًا، ولكن بعد أن استمعتم إلي بانتباه فقد تحولت هذه إلى مسؤولية منوطة بكم كما هي منوطة بي، بأن نرى إن كان الأمر هكذا، وكان الحلُّ ممكنًا. لا تجيبوا: ليس هذا ممكنًا في الواقع لأني لم أقم بذلك، ولأنه ليس ضمن دائرة اهتماماتي، ولأني لم أتعمق به مليًا، أو لأني لا أريد التفكير به مطلقًا لأنني راض عن صراعي ولأنني متأكد من أن البشرية

ستتحرر يومًا ما من الصراع كله. كلُّ هذه الإجابات هي محاولات للهرب من المشكلة. لذلك، فإننا وقد أصبحنا مدركين معًا لكلِّ تعقيدات هذا الصراع، ترانا لا نستطيع التنكر له، لأنه موجود وحقيقي تمامًا كالألم في الجسد. هل أدركنا، ومن دون وجود أي خيار آخر، أن الأمر هكذا. وفي الوقت نفسه هل تساءلنا عن إمكانية وجود طريقة مختلفة أخرى لمقاربته سويةً؟

والآن، هل نستطيع مراقبته – ولا يهم ما هو – من دون تسميات ومن دون الاستعانة بالذاكرة؟ انظر إلى صديقك أو إلى زوجتك أو إلى أي شيء آخر وحاول مراقبة ذلك الشخص من دون تلك المسميات (زوجتي) أو (صديقي) أو (نحن ننتمي إلى تلك الجماعة)، بمعنى التفكير بالشخص دون النظر إليه من خلال الذكرى. هل جربت هذا مرة واحدة وبشكل مقصود؟ النظر إلى الشخص من دون تسميته، من دون زمن ومن دون ذكريات، والنظر أيضًا إلى نفسك – إلى تلك الصورة التي كونتها عن ذاتك، وإلى الصورة التي بنيتها عن الآخرين، النظر إليها وكأنك تراها للمرة الأولى، كما تنظر إلى الوردة لأول مرة. تعلَّم أن تنظر. تعلَّم أن تلاحظ من دون عمليات فكرية. لا تقل إن هذا ليس ممكنًا. لو ذهبت إلى أستاذ جامعي بقصد التعلُّم منه ومن دون أن تعرفه فأنت حكمًا ذاهب للاستماع إليه. لا تقل له: "أعرف هذا عن الموضوع"، أو "أنت مخطئ"، أو "أنت مصيب"، أو "لا يعجبني موقفك"، بل انصت إليه، واكتشف. لأنك عندما تبدأ بالاستماع إليه بكل حواسك وبكل إدراك فإنك تبدأ باكتشاف حقيقته: هل هو أستاذ مزيف يستعمل العديد من المصطلحات أم هو معلم متعمق حقًا في أغوار مادته. والآن، هل نستطيع الاستماع والمراقبة معًا دون كلمات ولا ذكريات، دون كل نشاطات الفكر، بمعنى الانتباه التام، ذلك الانتباه الذي لا ينبع من مركز إنما هو بلا مركز. إذا كانت لديك وجهة نظر خاصة تدفعك للحضور فاعلم أن ذلك هو شكل من أشكال التركيز. ولكن، إذا حضرت من دون وجهة نظر، فإن هذا يعني أنك تمنح الموضوع انتباهك التام، إذ لا يوجد زمن لمثل هذا الانتباه.

سمع الكثيرون منكم المتحدث، لحسن الحظ أو لسوئه، لسنوات طويلة، ومع ذلك يلاحظ الإنسان أن إيقاف برمجة الدماغ لم يحصل بعد. ولطالما استمعتم لجملتي هذه ومع ذلك لم تتوقف البرمجة الدماغية عن العمل. هل يحصل هذا لأنكم تريدون التحصيل، وتريدون أن تصبحوا، تريدون التوصل إلى حالة ذهنية جاهزة لا برمجة فيها؟ لقد استمعتم ولم يتغير شيء، وأنتم تأملون في تحقيق هذا يومًا ما – وهذا ليس سوى شكل آخر من محاولة التحقق. لذا، فأنكم ما زلتم في حال صراع. وهكذا ترمون كل شيء جانبًا وتقولون بأنكم لن تحضروا مجددًا لأنكم لم تحصلوا على ما كنتم تريدون (أريد هذا لكنني لم أحققه). وهذه الإرادة هي الرغبة في التحول إلى حالة ما، وهي سبب الصراع. إنها رغبة نابعة من الدماغ المبرمج. ونحن ندعو لإيقاف سير ذلك البرنامج، وذلك النمط، وإلى التمعن من دون الاستعانة بحركة الفكر. الأمر يبدو بسيطًا جدًا. لكن حاول أن تفهم المنطق الذي يتضمنه والعقلانية المنضوية في داخله، ولا تفعل هذا لأن المتحدث طلب منك أن تفعل، بل لأنه فعل عقلاني، لأنه على الإنسان أن يختبر القدرة على المنطق والعقلانية لكي يعرف محدوديتهما، لأن التفكير العقلاني المنطقي ليس سوى بعض من الفكر. وحين تدرك أن الفكر محدود، وتتلمس محدوديته، لا تحاول أن تحصل منه على المزيد لأنه سيبقى محدودًا مهما تعمقت بتفكيرك. بينما لو نظرت إلى وردة، من دون تسميتها ومن دون التفكير بلونها، لو نظرت إليها فقط فإن تلك النظرة ستوقظ فيك حساسية عالية، حساسية قادرة بحد ذاتها على إيقاف ذلك الشعور بثقل الدماغ، وستمنحك حيوية غير عادية. لأنه عندما يكون فهمك للأشياء خالصًا نقيًا فإنك ستحصل على نوع مختلف كلياً من الطاقة، وبعيد كل البعد عن الفكر وعن الزمن.

16 تموز، 1981

الحديث الرابع

نحتاج إلى الترتيب في نشاطاتنا اليومية، وفي علاقاتنا. ولكن يجب على الإنسان أن يفهم الفرق ويرى الاختلاف بين خاصية الترتيب من جهة، وبين القواعد أو الانضباط من جهة أخرى. إذ ينتج الترتيب عن فهمنا المباشر لأنفسنا – وليس تبعًا لفيلسوف ما أو لعالم نفسي. فنحن نكتشف الترتيب والنظام الخاص بنا عندما نتحرر من الشعور بالاضطرار والإكراه من كل جهد التزمنا به لتحصيل النظام وتطبيقه في مجال ما من حياتنا. يأتي الترتيب المنشود بشكل طبيعي محملاً بالاستقامة. إنه نظام بعيد عن النمطية، وهو لا يشمل فقط العالم الخارجي الذي تحول إلى الفوضى بكليته، بل يصل حتى عالمنا الداخلي، إلى أعماق نفوسنا، إلى حيث نحن مربكين وغير واضحين. لأنك إن اتبعت سواك، ومهما كنت واسع الاطلاع فستكون عاجزًا عن فهم ذاتك.

لفهم ماهية النظام، علينا البدء بفهم طبيعة علاقاتنا. فحياتنا بكاملها هي حركة ضمن علاقة، فمهما شعر الفرد منا بأنه يعيش وحيدًا، إلا أنه متصل دومًا بشيء ما أو بشخص ما، بالماضي أو بتصور ما عن المستقبل. ولهذا فإن الحياة هي حركة ضمن علاقة، وفي العلاقة هناك فوضى. لذلك يجب التمعن لنرى لماذا نعيش مثل هذه الفوضى في علاقاتنا – سواء كانت حميمة أو سطحية.

لا يحاول المتحدث أن يدفعكم إلى التفكير في اتجاه معين، أو الضغط عليكم بأي وسيلة حذقة لإقناعكم. بل بالعكس، نحن نفكر معًا بمشكلاتنا الإنسانية لنكتشف ماهية علاقاتنا ببعضنا وما إذا كنا قادرين على ترتيب تلك العلاقات. ولكي نفهم المعنى الكامل لعلاقتنا ببعضنا، وسواء كنا قريبين من بعضنا أو بعيدين عن بعضنا، علينا أن نبدأ في فهم سبب خلق الذهن للتصورات. إذ نمتلك جميعًا تصورات عن أنفسنا وعن الآخرين على حد سواء. لماذا يمتلك كل منا تصورًا فريدًا خاصًا يُعرِّف نفسه من خلاله؟ هل التصور ضروري؟ هل يمنح الإنسان إحساسًا بالأمان؟ ألا تكرس التصورات الخاصة الانفصال بين البشر وتؤدي إليه بالضرورة؟

لننظر مليًا إلى علاقتنا بالزوجة أو بالزوج أو بالصديق. انظروا بتمعن ولا تحاولوا تفادي النظر. لأنه علينا أن نستكشف معًا لماذا توجد لدى البشر حول العالم هذه القدرة الاستثنائية على خلق التصورات والرموز والأنماط. أترى لأننا نجد أمانًا كبيرًا في تلك الأنماط والرموز والتصورات؟

إن راقبت نفسك فستجد أن لديك تصورًا عن نفسك، تصور قد يكون متغطرسًا ومتكبرًا، أو بالعكس. أو قد تكون ممن حصَّلوا الكثير من المعارف والخبرات، وهذه تقود بشكل طبيعي إلى خلق تصورها عن الذات، ألا وهي صورة الخبير. لماذا لدينا تصورات عن أنفسنا؟ إن هذه التصورات تفرق الناس عن بعضهم، لأنه إن نظرت إلى نفسك كسويسري أو كبريطاني أو كفرنسي أو كأية جنسية أخرى، فإن تلك الصورة لا تشوه فقط رؤيتك للبشرية، بل أيضًا تفصلك عن الآخرين. وأنى وجد الانفصال ووجدت الفرقة لا بد أن يوجد الصراع – كذلك الذي نراه في كل مكان حول العالم: العرب ضد الاسرائيليين، المسلمون ضد الهندوس، والكنيسة المسيحية ضد الأخرى. كذلك فإن الفروقات القومية والاقتصادية هي نتاج لهذه التصورات والمفاهيم والأفكار. لماذا يتشبث الذهن بتلك التصورات ويتعلق بها؟ هل يعود السبب إلى تربيتنا وثقافتنا التي ترى بأن أهمية الفرد تفوق كل شيء آخر كما ترى أن المجتمع شيء مختلف تمامًا عن الفرد؟ هذا جزء من حضارتنا، ومن ممارساتنا الدينية وخبراتنا اليومية. حين ينظر الفرد إلى نفسه كبريطاني أو كأميركي فإن هذا يمنحه شعورًا بالأمن. هذا شيء واضح جدًا. وعندما تتكون الصورة عن الذات تصبح هذه الصورة شبه دائمة، لإنه خلف هذا التصور أو من خلاله، يحاول الإنسان إيجاد الأمان والسكينة، وشكل من أشكال المقاومة. لأنه حين يكون الفرد مرتبطًا بشكل محدد بشخص آخر، وسواء كان هذا

الارتباط جسديًا أو نفسيًا، تكون هناك استجابة مبنية على تصور. فإذا كان الإنسان متزوجًا أو مرتبط عاطفيًا بشخص آخر تتشكل صورة ما في حياته اليومية، وسواء كنت تعرف هذا الشخص منذ أسبوع أو منذ سنوات خلت فإن الصورة الذهنية عنه تتشكل خطوة خطوة، حيث تتذكر أدق ردات فعله فتضيفها إلى الصورة وتخزنها في دماغك، ما يجعل العلاقة – التي يمكن أن تكون مادية أو جنسية أو نفسية – علاقة بين تصورين ذهنيين هما تصورك الخاص عنه وتصور الشخص الآخر عنك.

لا يتفوه المتحدث الآن بأمور متطرفة أو غريبة أو مذهلة، بل هو يشير فقط إلى وجود هذه التصورات، إنها موجودة، وبسببها لا نستطيع معرفة الآخر تمامًا. فحتى عندما تتزوج أو تربطك بأحدهم علاقة حميمة، فإنك لن تعرفه حق المعرفة أبدًا، بل أنت تعتقد أنك عرفته لأنك عشت معه طويلاً وبالتالي راكمت ذكريات تتعلق بحوادث مختلفة، ومحفزات مختلفة، بالإضافة إلى كل ما كان يحدث في الحياة اليومية، كما اختبر هو استجاباته مشكلاً تصورات ذهنية خاصة به. إن جميع تلك التصورات تلعب دورًا فائق الأهمية في حياة كل إنسان. كما يبدو جليًا فإن القليل منا فقط من لا يحكمه التصور. والحرية الحقيقية هي الانعتاق من التصورات. لأن هذه الحرية ليست مبنية على تصورات تفرّق. فإذا كان الإنسان هندوسيًا، مولودًا في الهند، وخاضعًا لجميع إشراطات الحياة هناك، كاشتراطات العرق أو الجماعة مع كلِّ خرافاتها ومعتقداتها الدينية ومبادئها وشعائرها – أي كامل بنيان هذا المجتمع – فإن الإنسان يعيش مع شبكة التصورات تلك، وهذه تشكل شروطه. لهذا، مهما تكلم هذا الإنسان عن الأخوَّة والوحدة والكلية، فإن كلماته تبقى فارغة من أي معنى، لأنها بلا معنى حقيقي ويومي. ولكن إذا حرر الإنسان نفسه من كل تلك الأحمال الثقيلة الخادعة، من كل تلك الإشراطات والخرافات والترهات، فإنه سيعطل عمل ذلك التصور. وأيضًا في العلاقة الخاصة، حين يكون المرء متزوجًا أو يعيش مع أحدهم، فهل من الممكن ألا يكون لديه تصور على الإطلاق – ألا تسجل ذاكرته أية حادثة سارة أو أليمة، في تلك العلاقة الخاصة، وألا يسجل الإهانة أو المديح، التشجيع أو الخيبة؟

هل من الممكن ألا نسجل أي شيء على الإطلاق؟ لأنه إن كان الدماغ مشغولاً باستمرار في تسجيل كل ما يحدث فإنه لن يكون حرًا على الإطلاق ليشعر بالسكينة والهدوء، بالصمت. لأنه إذا عملت ماكينة العقل دون توقف فإنها ترهق ذاتها وتبلى. هذا واضح جدًا. هذا ما يحدث في علاقاتنا مع بعضنا – أيًا كان شكل العلاقة. وإذا ما كان هناك تسجيل متواصل لكل شيء فإن الدماغ سيذوي، وهذه هي الشيخوخة.

وهكذا نصل من خلال بحثنا إلى السؤال التالي: هل من الممكن، خلال علاقاتنا بكل انفعالاتها وحساسياتها وردود الأفعال التي تكتنفها، ألا نتذكر؟ ونحن نتساءل هنا هل من الممكن عدم تسجيل الأحداث نفسيًا، بل تسجيل الأشياء الضرورية جدًا فقط؟ لا يخفى أن تسجيل الأمور شيء هام جدًا في بعض مجالات الحياة. فعلى سبيل المثال، يجب على الفرد أن يسجل في ذاكرته كل ما هو ضروري لتعلم الرياضيات. وإذا ما كنتُ أريد أن أصبح مهندسًا، فعلي أن أسجل في ذاكرتي كل الحسابات اللازمة للبناء، وهكذا. وإذا كنت سأصبح طبيبًا عليَّ تذكر كل ما أنجز في ذاك المجال. كي أقود سيارة عليَّ أن أسجل وأذكر، ولكن هل من الضروري أن نذكر كل شيء في علاقاتنا، سيكولوجيًا وداخليًا؟ وهل يُسمى تذكر أحداث الماضي حبًا؟ عندما أقول لزوجتي "أحبك"، هل تنبع كلمتي من تذكر كل ما مررنا به معًا – الأحداث والمعاناة والكفاح التي سُجلت جميعًا في الدماغ –، هل يُسمى تذكر كل هذا حبًا؟

وهكذا، هل من الممكن أن تكون حرًا من تذكر ومن تسجيل الأحداث نفسيًا؟ إن هذا ممكن فقط لدى تمتُّعنا بالانتباه التام. لأنك عندما تتمتع بالانتباه الكلِّي فإن ذاكرتك لا تسجل أي شيء.

لا أعرفُ لِمَ نحتاجُ إلى التفاسير، كما لا أعرف لِمَ لا تتمتع عقولنا بالسرعة الكافية لتلتقط وتفهم المعنى الكلي مباشرة. لماذا لا نرى هذا الشيء، ولا نفهم حقيقة كل هذا، ولم لا نترك تلك الحقيقة تفعل فعلها، وبهذا تنظف اللوح المدوَّن في أدمغتنا

لنحظى أخيرًا بدماغ لا يسجل أي شيء نفسيًا؟. معظم البشر بليدون راكدون، ويفضلون مواصلة الحياة بشخصياتهم النمطية القديمة، بعاداتهم التفكيرية ذاتها، ويرفضون كل ما هو جديد لأنهم يعتقدون أن العيش مع المألوف أفضل بالنسبة لهم من المجهول، فهو يمدهم بالأمان – كما يعتقدون –، ولذا يتابعون تكرار ما يقومون به ويعملون ويكافحون ضمن المحيط المألوف بالنسبة لهم. لكن، هل بوسعنا الرصد من دون الخوض في آلية عمل الذاكرة وعملياتها؟

ما هو الحب؟ هذا سؤال معقد جدًا. فجميعنا نشعر بالحب تجاه شيء أو شخص ما، أو تجاه أمتنا أو الله، أو تجاه عمل ما أو هواية (كالعمل في الحدائق أو حب الطعام مثلاً). لقد أسأنا استعمال كلمة الحب كثيرًا إلى درجة أننا لم نعد نعرف ما هو الحب حقًا، ولذا يجب علينا إعادة اكتشافه من جديد. ليس الحب فكرة. إن محبة الله فكرة، ومحبة رمز ما تبقى فكرة. لأنك عندما تذهب إلى الكنيسة وتركع مصليًا، فإنك لا تصلي في الواقع سوى لشيء ابتدعته فكرًا. لهذا، تمعن في ما يجري. أنت تعبد ما ابتدعه الفكر – وهذه حقيقة –، ما يعني (وبصورة مُلطَّفة جدًا) أنك تعبد ذاتك. قد يبدو هذا الكلام تدنيسًا، لكنه حقيقي. وهذا ما يجري حول العالم. يخلق الفكرُ الرمزَ مع كل ما مرفقاته، وبما أنك خلقته فإنك تقع في حبه (بشكل رومانسي أو منطقي عقلاني)، وتصبح لا تتقبل سواه. إن كل الغورورات، والقساوسة، وكل البنى الدينية مبنية على هذه الحقيقة. تمعن في هذه المأساة. حيث يخلق الفكرُ الرايةَ، كرمز لبلد ما، ومن ثم يحارب الإنسانُ لأجلها، ويقتل غيرَه لأجلها، لتدمر أمتك الأرض في خضم تنافسها مع أمة أخرى، لتتحول الراية إلى رمز لما تحبه. لقد عاش الإنسان ملايين السنين بهذه الطريقة، وما زلنا لهذا السبب تدميرين، عنيفين، متوحشين، ومتكالبين بشكل رهيب.

عندما نقول إننا نحب شخصًا ما، فإن هذا الحب يتضمن الرغبة، التصورات الممتعة لنشاطات الفكر المختلفة. لذا، فإن على الإنسان أن يفهم إن كان الحب مجرد رغبة، أو متعة، أو إن كان الحب يتضمن خوفًا من شيء ما، فأنى حلَّ الخوف وجدت برفقته الكراهيةُ والحسد والقلق والهوس والرغبة في السيطرة. هناك جمال في العلاقة الحقيقية، الكون كله حركة في العلاقة، الكون نظام، وعندما يمتلك الفرد نظامًا ذاتيًا نرى انعكاس ذلك جليًا في علاقاته وبالتالي احتمال أن يسود النظام في مجتمعنا. وإذا ما حاول الإنسان استقصاء طبيعة العلاقات سيجد أن وجود النظام هام جدًا، ومن ذاك النظام ينبع الحب. ما هو الجمال؟ أنتم ترون الثلج الطازج على الجبال هذا الصباح، نظيفًا ومُشكِّلاً منظرًا خلابًا. وترون تلك الشجرات المتوحدة التي تتخلل ذاك البياض. وإذا ما نظرنا إلى عالمنا نجد الآلاتِ الرائعةَ والحواسيبَ الفائقة بجمالها الخاص. وترون الجمال في وجه، وفي لوحة، وفي قصيدة. ويبدو أننا نلاحظ الجمال في كل مكان، في المتاحف أو لدى حضورك لحفل موسيقي تستمع فيه لألحان بيتهوفن أو موتسارت. أنت ترى الجمال حولك في كل مكان. تراه في التلال والوديان ومياهها الجارية، في خفقة جناح الطير وصوته في باكورة الصباح. ولكن هل يوجد الجمال حولنا فقط؟ أو أنه شيء يوجد، فقط، عندما تتلاشى أناي؟ فعندما ترنو لتلك الجبال في صباح مشمس وتراها تبرق صفاءً تحت السماء الزرقاء، تأخذك روعتها ويسحبك جلالها بعيدًا عن كل ذكرياتك الشخصية لوهلة. وهكذا يمسح الجمالُ الخارجي في العالم والروعة والسحر وجبروتُ الجبال كلَّ مشكلاتك ولو للحظة، وتنسى نفسك. وهكذا يوجد الجمال عندما تغيب ذاتك من الوجود. إلا أننا لم نتحرر من أنفسنا، فنحن أنانيون، مستغرقون في ذواتنا، وفي أهميتنا أو في مشكلاتنا، معاناتنا، وآلامنا ووحدتنا. وبسبب هذه العزلة اليائسة نسعى إلى التماهي مع شيء ما ونتعلق بفكرة ما، بمعتقد أو بشخص، خصوصًا بشخص ما. ولدى تبعيتنا له تولد كل مشاكلنا. أينما حلَّت التبعية والاتكال يولد الخوف. فالفساد يبدأ عندما تتعلق بأي شيء.

إن الرغبة هي الدافع الأقوى والأكثر حيوية في حياتنا. ونحن نتحدث هنا عن الرغبة بحد ذاتها، وليس عن الرغبة في شيء محدد. لقد قالت كل الديانات: إنك إذا ما أردت خدمة الإله فإنه عليك أن تتخلص من نير الرغبة، وأن تدمرها وتتحكم بها. كل الديانات قالت: استبدل رغبتك بتصور من نسج خيالك – ذلك التصور الذي لدى المسيحيين ولدى الهندوس، وهلم جرا. استبدل ما هو حقيقي بالتصور.

لكن الحقيقي هو الرغبة. ويتصورون أن الإنسان قادر على مقاومتها والتغلب عليها باستبدالها بشيء آخر، أو بأن يسلِّم نفسه لمن يعتقده معلمًا أو مخلِّصًا، لغورو ما – وهذا ما يعيدنا إلى نشاط فكري آخر. هذا هو نمط كل التفكير الديني السائد في العالم. لذا، يجب على الإنسان أن يفهم كليًا ماهية الرغبة، وهي ليست الحب بكل وضوح، كما أنها ليست التعاطف ولا الحنو. وعندما يفتقد الحب والحنان يغدو التأمل خاليًا من المعنى، فللحب وللتعاطف ذكاؤهما الخاص البعيد كل البعد عن الفكر المخاتل.

لذا، فإن فهم طبيعة الرغبة أمر في غاية الأهمية، ولماذا تلعب كل هذا الدور فائق الأهمية في حياتنا؛ كيفية تشويهها للوضوح، ومنعها لميزة الحب الرائعة من الظهور. لأنه من الأهمية بمكان أن نفهمها من دون أن نحاول قمعها وإخمادها، وألا نحاول السيطرة عليها أو توجيهها في اتجاه معين نعتقد أنه يمنحنا السلام.

أرجو أن تذكروا أن المتحدث لا يحاول أن يؤثر عليكم ولا أن يوجهكم في اتجاه ما. ولكننا نستكشف معًا ممرًا شديد الحساسية والتعقيد. وبالتالي علينا الاستماع إلى بعضنا لنكتشف حقيقة الرغبة. فعندما يفهم المرء مغزى ومعنى وسعة وحقيقة الرغبة، يصبح لها قيمة مختلفة تمامًا في حياة الإنسان.

هل بوسع المرء حين يرصد الرغبة، أن يدرسها كمشاهد خارجي، أم أنه لا يرصدها سوى عندما تظهر، وهكذا لا يراها بشكل منفصل عن ذاته فيتحول بذاته إلى رغبة؟ هل ترون الفرق؟ إما أن يرصد الإنسان الرغبة (كتلك التي تعتريه لدى رؤيته شيئًا ما في واجهة محل ويرغب بالحصول عليه)، وهكذا تكون الرغبة شيئًا منفصلاً عن الأنا وعن الذات، أو أن تكون الرغبة متحدة مع الذات، مع الأنا، وهكذا يكون هناك إدراك للرغبة من دون أن يكون هناك مراقب يرصدها.

بوسع المرء أن ينظر إلى شجرة، وكلمة (شجرة) هي المصطلح الذي يشير إلى ذاك الشيء المنتصب في الحقل، لكنه يعلم أن كلمة (شجرة) ليست الشجرة ذاتها. كذلك ليست زوجةُ الإنسان تلك الكلمةَ الدَّالة عليها، لأن الإنسان اخترع هذه الكلمة. لا أدري إذا ما كنتم تلحظون معي دقة هذا الأمر. لأنه على المرء أن يفهم بوضوح ومن البداية أن الكلمة ليست الشيء، وبالتالي فإن كلمة (رغبة) ليست الشعور بها – وهو ذلك الشعور غير العادي الذي يدفع إلى الاستجابة. ولهذا على المرء أن يكون شديد الحذر كي لا يقع فريسة للكلمة. كما على الذهن أن يكون حاضرًا بما يكفي ليرى أن الأشياء قد تولد الرغبات، تلك التي تكون عادة منفصلة عن الأشياء. هل يدرك الإنسان أن الكلمة ليست الشيء وأن الرغبة ليست منفصلة عن المشاهد الذي يراقب الرغبة؟ هل يدرك المرء أن الشيء قد يخلق الرغبة، وأن الرغبة مستقلة عن الشيء؟

كيف تتفتح الرغبة؟ لم توجد خلفها تلك الطاقة الهائلة؟ إن لم نفهم طبيعة الرغبة بشكل عميق فسنبقى أبدًا في حالة صراع مع بعضنا. قد يرغب المرء شيئًا، وترغب زوجته بشيء آخر، وأولاده بأشياء مختلفة. وهكذا نكون على خلاف مع بعضنا. وتسمى هذه المعركةُ وهذا الصراعُ حبًا وعلاقة.

ونتساءل: ما هو مصدر الرغبة؟ علينا أن نكون صادقين وأمناء جدًا هنا. لأن الرغبة شديدة المكر والخداع، ما لم نفهم أسسها. كل استجاباتنا الحسِّية هامة (البصر، اللمس، التذوق، الشم، والسمع)، وقد تفوق أهميةُ أحدها أهميةَ الأخريات لدى البعض، إذ نرى الأمور بطريقة خاصة إذا كانت ميولنا فنية، أما إذا كان الفرد مهندسًا فسيراها بطريقة مختلفة. ولهذا، لا نرى أبدًا الأمور بكليتها رغم استخدامنا لكل الحواس، إذ يستجيب كل واحد منا بطريقته الخاصة والمنفصلة عن الأخرى. فهل من الممكن أن نستجيب بكل حواسنا؟ تنبهوا لأهمية هذه النقطة، لأنه عندما يستجيب المرء بكل حواسه يكون هناك إلغاء للمراقب المُتمركز centralized. لكن عندما يستجيب المرء لشيء ما بطرقة معينة تبدأ الفروقات. حاول أن تسكتشف بنفسك عندما تغادر هذه الخيمة، عندما تنظر إلى مياه النهر الجارية، ذلك الضوء المتلألىء على سطح الماء الجاري،

حاول أن ترى ما إذا كنت قادرًا على النظر إليه بكل حواسك. لا تسألني كيف، لأنك بذلك تحوِّل استجابتك إلى شيء ميكانيكي. لكن بدلاً من أن تسألني تعلَّم فهمَ كاملِ الاستجابة الحسِّية.

حين تنظر إليه فإن المشاهد يولد الاستجابة. حين ترى قميصًا أو ثوبًا أخضر فإن المنظور يولد الاستجابةَ، ثم يحصل التواصل، ومنه يخلق الفكر صورة لديك وأنت مرتديًا ذاك القميصَ أو الثوبَ، وهكذا تبزغ الرغبة. أو أنك تشاهد سيارة في الطريق وترى شكلها الجميل ولمعانها وتشعر بالقوة الكامنة فيها، فتدور حولها وتتفحصها، ثم يخلق الفكر لديك تصورًا بأنك تركبها وتدير المحرك، وتضع قدمك على دواستها لتقودها. لذا، هل تولد الرغبة من تصورات الفكر؟ حتى تلك النقطة لا توجد الرغبة حقًا، بل هناك الاستجابات الحسية الطبيعية. هكذا يخلق الفكر التصور، واعتبارًا من تلك اللحظة تتصاعد الرغبة. فقبل تلك اللحظة لم تكن هناك رغبة، لأنه توجد استجابات حسية، وهذا طبيعي. ثم يتدخل الفكر فيخلق التصور، وبدءًا من تلك اللحظة تولد الرغبة. والآن، هل من الممكن ألا يتدخل الفكر ويخلق التصورات؟ يعتبر فهْمُنا للرغبةَ انضباطًا، ولا يعني تحكمًا بالرغبة وسيطرةً عليها. كل ما تتعلمه ينتهي. أما إن قلت بأنك تريد السيطرة على الرغبة فاعلم أنك تبحث تمامًا في حقل آخر. وستجد لدى رؤيتك وفهمك لهذه الحركة ككل أن الفكر بخياله سيتوقف عن التدخل، بعدها سترى فقط وتشعر، فما الخطأ في ذلك؟. نحن جميعنا مأخوذين بالرغبة، ونريد أن نحقق ذواتنا عبر تحقيق رغباتنا، لكننا لا نرى ما خلفته من خراب في العالم – تلك الرغبة في تحقيق الأمن للأفراد وفي إحراز المكاسب وفي النجاح وفي السلطة والمكانة الاجتماعية. لا نشعر مطلقًا أننا مسؤولون عن كل ما نقوم به. عندما نفهم الرغبة وطبيعتها فماذا ستكون مكانتها بالنسبة لنا؟ هل سيكون لها مكان بوجود الحب؟ هل يقع الحب خارج نطاق الوجود الإنساني بحيث يصبح بلا قيمة على الإطلاق، أم أننا لا نرى الجمال والعمق العظمة والقدسية في حقيقة وجوده، أم ترانا لا نملك الطاقة اللازمة والوقت لندرس ونثقف أنفسنا، ونفهم ماهيته؟

في غياب الحب والتعاطف وما يتضمنه من إدراك يتضاءل معنى التأمل. لا نستطيع على الإطلاق دون ذلك إيجاد ذلك العطر الأبدي. ولهذا، من الضروري أن نرتب تمامًا "منزل" حياتنا وكياننا وصراعاتنا.

19 تموز، 1981

الحديث الخامس

علينا أن نفكر فيما إذا كان الدماغ الذي يعمل جزئيًا الآن قادرًا على العمل كليًا وتمامًا. نحن نستعمل جزءًا منه الآن فقط، وهذا أمر تلحظونه بأنفسكم، وترون أن التخصص (الذي قد يكون ضروريًا) يؤدي إلى تشغيل جزء من الدماغ فقط. فإذا كان المرء عالمًا متخصصًا في مجال ما فسيعمل جزء من الدماغ فقط بشكل طبيعي. الشيء نفسه إذا كان المرء مختصًا بالرياضيات، حيث يجب على الإنسان في العالم الحديث أن يتخصص في مجال ما، ونتسأل رغم ذلك: هل من الممكن إتاحة المجال للدماغ ليعمل كليًا وبشكل كامل؟

والسؤال الآخر الذي نطرحه هو: ما الذي سيحوق بالبشرية، بنا جميعًا، عندما يتفوق الحاسوب على الإنسان بدقته وسرعته – كما يتنبأ خبراء التقانة العالية؟ فمع تطور الروبوتات قد يعمل الإنسان ساعتين ربما يوميًا. قد يتحقق هذا في المستقبل القريب. وعندها، ماذا سيفعل الإنسان؟ هل سيغرق في مجال التسلية؟ هذا ما يحصل الآن، إذ تزداد مع الوقت أهمية الرياضة، وكذلك مشاهدة التلفاز، والترفيه الديني المنتشر؛ أم أن الإنسان سيرتدُّ داخليًا، وهذا ليس ترفيهًا أو ترفًا، بل هو أمر يحتاج إلى قدرة هائلة على الملاحظة والدراسة والإدراك اللاشخصي؟ هذان هما الاحتمالان الممكنان. يتضمن المحتوى الأساسي للوعي الإنساني السعي إلى تحقيق السعادة ومحاولة تفادي الخوف. لذا، هل ستنغمس البشرية أكثر في مجال التسلية؟ يأمل المرء ألا تكون هذه التجمعات نوعًا من التسلية.

والآن، أيمكن للدماغ أن يكون حرًا تمامًا بحيث يعمل كليًا؟ لأن أي تخصص أو تمذهب، أو انضواء تحت أي نمط، يعني بلا شك أن الدماغ يعمل بشكل جزئي، وبالتالي بطاقة محدودة. نعيش اليوم في مجتمع التخصصات – مهندسين، فيزيائين، جراحين، نجارين، وكذلك متخصصين في معتقدات معينة أو مفاهيم فكرية بعينها بالإضافة إلى الشعائر الدينية. بعض التخصصات ضرورية، مثل الجراحة والنجارة. رغم ذلك، هل يستطيع الدماغ العمل بكليته، مما يعني العمل بطاقة هائلة؟ هذا في اعتقادي سؤال جدي جدًا يجب أن نتقصى عنه معًا.

إذا تمعن المرء في نشاطه الخاص لوجدَ أنَّ الدماغ يعمل بشكل مشايع ومجتزأ، وأن النتيجة هي تناقص طاقة المرء أكثر فأكثر مع التقدم في السن. بيولوجيًا، جسمانيًا، يكون الإنسان في قمة حيويته في مرحلة الشباب، ولكن، مع ازدياد علوم المرء وما يليها من تخصص في مجال ما تضيق نشاطات الدماغ، ليصبح مع الوقت محدودًا ومتناقص الطاقة أكثر فأكثر.

مع ذلك، لربما توجب الأمر أن يكون للدماغ شكلاً من التخصص – ليس بالضرورة في الاتجاه الديني لأن هذا خرافة – كأن يكون، على سبيل المثال، جرَّاحًا، فهل يستطيع دماغه العمل بشكل كلي؟ بوسعه أن يعمل بشكل كامل، حاملاً معه كل تلك الحيوية الهائلة التي تعود لملايين السنين، عندما يكون حرًا بالكامل. لن يكون التخصص، الضروري الآن من أجل تحصيل الرزق، ضروريًا إذا ما تولَّت الحواسيبُ العملَ عن الإنسان. هي لن تقوم طبعًا بالجراحة عوضًا عن الإنسان، كما لن تشعر بالجمال لدى النظر إلى النجوم ليلاً، لكن بوسعها القيام بمهام أخرى بالكامل.

هل يستطيع الذهن البشري أن يكون حرًا بالكامل من أي نوع من أنواع التعلق – كالتعلق ببعض المعتقدات والتجارب وما إلى ذلك؟ إذا لم يكن بوسع الدماغ أن يتحرر بالكامل فإنه سيتدهور. فعندما تشغله مشكلات التخصص ومشكلات العيش يكون نشاطه محدودًا. لكن إذا ما تولت الحواسيب الأمر فإن هذا النشاط سيتناقص أكثر فأكثر وبالتالي فإنه سيتدهور تدريجيًا. هذا ليس تنبؤًا مستقبليًا، بل هو أمر يحصل الآن ويستطيع أي منكم تلمسه حين يتمعن بنشاطه الفكري.

هل بوسع وعيكم، رغم ما يحمله من مخاوف ورغبات في تحقيق السعادة، مع كل الأحزان والآلام والمحن، ورغم كل الأذيات الداخلية التي تعرض لها، الانعتاق كليًا؟ قد يكون لدينا أنواع أخرى من الوعي، كوعي المجموعات، والوعي العرقي، والقومي، كوعي الكاثوليك، والهندوس، وهكذا، إلا أن أساس كل محتويات الوعي يبقى الخوف بالإضافة إلى السعي إلى تحقيق السعادة، والألم والبلايا المتلاحقة التي تكون خاتمتها الموت. كلُّ تلك الأمور تُشكِّل المحتوى المركزي من وعينا. فها نحن معًا ندرس ظاهرة الوجود الإنساني بكاملها، لأنها ظاهرة وجودنا. نحن بشر لأن وعينا، سواء كنا مسيحيين يعيشون في العالم الغربي، أو مسلمين يعيشون في الشرق الأوسط أو بوذيين يعيشون في آسيا، يتضمن بشكل رئيسي الخوف، واللهاث لتحقيق السعادة، والأحمال السرمدية من الآلام والمحن. فوعي الفرد ليس وعيًا خاصًا به على الإطلاق. وهذا أمر من الصعب أن نقبله، لأنه هكذا كانت اشتراطاتنا، ولأننا ربينا بحيث نقاوم الواقع الفعلي الذي يقول أننا لسنا فرادى على الإطلاق وأننا البشرية جمعاء. وهذه ليست فكرة رومانسية ولا مفهومًا فلسفيًا، وليست قطعًا فكرة مثالية، بل هي حقيقة. لذا علينا أن نستكشف ما إذا كان الدماغ قادرًا على أن يتحرر من محتويات وعيه. لماذا تنصتون إلى المتحدث أيها السَّادة؟ ألأنكم تنصتون إلى أنفسكم عندما تسمعون إليه؟ أهذا حقًا ما يحدث؟ لأن كل ما يفعله المتحدث هو الإشارة إلى نقطة ما والتصرف كمرآة تعكس لكم أنفسكم، وواقع وعيكم. لأن المتحدث لا يحاول أن يصِف، فالوصف سرعان ما يتحول إلى فكرة مجردة أخرى إذا ما اتَّبعناه. أما إذا تلمَّست عبر الوصف حالتك الذهنية ووعيك الخاص، فسيكون للاستماع إلى المتحدث بعض الأهمية. أمَّا إذا تساءلت بعد انتهاء هذه الأحاديث: "لماذا لم أتغير؟" فإن الخطأ يكون خطأك. أنت تحدَّثتَ خمسين عامًا ومع ذلك أنا لم أتغير. فهل الخطأ هو خطأ المتحدث؟ أو أن تقول للمتحدث: "أنا لم أستطع تطبيق نصائحك"، لذلك فإن الخطأ هو طبعًا خطأ المتحدث. وتصبح من ثم متهكمًا وتفعل كلَّ الأشياء السخيفة. لذا، تذكَّروا دائمًا أنكم لا تستمعون إلى المتحدث بقدر ما تتلمسون انعكاسًا لوعيكم عبر ما تتحدث عنه الكلمات – التي هي في النهاية وعي البشرية جمعاء. قد يؤمن العالم الغربي برموز وشعائر دينية معينة، وقد يفعل العالم الشرقي الأمر ذاته. لكن، خلف كلِّ هذا نجد الخوف ذاته، ونجد السعي نفسه لتحقيق السعادة، وأثقال الجشع والألم والأذية والرغبة في الانجاز نفسها. وهذه جميعها مشتركة لدى الإنسانية جمعاء.

هكذا، نحن باستماعنا نتعلم عن ذواتنا، ولا نتابع الوصف فقط. نحن نتعلم حاليًا أن ننظر إلى أنفسنا لإحداث حرية كلية تعتق الذهن وتمنحه القدرة على العمل بكامل طاقته. وفي النهاية، فإن التأمل والحب والتعاطف هي من فعل الدماغ بكليته. وعندما يعمل الكل يكون هناك نظام متكامل. وحين يكون هناك نظام داخلي متكامل تكون هناك حرية كلية. عندئذٍ فقط يمكن أن يتحقق شيء مقدس أزلي. لكن هذا لن يكون مكافأة ولا أمرًا يجب إنجازه، بل يلوح ذاك السرمدي المقدس فقط عندما يصبح الذهن متحررًا بالكامل ويكون بوسعه أن يعمل بكلِّيته.

تلتئم محتويات وعينا عبر نشاطات الفكر. هل من الممكن يومًا أن يتحرر ذاك المحتوى لنجد بعدًا جديدًا تمامًا؟ لنتمعن معًا في صيرورة المتعة، إذ ليس هناك فقط متعة بيولوجية، ومتعة جنسية، بل نحن نجد المتعة في التملُّك، في جني المال، وتلك التي نجدها لدى تحقيقنا لأمر عملنا لأجله طويلاً؛ كما توجد متعة في السلطة السياسية والدينية، وفي التسلط على أفراد آخرين، ومتعة في اكتساب المعرفة واستعراضها كبروفسور أو ككاتب أو كشاعر؛ كما هناك إشباع ناجم عن عيش حياة أخلاقية صارمة، ومتعة ناجمة عن تحقيق شيء داخلي عظيم لا يحققه الناس العاديون. هكذا كان نمط وجودنا لملايين السنين. وقد تكيف الذهن على هذا ولذا بات محدودًا. ولأن كل مشروط محدود حتمًا، فإن الذهن يتقلص ويضيق ويصبح أكثر محدودية مع الوقت عندما يلهث لتحقيق مختلف أشكال المتعة. ولربما من خلال أشكال المتعة المتعددة (كالجنس مثلاً أو مختلف أشكال التحقق) يسعى المرء كي يرفه عن نفسه. رجاء لاحظ هذه الأمور في ذاتك، في نشاطك اليومي. لأنك عندما تتمعن سترى أن الذهن مشغول دومًا بشيء أو بآخر، يثرثر بلا توقف ويهذر ويلغو كآلة لا تنام. وهكذا، يستهلك الذهن نفسه بالتدريج ليصبح عاجزًا لافعالاً عندما تأخذ الحواسيب مكانه.

لذا، لماذا يعيش البشر أسرى سعيهم المستديم وراء مصادر المتعة، لماذا؟ أترى لأنهم يشعرون بمقدار هائل من الوحدة؟ أترى لأنهم يحاولون الهرب من ذلك الشعور بالعزلة؟ أترى لأنهم عاشوا منذ الطفولة وفقًا لهذه الإشراطات؟ أيحدث هذا لأن الذهن يخلق تصورًا عن السعادة ويسعى بعدئذ لتحقيقه؟ هل الذهن هو مصدر السعادة؟ مثلاً، يشعر المرء بشكل من السعادة لدى تذوقه طعامًا شهيًا جدًا أو متعةً جنسيةً أو عندما يسمع إطراءً جميلاً، ويقوم الذهن بتسجيل ما حدث. يسجل الدماغُ الوقائعَ التي أدت إلى الحصول على هذا الشعور الممتع. وتذكُّر ما حدث البارحة أو الأسبوع الماضي هو حركة الفكر. والفكر هو محرك السعادة، يسجل الدماغ الأحداث الممتعة والمثيرة التي تستحق أن تُذكر ويخطط الفكر لتحقيقها مستقبلاً ويتصور حصولها مجددًا ويطاردها. ونتسأل الآن: لِمَ يعيدُ الفكرُ ذكرى حادثة ما حصلت وانتهت؟ ألا يعود السبب إلى أنها جزء مما يشغلنا؟ فالأموال والسلطة والمكانة تشغل دومًا الشخص الذي يبحث عنها. وبشكل مشابه، لربما شُغل الدماغ بذكرى ممتعة حصلت الأسبوع الماضي. مما يعني أن الذهن سيسقطها على المستقبل وسيحاول تحقيقها فيما بعد. إن تكرار ما يُرضي ويُشبع ويُسر هو صيرورةِ الفكر ولهذا فهي صيرورة محدودة؛ لهذا فإن الفكر لا يمكن على الإطلاق أن يعمل بشكل كلي، بل فقط بشكل جزئي.

هنا يبرز سؤال: إذا كان هذا نمط عمل الذهن، فكيف يمكن أن نوقف الفكر، أو بشكل أدق: كيف نوقف الفكر، كيف نوقف الدماغ عن تسجيل الحدث الممتع الذي حدث البارحة؟ هذا هو السؤال البيِّن. ولكن، لِمَ يطرحُه الإنسانُ؟ لِماذا؟ ألأنه يحاول دومًا الهرب من ملاحقة السعادة، ولأن هذا الهرب نفسه هو شكل آخر من أشكال السعادة؟ بينما لو لاحظت أن الحادثة التي منحتك المتعة والبهجة والإثارة قد انتهت وأنها لم تعد موجودة وأنها شيء حدث منذ أسبوع مضى أو أكثر (أي أنها كانت أمرًا حيًا وقتئذٍ ولم تعد كذلك الآن) ألا يكون بوسعك الانتهاءَ منها، وإنهاءها وعدم تكرارها؟ لكن السؤال ليس كيف أنهيها أو كيف أوقفها، إنه فقط أن ترى حقيقة الطريقة التي يعمل وفقها الدماغ والفكر. إذا أدرك الإنسان هذا فسيصل الفكر بحدٍّ ذاته إلى نهاية. وسينتهي معه تسجيل المتعة.

الخوف هو الحالة العامة الموجودة لدى كل الناس، وهو متجذر بعمق لدى الجميع. فسواء كنت تعيش في كوخ أو في قصر، سواء كنت عاطلاً أو مشغولاً، سواء كنت عارفًا أو جاهلاً، وسواء كنت راهبًا بسيطًا أو أعلى ممثل لله على الأرض، أو أي شيء آخر، فإن الخوف يبقى الأرضية المشتركة التي يقف عليها كل البشر. هذا مما لا شك فيه، فهو حقيقة مطلقة لا يمكن إلغاؤها، كما لا يمكن لأحد دحضُها. وما دام الدماغ أسيرًا لهذا النمط من الخوف تبقى فعالياته محدودة ولهذا فإنه لن يعمل بشكل كلي. لذلك من المهم والضروري (إذا كانت البشرية ترغب في البقاء كبشرية وليس كآلات) أن يجد كل منا لنفسه إمكانية التحرر من الخوف.

وما يعنينا هنا هو الخوف بحد ذاته، وليس كيف يعبِّر عن نفسه. فما هو الخوف؟ وعندما يكون هناك خوف، هل نتعرَّف عليه في تلك اللحظة كخوف؟ هل من الممكن وصف الخوف في لحظة ردَّة الفعل؟ أم أن الوصف يأتي بعد الحدث؟ وما بعد هو زمن. ثم لنفترض أن أحدهم خائف، فإما أن ينتج شعوره هذا عن شيء اقترفه فيما مضى ولا يريد أن يعرفه أحد، أو أنه خائف من شيء حدث في الماضي وما زال يوقظ الخوف في نفسه، أم أنكم تعتقدون بوجود خوف بلا سبب؟ وفي اللحظة التي يكون هناك خوف، هل نسميه كذلك؟ أم أن ذلك يحدث فقط فيما بعد؟ بالطبع نحن لا نسميه خوفًا إلا في ما بعد. ما يعني أن الدماغ الذي سجل الأحداث المخيفة السابقة يذكرها تمامًا بعد حدوث ردة الفعل، حين تعترف الذاكرة أنَّ هذا خوف. فحين تحدث ردة الفعل المباشرة، نحن لا نسميه خوفًا. فقط بعدما يحدث نسميه خوفًا. وتأتي تسميته بالخوف من تذكر أحداث قديمة أخرى أيقظتها مشاعر الخوف. حيث يتذكر المرء مخاوفَ الماضي واستجاباتِه الحديثةَ لها مسميًا إياها مباشرة بالخوف. وهذا بسيط للغاية. بمعنى أن هناك دومًا الذاكرة التي تؤثر على الحاضر.

لذا، هل الخوف هو الزمن؟ فالخوف من شيء حدث الأسبوع الماضي وسبَّب تلك المشاعر التي أسميناها خوفًا، والتفكير الضمني بأن هذا لا يجب أن يحدث مرة أخرى في المستقبل، رغم أنه قابل للتكرار، وبالتالي يبقى المرء خائفًا منه. لذا يسأل الإنسان نفسه: أيكون الزمن هو جذر الخوف؟

وبالتالي، ما هو الزمن؟ هو مفهوم بسيط إن قيس بالساعة، حيث تشرق الشمس في ساعة محددة وتغرب في ساعة محددة أخرى. هذا ما حصل البارحة، ويحصل اليوم وسيحصل غدًا. إنه تعاقب زمني طبيعي. كما يوجد أيضًا زمن نفسي داخلي، حيث يتم تذكُّر الحادثة السارة أو المخيفة التي وقعت منذ أسبوع ويتم إسقاطها على المستقبل – قد أخسر منصبي، قد أخسر مالي، قد أخسر زوجتي. لذا، هل الخوف جزء من الزمن النفسي؟ يبدو أنه كذلك. ثم ما هو الزمن النفسي؟ حيث لا يحتاج الزمن المادي للمدى فقط، بل يحتاجه الزمن النفسي أيضًا، فالبارحة والأسبوع الذي مضى تحول اليوم والغد. هناك زمن ومكان. وهذا بسيط. لذا هل الخوف هو حركة الزمن؟ وهل حركة الزمن هي، من الناحية النفسية، حركة الفكر؟ وهكذا يكون الفكر هو الزمن والزمن هو الخوف – بالتأكيد. شخص ما شعر بالألم عند طبيب الأسنان. وهذه المشاعر تُخزَّن، ويتم تذكرها وتُعكس، ويأمل الإنسان بألا يشعرَ بها في المستقبل – الفكر يتحرك. لذا فإن الخوف هو صيرورة الفكر في الزمان والمكان. فإذا ما فهم الإنسان هذا وأدركه لا كفكرة بل كحقيقة (ما يعني الانتباه الكلي التام للخوف لدى تبيانه) عندئذٍ لن يُسجِّل الخوف. جرب هذا لتتبيَّنه بنفسك. عندما تولي إهانة ما انتباهك الكامل، لن يكون هناك إهانة. وإنْ قدِمَ أحدهم وقال: ما أروعك من شخص؟ وانتبهت أنت تمامًا لكلماته لوجدت أنها كالماء المتطاير وراء بطة تسبح. حركة الخوف هي الفكر في الزمان وفي المكان. هذه حقيقة. ليست مجرد كلمات يتفوه بها المتكلم أمامكم. فإذا ما تمعنت فيها بنفسك، ستلمس حقيقتها، ولن يكون بوسعك الهروب منها. لا يمكنك الهروب من حقيقة، لأنها دائمًا هنا. قد تحاول تفاديها أو إلغاؤها، وقد تحاول الهرب منها بمختلف الأشكال، إلا أنها ستبقى موجودة دائمًا. عندما وعيت بشكل كامل أن الخوف هو حركة الفكر، فإن الخوف لن يكون نفسيًا، لأنَّ مضمون وعيَنا هو صيرورة الفكر في الزمان وفي المكان. وسواء كان فكرنا محدودًا جدًا، أو واسع الأفق شاملاً، فإنه سيبقى حركةً في الزمان وفي المكان.

لقد خلق الفكر نفسيًا أشكالاً متعددة من السلطة فينا، إلا أنها جميعها محدودة. فعندما تتحرر من الحدود ستشعر بقدر مذهل من السلطة، ولا تظهر هذه القوة على شكل قوة ميكانيكية بل على شكل طاقة مهولة تشعر بها. وهذه الطاقة لا علاقة لها بالفكر، لهذا لا يمكن استخدامها بشكل خاطئ. لكن إذا قال الفكر: "إني سأستخدمها"، فإن هذه الطاقة ستتبدد.

كما يوجد عامل آخر في الوعي، ألا وهو الأسف والندم، والألم والجراح التي لا تندمل، والموجودة لدى البشر جميعًا، ومنذ الطفولة. تُذكر تلك الأذيات النفسية والألم الناتج عنها دومًا، ويتمسك الناس بها، وينتج عنها الأسى والندم. يوجد شعور كوني بالأسى لدى البشرية جمعاء التي قاست وواجهت آلاف الحروب وانتحب عليها ملايين الناس. وما زالت آلة الحرب موجودة بيننا، يديرها السياسيون، ويعززها الشعور الوطني القومي، ويدعمها ويقويها شعورنا بأننا منفصلين عن الباقين، أننا غيرهم. (نحن) ضد (هم)، و(أنا) ضد (أنت). يبني السياسيون هذه الأحزان والمآسي العالمية ويبنون منها المزيد. نحن جاهزون لحرب جديدة، وعندما نتحضر لشيء ما لا بد أن يحصل انفجار في مكان ما – قد لا يحصل في الشرق الأوسط، إنما قد يحصل هنا. لأننا سنحصل على ما نتحضر له – فالأمر يشبه تحضير الطعام. ولكننا شديدو الغباء لأننا نسمح بحدوث كل هذا، بما فيه الإرهاب.

نتساءل الآن عن إمكانية إنهاء كل ما نعاني منه، كل أنماط التعرض للأذى، والوحدة، والألم، ومقاومتها، والانطواء على الذات، والعزلة، ما يسبب مزيدًا من الألم؛ ونتساءل إذا ما كانت توجد نهاية للأسى الناجم عن فقدان معتقد ثمين احتفظنا به طويلاً، أو عن خيبة الأمل، والخيبة التي تأتي لدى خسارة شخص تبعناه وناضلنا من أجله وسلمناه أرواحنا؟ هل يمكن أن

نتحرر من كل هذا؟ هذا ممكن إن كرسنا أنفسنا – ليس بالحديث الذي لا ينتهي حولها. تمامًا كما يحدث عندما ندرك الأذية التي لحقت بنا في سني الطفولة، ونرى كل نتائج ذلك الأذى الذي نقاومه، ونتراجع عنه، لأننا لا نريد أن نؤذى من جديد، فنشجع العزلة، ونبنيَ حولنا جدرانًا. نحن نفعل الشيء نفسه في علاقاتنا.

نتيجة الأذى الحاصل في الطفولة هي الألم والمقاومة والانسحاب من الحياة والعزلة والمخاوف العميقة جدًا. وكما قال المتحدث من قبل، نالك الأسى الكوني للبشر، فالبشر في مختلف أنحاء العالم تعذبوا في الحروب، وعلى أيدي الديكتاتوريات، والحكومات الشمولية. وأيضًا، هنالك أسى الأخ أو الابن أو الزوجة الذين ولوا الأدبار أو ماتوا، والأسى الناجم عن الفرقة، والأسى الناجم عن الاهتمام بأمر لا يكترث له الطرف الآخر. وفي كلِّ هذا الأسى لا يوجد أي مقدار من الشفقة أو الحب، لأن إنهاء الأسى يجلب الحب – ليس المتعة أو الرغبة، بل الحب. فأنى وجد الحب وجدت العاطفة التي يرافقها الذكاء، ذلك الذي لا يمت بصلة إلى الذكاء الناجم عن الفكر.

علينا التأمل مليًا في أنفسنا كبشر. لِمَ ملأْنا حيواتِنا بكل تلك الأشياء، لماذا لم ننْتهِ من تلك الأحوالَ المؤلمة؟ أترى بسبب الكسل أم بسبب العادة؟ نقول عمومًا: لقد تعودنا وتكيفنا مع هذه الحال. فماذا بوسعنا أن نفعل؟. أمَّا كيف سأتخلص من تلك الاشتراطات، فأنا لا أستطيع إيجاد الجواب، لذا تراني أتوجه إلى الغورو الساكن بقربي، أو إلى القس أو إلى هذا أو ذاك. لا نقول أبدًا: لِمَ لا نتمعن في أنفسنا لنرى إذا ما كنا قادرين على تجاوزها، كما نتجاوز أية عادة أخرى، مثل كل العادات الأخرى، إذ يمكن إنهاء التدخين والإدمان على المخدرات وتعاطي الكحول. لكننا نقول: ما أهمية هذا، فأنا أزداد سنًا في جميع الأحوال، وجسدي يدمر ذاته، فما المانع من بعض المتعة؟. وهكذا نستمر في الحياة، ولا نشعر بمسؤولية ما نفعله، فإما أن نلوم البيئةَ التي حولنا أو المجتمع أو أهلنا أو الموروثَ ونجد بعض الأعذار، لكننا لا نلوم أنفسنا، لأننا إن كنا حقًا نمتلك الحافز والدافع لنكتشف سبب تعرضنا للأذى فبوسعنا ذلك. لقد أوذينا لأننا رسمنا تصورًا عن أنفسنا. هذه حقيقة. عندما يقول أحدهم: "لقد لحقت بي الأذية"، فإن من تأذى هو الصورة التي صنعناها عن أنفسنا، لأن أحدهم يأتي ويدوس الصورة بحذائه الثقيل فيشعر أحدهم بالأذى، كما يجرح البعض بسبب المقارنات (حين تقول لنفسك: "هذا حالي لكن أحدهم أفضل مني"). طالما ملَكَ المرء يملك تصورًا ذهنيًا عن نفسه فإنه سيبقى عرضة للأذى. هذه حقيقة. وإن لم ينتبه المرء إلى هذه الحقيقة واحتفظ بتصور ذهني ما عن ذاته سيأتي أحدهم يومًا ليدقَّ المساميرَ في تلك الصورة وستلحق به الأذية. كذلك عندما يكون للمرء تصورًا عن نفسه بأنه مشهور ومعروف لجماهير عريضة، وأنه له سمعة ومكانة يريد لها الاستمرار، فسيأتي أحد ويخرِّب تلك الصورة – شخص لديه جمهور أكبر. لكن إذا ما أعطى المرء الانتباهَ التام لتصوره عن نفسه – وأعني هنا الانتباه وليس التركيز – فسيرى أن تلك الصورة بلا معنى ولن تلبث أن تتلاشى.

21 تموز، 1981